

شرح نهج البلاغة الجزء: ٢٠

ابن أبي الحديد

الكتاب: شرح نهج البلاغة
المؤلف: ابن أبي الحديد
الجزء: ٢٠
الوفاة: ٦٥٦
المجموعة: مصادر الحديث السننية - القسم العام
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
المصدر:
ملاحظات:

الفهرست

الصفحة	العنوان
٣	تابع ما ورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٨	المغيرة بن شعبة
١٠	إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة، والرد عليه
٣٥	عمار بن ياسر وطرف من أخباره
٤١	نكت في العقل وما قيل فيه
٥٧	فصل في الاستغفار والتوبة
١٠٣	عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره
١٥٠	فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه
١٥٣	في مجلس علي بن أبي طالب
١٥٥	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
١٨٧	فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها
٢١٥	حديث عن امرئ القيس
٢٢١	فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة
٢٣٠	مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب
٢٣٣	نبد وحكايات حول العفة
٢٥٥	الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

شرح نهج البلاغة
لابن أبي الحديد
بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم
الجزء العشرون
دار احياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

(١)

الطبعة الثانية
(١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ)
جميع الحقوق محفوظة
منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٤ هـ ق

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الواحد العدل

(٤٠٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم.

الشرح:

إلى هذا نظر المتنبي في قوله:

وخله في جليس أتقيه بها * كيما يرى إننا مثلان في الوهن (١)
وكلمه في طريق خفت أعربها * فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن.

وقال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا * صحوت وإن ماق الزمان أموق (٢)
وكان يقال: إذا نزلت على قوم فتشبه بأخلاقهم، فإن الانسان من حيث يوجد،
لا من حيث يولد. وفي الأمثال القديمة: من دخل ظفار حمر.

شاعر:

أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

(١) ديوانه ٤: ٢١٢.

(٢) لبشار، الأغاني ٣: ٢٢٥.

(٤١٠)

الأصل:

وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها:

لقد طرت شكيرا، وهدرت سقبا.

قال الشكير هاهنا: أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف. والسقب: الصغير من الإبل، ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل.

الشرح:

هذا مثل قولهم: قد زب قبل أن يحصرم.

ومن أمثال العامة: يقرأ بالشواذ، وما حفظ بعد جزء المفصل.

(٤)

(٤١١)

وقال عليه السلام:

من أوماً إلى متفاوت خذلته الحيل.

الشرح:

قيل في تفسيره: من استدل بالمتشابه من القرآن في التوحيد والعدل انكشفت
حيلته، فان علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك.

وقيل: من بنى عقيدة له مخصوصة على أمرين مختلفين: حق وباطل، كان مبطلاً.

وقيل: من أوماً بطمعه وأمله إلى فائت قد مضى وانقضى لن تنفعه حيلة: أي
لا يتبعن أحدكم أمله ما قد فاته، وهذا ضعيف لان المتفاوت في اللغة غير الفائت.

(٥)

(٤١٢)

الأصل:

قال عليه السلام - وقد سئل عن معنى قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله: إنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملكنا، فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلفنا، ومتى أخذنا منا وضع تكليفه عنا.

الشرح:

معنى هذا الكلام إنه عليه السلام جعل الحول عبارة عن الملكية والتصرف، وجعل القوة عبارة عن التكليف، كأنه يقول لا تملك ولا تصرف إلا بالله، ولا تكليف لأمر من الأمور إلا بالله، فنحن لا نملك مع الله شيئاً، أي لا نستقل بأن نملك شيئاً، لأنه لولا إقداره إيانا وخلقته لنا أحياء لم نكن مالكيين ولا متصرفين، فإذا ملكنا شيئاً هو أملك به - أي أقدر عليه منا - صرنا مالكيين له كالمال مثلاً حقيقة، وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازاً، وحينئذ يكون مكلفاً لنا أمراً يتعلق بما ملكنا إياه، نحو أن يكلفنا الزكاة عند تملكنا المال، ويكلفنا النظر عند تملكنا العقل، ويكلفنا الجهاد والصلاة والحج وغير ذلك عند تملكنا الأعضاء والجوارح، ومتى أخذنا المال وضع عنا تكليف الزكاة، ومتى أخذ العقل سقط تكليف النظر، ومتى أخذ الأعضاء و الجوارح سقط تكليف الجهاد وما يجرى مجراه.

هذا هو تفسير قوله عليه السلام، فأما غيره فقد فسره بشيء آخر، قال

أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: فلا حول على الطاعة ولا قوة على ترك المعاصي إلا بالله، وقال قوم - وهم المجبرة: لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر من الله، وليس في اللفظ ما يدل ما ادعوا، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله، وليس يلزم من نفي الاقتدار إلا بالله صدق قولنا: لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر عن الله، والأولى في تفسير هذه اللفظة أن تحمل على ظاهرها، وذلك أن الحول هو القوة، والقوة هي الحول كلاهما مترادفان، ولا ريب أن القدرة من الله تعالى، فهو الذي أقدر المؤمن على الإيمان، والكافر على الكفر، ولا يلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل لان القدرة ليست موجبة.

فإن قلت: فأى فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة في جميع الحيوانات؟ قلت: المراد بذلك الرد على من أثبت صانعا غير الله، كالمجوس والثنوية، فإنهم قالوا بالهين: أحدهما يخلق قدره الخير، والآخر يخلق قدره الشر.

(٤١٣)

الأصل:

وقال عليه السلام لعمار بن ياسر رحمه الله تعالى وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما:

دعه يا عمار، فإنه لن يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه، ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته.

الشرح:

[المغيرة بن شعبة]

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلدا سيفا، فقيل: من هذا؟ قيل: ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا غدر! والله إنني إلى الآن ما غسلت سواتك.

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، كان قد صحب قوما في بعض الطرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفا أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله

(٨)

صلى الله عليه وآله لا يرد على أحد إسلامه، أسلم عن علة أو عن إخلاص، فامتنع بالاسلام، واعتصم وحمى جانبه.

ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني (١)، قال: كان المغيرة يحدث حديث إسلامه، قال: خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر، فدخلنا إلى الإسكندرية، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا، فكنت أهون أصحابي عليه، وقبض هدايا القوم، وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض أحد منهم على مواساة، فلما خرجوا حملوا معهم خمرا، فكانوا يشربون منها، فأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم، وقلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي! فأجمعت على قتلهم، فقلت: إني أجد صداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني، فقلت: رأسي يصدع، ولكن اجلسوا فأسقيكم، فلم ينكروا من أمري شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبت الكأس فيهم اشتهاوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس، [فيشربون ولا يدرون (٢)] فأهدمتهم الخمر حتى ناموا، ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم. وقدمت المدينة فوجدت النبي صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفاً - فلما رأني قال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله: فقال أبو بكر:

من مصر أقبلت؟ قلت: نعم؟ قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان

(١) الأغاني ١٦: ٨٠ - ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية.

(٢) من الأغاني.

بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب، ونحن على دين الشرك، فقتلتهم، وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليخمسها، [ويرى فيها رأيه (١)]، فإنها

غنيمة من المشركين، فقال رسول الله: أما إسلامك فقد قبلته، ولا تأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه، فأخذني ما قرب وما بعد، فقلت يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة، فقال عليه السلام: الإسلام يجب ما قبله. قال: وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً، واحتوى ما معهم، فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن حمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال: فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية: (يا غدر، أنا إلى الأمس أغسل سواتك، فلا أستطيع ان أغسلها)، فلهذا قال أصحابنا البغداديون: من كان إسلامه على هذا الوجه، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به، من لعن علي عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما، وممالة الفاسقين، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله، كيف نتولاه! وأي عذر لنا في الإمساك عنه، والا نكشف للناس فسقه!

[إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرد عليه]

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمر ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم، فذمه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون، فقال

(١) من الأغاني.

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأى الأشعري: الواجب الكف والامساك عن الصحابة، وعمما شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني: ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك، وقال: (إياكم وما شجر بين صحابتي)، وقال: (دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، وقال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وقال: (خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه)، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)! وقد روى عن الحسن البصري إنه ذكر عنده الجمل وصفين فقال: تلك دماء طهر الله منها أسيافنا، فلا نلطح بها ألسنتنا. ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا وبعدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن المروءة] (١) أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمته، وفي طلحة الذي وقاه بيده. ثم ما الذي ألزمتنا وأوجب علينا أن نلعن أحدا من المسلمين أو نبرأ منه! وأي ثواب في اللعنة والبراءة! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف: لم لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ ولو أن انسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصيا ولا آثما، وإذا جعل الانسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيرا له. ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم، فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم! أليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشئونه التي تجرى بينه وبين أهله وبنى عمه ونسائه وسراريه! وقد كان

(١) تكملة من ١.

رسول الله صلى الله عليه وآله صهرا لمعاوية. وأخته أم حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة! أليس المفسرون كلهم قالوا: هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى: (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) (١)! فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وتزويجه ابنته. على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت، وما كان القوم إلا كبنني أم واحده ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

فقال أبو جعفر رحمه الله: قد كنت منذ أيام علقته بخطي كلاما وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضا وردا على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرجهم إليكم لاستغنى بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فإنني أجد ألما يمني من الإطالة في الحديث، لا سيما إذا خرج منخرج الجدل ومقاومة الخصوم،

ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصته.

قال: لولا إن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاته أوليائه، وضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها، أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (٢)، وبقوله تعالى: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) (٣) ٧ وبقوله سبحانه: (لا تتولوا قوما

(١) سورة الممتحنة ٧.

(٢) سورة المجادلة ٢٢.

(٣) سورة المائدة ٨١.

غضب الله عليهم) (١)، ولاجماع المسلمين على إن الله تعالى فرض عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى إن: البغض في الله واجب، والحب في الله واجب - لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفا. ولو ظننا إن الله عز وجل يعذرنا إذا قلنا: يا رب غاب أمرهم عنا، فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معني، لاعتمادنا على هذا العذر، ووالييناهم، ولكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتكم أنفسكم الاقرار بالنبي صلى الله عليه وآله وموالاته من صدقه، ومعاداة من عصاه وجحده، وأمرتم بتدبير القرآن وما جاء به الرسول، فهلا حذرتهم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدا: (ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (٢)!

فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها، ألا ترى إلى قوله: (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٣)، فهو إخبار معناه الامر، كقوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (٤))، وقد لعن الله تعالى العصيين بقوله: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود (٥))، وقوله: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) (٦)، وقوله: (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٧))، وقال الله تعالى لإبليس: (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (٨)) وقال: (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٩)).

-
- (١) سورة الممتحنة ١٣.
 - (٢) سورة الأحزاب ٦٧.
 - (٣) سورة البقرة ١٥٩.
 - (٤) سورة البقرة ٢٢٨.
 - (٥) سورة المائدة ٧٨.
 - (٦) سورة الأحزاب ٥٧.
 - (٧) سورة الأحزاب ٦١.
 - (٨) سورة ص ٧٨.
 - (٩) سورة الأحزاب ٦٤.

فأما قول من يقول: (أي ثواب في اللعن! وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ وإنه لو جعل مكان لعن الله فلانا، اللهم اغفر لي لكان خيرا له، ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك)، فكلام جاهل لا يدري ما يقول، اللعن طاعة، ويستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفي الله، لا في العصبية والهوى، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة: (إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين (١)) فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وإنه قد تعبدهم بها، لما جعلها من معالم الشرع، ولما كررها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حق القاتل: (وغضب الله عليه ولعنه (٢))، وليس المراد من قوله: (ولعنه) إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه! هذا ما لا يسوغ في العقل، كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه، وقال تعالى: (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله (٣))، وقال: (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (٤)، وقال عز وجل: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا (٥)). وكيف يقول القائل: إن الله تعالى لا يقول للمكلف: لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري! ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بان يقال له: تلفظ بكلمة الشهادتين، ثم قل: برئت

(١) سورة النور .٧

(٢) سورة النساء ٩٣ .

(٣) سورة المائدة ٦٠ .

(٤) سورة الأحزاب ٦٨ .

(٥) سورة المائدة ٦٤ .

من كل دين يخالف دين الاسلام، فلا بد من البراءة، لان بها يتم العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تود عدوى ثم تزعم إنني * صديقك إن الرأي عنك لعازب
فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة، لأنه لا يجوز أن يكون الانسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بألا يودهم ولا يبرأ منهم باجماع المسلمين على نفى هذه الواسطة.
واما قوله: (لو جعل عوض اللعنة استغفر الله لكان خيرا له)، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنه يكون عاصيا لله تعالى، مخالفا أمره في إمساكه عمن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة،

والمصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الاخر، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو منخطئ، على أن الفرق بينه وبين ترك لعنة رؤوس الضلال في هذه الأمة كعواوية والمغيرة و أمثالهما، إن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الامسك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والامسك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الامسك عن لعن إبليس نظيرا للإمسك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أرأيتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي ان نخوض في قصتهما، ولا ان نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما، هل كان هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن

شعبة وأضرابهما، فليس لخوضنا في قصتهم معنى!
وبعد، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان
وخضتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم من قتلته، ولعنتموهم! وكيف لم تحفظوا أبا بكر
الصديق في محمد ابنه فإنكم لعنتموه، وفسقتموه، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها
محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين
ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلب على حقه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من
السنة عندكم، ولعن ظالم علي والحسن والحسين تكلفا! وكيف أدخلت العامة أنفسها
في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها، ومن القائل لها: يا حميراء، أو إنما هي حميراء،
ولعنته بكشفه سترها، ومنعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد
وفاة أبيها.

فان قلت: إن بيت فاطمة إنما دخل، وسترها إنما كشف، حفظا لنظام
الاسلام، وكيلا ينتشر الامر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربة (١) الطاعة
ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كشف، وهو دجها إنما هتك، لأنها نشرت (٢) حبل
الطاعة، وشقت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب
عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان
معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ
والسير، فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد
وقع
وتحقق، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار،

(١) ربة الطاعة: عروتها.

(٢) نشرت حبل الطاعة: أي قطعه.

والبراءة من فاعله، ومن أوكد عرى الايمان، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع حطب بيابها، وتهدها بالتحريق من أوكد عرى الدين، وأثبت دعائم الاسلام، ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة، والحرمتان واحدة، والستران واحد. وما نحب ان نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى، فإنها بضعة منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وصلة مستعارة، وعقد يجرى مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رق الأمة، بالبيع و الشراء ولهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب ونسب وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء: ولاء العتق فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسامين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم إنها سيدة نساء العالمين!

قال: وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته، وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمه ابن عفان، وقد قتلوهم ولعنوهم، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة، منهم عائشة كانت تقول: اقتلوا نعثلاً، لعن الله نعثلاً، ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسنا وحسينا وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئاً منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الانسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

قال: ولو كان هذا أمرا معتبرا وهو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين، ومخيف المسجد الحرام بمكة، وأن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان، والمحارب عليا عليه السلام في صفين.

قال علي: إنه لو كان الامسك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف، ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية، وإنما أوجب الله رسول الله صلى الله عليه وآله محبة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا الله وتركوا

ما أوجب محبتهم، فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحب ان يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسبا منه، والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الاسلام، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زنى، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار، ألا ترى إنه قال: لو سرقت فاطمة لقطعتها، فهذه ابنته، الجارية مجرى نفسه، لم يحابها في دين الله، ولا راقبها في حدود الله، وقد جلد أصحاب الإفك، ومنهم مسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر.

قال: وبعد، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادي إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح، بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة، ويغضي عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه، فانسلك مما أوتى من الآيات وغوى، قال سبحانه: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) (١)، ولكن ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل، لان هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المنزلة، لعلمت ذلك من حال أنفسها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على إن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم، هذا على وعمار، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعل بالشرارة في عصرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي، حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا، وهذا معاوية وعمرو لم يريا

(١) سورة الأعراف ١٧٥.

عليًا بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره، ولم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكل من كان حيا من أهله، وقتل أصحابه، وقد لعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضة، ولعن معهما أبا الأعور السلمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصحابة، وهذا سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن عمر، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقدوا عليًا في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب علي، وطلحة والزبير باجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي قد غلط وزل في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب علي، وهذا عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا والريب، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما - بزعمهما - منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تنهى إليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلهم، وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن

العوام لما استأذنه في الغزو: ها إني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، وزعم إنه وأبو بكر كانا يقولان: إن عليًا والعباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين، وما رأينا عليًا والعباس اعتذرا ولا تنصلا، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما، ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضا علي عمر قوله في أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وآله: انهم يريدون إضلال الناس ويهمون به، ولا أنكروا علي عثمان دوس بطن عمار، ولا كسر ضلع ابن مسعود، ولا علي عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقد العامة فيها، اللهم إلا أن يزعموا إنهم أعرف بحق القوم منهم. وهذا علي

وفاطمة والعباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)، ويقولون، إنها مختلقة.

قالوا وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف هذا الحكم غيرنا و يكتبه عنا ونحن الورثة، ونحن أولى الناس بأن يؤدي هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى إنهم النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثلبهم، وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرفض واستحلت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلهم. ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه: دويبة سوء ولهو خير من أبيه. ثم عمر القائل في سعد بن عباد، وهو رئيس الأنصار وسيدها: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا، اقتلوه فإنه منافق. وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفئ واقطاعه، وكان سريعا إلى المساءة، كثير الجبة والشتم والسب لكل أحد، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرفة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة! إما أن يكون عمر مخطئا، وإما أن تكون العامة على الخطأ!

فإن قالوا عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك، قيل لهم: فكأننا نحن نقول: إنا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعادة! كلا ما قلنا هذا، ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذمناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرتة لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الاعلام والمعجزات، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر، وبعرضية الشبه والشكوك، فمعاصينا أخف لأننا أعذر.

ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول: وهذه عائشة أم المؤمنين، خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس: هذا قميص رسول الله لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته، ثم تقول: اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا. فمن الناس من يقول روت في ذلك خبرا، ومن الناس من يقول هو موقوف عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا. ثم قد حصر عثمان، حصرتة أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك، ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته، وإنما أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم من أشرفهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وللإمام حق على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول، من أن الخطأ جائز على

آحاد الصحابة، كما يجوز على آحادنا اليوم. ولسنا نقدح في الاجماع، ولا ندعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنما نقول: إن كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلم إن ذلك كان خطأ ومعصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز ان يخطئ ويعصى، وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادعى عليه الزنا، وشهد عليه قوم بذلك، فلم ينكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه الزنا. وهلا أنكر عمر على الشهود وقال لهم ويحكم هلا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك، فإن الله تعالى قد أوجب الامساك عن مساوئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوجب الستر عليهم! وهلا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: (دعوا لي أصحابي)! ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى،

وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة: يا مغيرة، ذهب ربعك، يا مغيرة، ذهب نصفك، يا مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع، فجلد الثلاثة. وهلا قال المغيرة لعمر: كيف تسمع في قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم)! ما رأيناه قال ذلك، بل استسلم لحكم الله تعالى. وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون، لما شرب الخمر في أيام عمر، فأقام عليه الحد، وهو رجل من علية الصحابة، ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنة، فلم يرد عمر الشهادة، ولا درأ عنه الحد لعله إنه بدري، ولا قال: قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذكر مساوئ الصحابة. وقد ضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات، وكان ممن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تمنع معاصرته له من إقامة الحد عليه.

وهذا علي عليه السلام يقول ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله إلا استحلفته عليه، أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: وددت إنني لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب، فندم والندم لا يكون إلا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعه أبي بكر ستة أشهر إلى إن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلى علي الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد، ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة: فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني عمر - فكلكم ورم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له، لما رأيت الدنيا قد جاءت، أما والله لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير (١). أليس هذا طعناً في الصحابة، وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر، لما نص عليه بالعهد! ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر: ماذا تقول لربك إذا سألك عن عبادته، وقد وليت عليهم فظاً غليظاً! فقال أبو بكر: أجلسوني أجلسوني، بالله تخوفني! إذا سألتني قلت: وليت عليهم خيراً أهلك، ثم شتمه بكلام كثير منقول، فهل قول طلحة إلا طعن في عمر، وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة!

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمه أبي بن كعب مشهورة منقولة: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم، وقوله: ألا هلك أهل العقيدة، والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس.

(١) الكامل للمبرد ١: ٧.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق، وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي (١)، وقوله: اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل. وقال عثمان لعلي عليه السلام في كلام دار بينهما، أبو بكر وعمر خير منك، فقال علي: كذبت، أنا خير منك ومنهما، عبت الله قبلهما وعبدته بعدهما.

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قال: كنت عند عروة بن الزبير، فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي؟ فقال عروة أقام عشرا، فقلت كان ابن عباس يقول: ثلاث عشرة، فقال: كذب ابن عباس. وقال ابن عباس: المتعة (٢) حلال، فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال: يا عدى نفسه، من هاهنا ضللتهم، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحديثي عن عمر! وجاء في الخبر عن علي عليه السلام، لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقي، وقيل: ما زنى إلا شفا، أي قليلا.

فأما سبب بعضهم بعضا وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يحصى، مثل قول ابن عباس وهو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض: إن شاء - أو قال: من شاء - باهلته (٣) إن الذي أحصى رمل عالج (٤) عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفا ونصفا وثلاثا، هذان النصفان قد ذهبها بالمال، فأين موضع الثلث!

(١) الشسع: قبال النعل.

(٢) نكاح المتعة، هو أن يتزوج الرجل المرأة يستمتع بها أياما ثم يتركها.

(٣) باهل القوم بعضهم بعضا وابتهلوا: تلاعنوا.

(٤) عالج: موضع به رمل، معروف.

ومثل قول أبي بن كعب في القرآن: لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.

وقال علي عليه السلام في أمهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألا يبعن، وأنا أرى الان بيعهن، فقام إليه عبدة السلماني، فقال: رأيك في الجماعة (١) أحب إلينا من رأيك في الفرقة.

وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله. وأنكرت عائشة على أبي سلمه بن عبد الرحمن خلفه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، وقالت: فزوج يصقع (٢) مع الديكة. وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف، وسفهوا رأيه حتى قيل: إنه تاب من ذلك عند موته.

واختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا. وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: الشؤم في ثلاثة: المرأة والدار، والفرس، فأنكرت عائشة ذلك، وكذبت الراوي وقالت: إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكاية عن غيره.

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام إنه قال: التاجر فاجر، فأنكرت عائشة ذلك، وكذبت الراوي وقالت: إنما قاله عليه السلام في تاجر دلس. وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر: (الأئمة من قريش)، ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة.

(١) ب: (لجماعة).

(٢) صقع الديك صقعا: صاح.

وكان أبو بكر يقضى بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصهيب ونحوهما. قد روى ذلك في عدة قضايا.

وقيل لابن عباس: إن عبد الله بن الزبير يزعم إن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل، فقال: كذب عدو الله، أخبرني أبي بن كعب، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر كذا، بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل.

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى به بأساً، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أخبره عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يخبرني عن رأيه! والله لا أساكنك بأرض أبداً.

وطعن ابن عباس في أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الاناء حتى يتوضأ)، وقال: فما نضع بالمهراس (١)!

وقال علي عليه السلام لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا.

وقال ابن عباس: ألا يتقى الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً.

وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم إنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) المهراس: إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه.

وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله: إن النوم لا ينقض الوضوء، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفطر الصائم، وهزئت به ونسبته إلى الجهل.

وسمع عمر عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن

أي فتياكم يصدر المسلمون! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت.

وقال جرير بن كليب: رأيت عمر ينهى عن المتعة، وعلي عليه السلام يأمر بها، فقلت: إن بينكما لشرا، فقال علي عليه السلام: ليس بيننا إلا الخير، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين.

قال هذا المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى، وأن يكون أهل العراق أيضا على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا. قد صح الخبر الصحيح أنه قال له: (تقتلك الفئة الباغية)، وقال في القرآن: (فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله)، فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي، مفارقة لأمر الله، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتديا.

وكان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدى عبد الله بن عباس الصغيرين مهتديا، لأن بسرا من الصحابة أيضا. كان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان عليا أذبار الصلاة وولديه مهتدين، وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة ابن خويلد، فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتديا.

قال: وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية، فإن لهم من ينصرهم بلسانه، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.

وكذا القول في الحديث الاخر، وهو قوله: (القرن الذي أنا فيه)، ومما يدل على بطلانه إن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوة الخمور، وارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأريقتم الدماء الحرام، وقتل المسلمون، وسبي الحرير، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج. وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤوسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصح هذا الخبر.

قال: فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين) (١). وقوله: (محمد رسول الله والذين معه) (٢).

وقول النبي صلى الله عليه وآله إن الله اطلع على أهل بدر، إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلم: ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجددهم مثلنا، يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لا غير، فإن لها منزلة وشرفا،

(١) سورة الفتح ١٨.

(٢) سورة الفتح ٢٩.

ولكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويزل، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك، لأنها زوجته، وصحبتها له أكد من صحبة غيرها. وصفوان بن المعطل أيضاً كان من الصحابة، فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله: ولا يحمل ذلك الهم والغم الشديدين اللذين حملهما ويقول صفوان من الصحابة، وعائشة من الصحابة، والمعصية عليهما ممتنعة.

وأمثال هذا كثير وأكثر من الكثير، لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك.

قال: ومن الذي يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحد منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شرفوا برؤيته: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) (١) بعد قوله: (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (١) وبعد قوله: (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد) (٢)، إلا من لا فهم له ولا نظر معه، ولا تمييز عنده.

قال: ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة، وطعن بعضهم في بعض ورد بعضهم على بعض، وما رد به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم، وقدح بعضهم في بعض، فليُنظر في كتاب النظام، قال الجاحظ: كان النظام

(١) سورة الزمر ٦٥.

(٢) سورة ص ٢٦.

أشد الناس إنكارا على الرافضة، لطعنهم على الصحابة، حتى إذا ذكر الفتيا وتنقل الصحابة فيها، وقضاياهم بالأمر المختلفة، وقول من استعمل الرأي في دين الله، انتظم مطاعن

أعن الرافضة وغيرها، وزاد عليها، وقال في الصحابة أضعاف قولها.
قال: وقال بعض رؤساء المعتزلة: غلط أبي حنيفة في الاحكام عظيم، لأنه أضل خلقا وغلط حماد (١) أعظم من غلط أبي حنيفة، لان حمادا أصل أبي حنيفة الذي منه تفرع، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد، لأنه أصل حماد وغلط علقمة (٢) والأسود (٣) أعظم من غلط إبراهيم، لأنهما أصله الذي اعتمد، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا، لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه، وهو الذي قال: أقول فيها برأبي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني.
قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة (٤) بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي، فسأله كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي، فقال: لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.
قال: وكان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحب الذؤابة يقول في دين الله برأيه.

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف (بكتاب التوحيد) إن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ولم يكن علي عليه السلام يوثقه في الرواية، بل يتهمه، ويقدر فيه، وكذلك عمر وعائشة.

(١) حماد هو حماد بن أبي سليمان.

(٢) علقمة بن قيس.

(٣) الأسود بن يزيد.

(٤) ثمامة بن أشرس.

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حكما جزما إن كل واحد من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص! وكفاك به عدوا مبغضا لرسول الله صلى الله عليه وآله! ومن الصحابة الوليد بن عقبه الفاسق بنص الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبشر بن أبي أرطاة عدو الله وعدو رسوله، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس. وقال كثير من المسلمين: مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم، وإنما كان يعرف قوما منهم، ولم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيما زعموا، فكيف يجوز أن نحكم حكما جزما إن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون، لا يقع منه خطأ ولا معصية، ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر، أو يحكم هذا الحكم!

قال: والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويشتون إنهم عصوا الله تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون فيه، ويقولون: قدرى معتزلي، وربما قالوا ملحد مخالف لنص الكتاب، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادل في هذا الباب، فتارة يقولون: إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة، وتارة يقولون: إن داود قتل أوريا لينكح امرأته، وتارة يقولون: إن رسول الله كان كافرا ضالا قبل النبوة، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر.

فأما قدحهم في آدم عليه السلام، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم وديدنهم، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح، احمرت وجوههم، وطالت أعناقهم، وتخازرت أعينهم، وقالوا مبتدع رافضي، يسب الصحابة، ويشتم السلف، فإن قالوا إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب، فإنه تعالى قال: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (١)، وقال: (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفتى إلى أمر الله) (٢)، وقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٣).

ثم يسألون عن بيعة علي عليه السلام: هل هي صحيحة لازمة لكل الناس؟ فلا بد من (بلى)، فيقال لهم: فإذا خرج على الإمام الحق خارج أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين، وإنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم، فيمكننا أن نقاتل بأيدينا، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه.

قال هذا المتكلم: علي أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى إنه لا حجة في الاجماع، وإنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية، وعلى الفسق بل على الردة، وله كتاب موضوع

في الاجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء، ويقول إنها ألفاظ غير صريحة في كون الاجماع حجة، نحو قوله: (جعلناكم أمة وسطاً) (٤) وقوله: (كنتم خير أمة) (٥) وقوله: (ويتبع غير سبيل المؤمنين) (٦).

(١) سورة المجادلة ٥.

(٢) سورة الحجرات ٩.

(٣) سورة النساء ٥٩.

(٤) سورة البقرة ١٤٣.

(٥) سورة آل عمران ١١٠.

(٦) سورة النساء ١١٥.

وأما الخبر الذي صورته: (لا تجتمع أمتي على الخطأ)، فخبر واحد، وأمثلة دليل للفقهاء قولهم: إن الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال. هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر، علقه بخطه من الجزء الذي أقرناه.

ونحن نقول: أما إجماع المسلمين فحجة، ولسنا نرتضي ما ذكره عنا من إنه أمثلة دليل لنا إن الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، يستحيل ان تتفق على غير الصواب، ومن نظر في كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الاجماع وكونه صوابا، وحجة تحريم مخالفته، وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به المرتضى في أدلة الاجماع.

وأما ما ذكره من الهجوم على دار فاطمة وجمع الحطب لتحريقها فهو خبر واحد غير موثوق به، ولا معول عليه في حق الصحابة، بل ولا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته.

وأما عائشة والزبير وطلحة فمذهبنا إنهم أخطئوا، ثم تابوا، وإنهم من أهل الجنة، وإن عليا عليه السلام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل. وأما طعن الصحابة بعضهم في بعض، فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثما، لان كل مجتهد مصيب، وهذا أمر مذكور في كتب أصول الفقه وما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها وما جاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابييين على قدر منزلته في الاسلام كما يروى عن عمر وأبي هريرة.

فأما علي عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صح عنه إنه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان، ولكن الشأن في تصحيح ما يروى عنه عليه السلام، فقد أكثر الكذب عليه، وولدت العصبية أحاديث لا أصل لها.

فأما براءته عليه السلام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلوم جار مجرى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولاهم أصحابنا، ولا يثنون عليهم، وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود، وحاش لله ان يكون عليه السلام ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين الا بالجميل و الذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين، وإخلاصه في طاعة رب العالمين، ومن أحب تتبع ما روى عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذا الكتاب، أعني شرح نهج البلاغة، فإننا لم نترك موضعا يوهم خلاف مذهبنا إلا وأوضحناه و فسرناه على وجه يوافق الحق، وباللله التوفيق.

[عمار بن ياسر وطرف من اخباره]

فأما عمار بن ياسر رحمه الله، فنحن نذكر نسبه وطرفا من حاله مما ذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب (١)، قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله. هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لوذ بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس - بالنون - بن مالك بن أدد العنسي المذحجي، يكنى أبا اليقظان، حليف لبني مخزوم، كذا قال ابن شهاب وغيره.

(١) الاستيعاب ٤٣٤ وما بعدها (طبعة الهند).

وقال موسى بن عقبة: وممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليف لبني مخزوم بن يقظة.

وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم: إن ياسرا والد عمار بن ياسر عربي قحطاني من عنس، من مذحج، إلا أن ابنه عمارا مولى لبني مخزوم، لأن أباه ياسرا تزوج أمه لبعض بني مخزوم فأولدها عمارا، وذلك أن ياسر قدم مكة مع أخوين له يقال لهما: الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزوجه أبو حذيفة

أمة له يقال لها سمية بنت خياط، فولدت له عمارا فاعتقه أبو حذيفة، فصار ولاؤه لبني مخزوم، وللحلف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار بن ياسر كان اجتماع بني مخزوم

إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعا من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم، وقالوا: والله لئن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان.

قال أبو عمر: وأسلم عمار وعبد الله أخوه وياسر أبوهما وسمية أمهما، وكان إسلامهم قديما في أول الإسلام فعذبوا في الله عذابا عظيما، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر بهم وهم يعذبون فيقول: (صبرا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)، ويقول لهم أيضا (صبرا يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت) (٢). قال أبو عمر: ولم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام.

فأما سمية فقتلها أبو جهل، طعنها بحربة في قبلها فماتت، وكانت من الخيرات

الفاضلات وهي أول شهيدة في الاسلام، وقد كانت قريش أخذت ياسرا وسمية وابنيهما، وبلالا وخبابا وصهيبا فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم

كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا من الكفر، وسب النبي صلى الله عليه وآله، ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها، ثم حملوا بجوانبها، فلما كان العشى جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم وجأها بحربة في قبلها فقتلها، فهي أول من استشهد في الاسلام، فقال عمار للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله بلغ العذاب من أمي كل مبلغ، فقال: (صبرا يا أبا اليقظان، اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار)، قال أبو عمر: وفيهم أنزل (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) (١).

قال: وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين، وشهد بدرا والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسنا، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضا، ويومئذ قطعت أذنه. قال: وذكر الواقدي عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر، هلموا إلي، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال. قال أبو عمر: وكان عمار طويلا أشهل، بعيد ما بين المنكبين، قال: وقد قيل في صفته: كان آدم طوالا مضطربا، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين، رجلا لا يغير شيبه.

(١) سورة النحل ١٠٦.

قال: وكان عمار يقول أنا ترب (١) رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن أحد أقرب إليه سنا مني.

قال: وقتل عمار وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، والخبر المرفوع مشهور في حقه: (تقتلك الفئة الباغية) وهو من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه إخبار عن غيب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في عمار: (ملئ إيمانا إلى مشاشه (٢)) ويروى: (إلى أحمص قدميه).

وفضائل عمار كثيرة، وقد تقدم القول في ذكر عمار وإخباره، وما ورد في حقه.

(١) ترب الانسان: من ولد معه في العام الذي ولد فيه.

(٢) المشاشة: الأصل.

(٤١٤)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله سبحانه.

الشرح:

قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مرارا.

وقال الشاعر:

قنعت فأعتقت نفسي ولن * أملك ذا ثروة رقتها
ونزهتها عن سؤال الرجال * ومنه من لا يرى حقها
وإن القناعة كنز اللبيب * إذا ارتقت فتقت رقتها
سبيعت رزق الشفاه الغراث * وخصص البطون الذي شقها (١)
فما فارقت مهجة جسمها * لعمر ك أو وفيت رزقها
مواعيد ربك مصدوقة * إذا غيرها ففقدت صدقها

(١) الغراث: الجيعاء.

(٣٩)

(٤١٥)

الأصل:

قال عليه السلام:

ما استودع الله امرأ عقلاً إلا ليستنقذه به يوماً ما.

الشرح:

لا بد أن يكون للبارئ تعالى في إيداع العقل قلب زيد مثلاً غرض، ولا غرض إلا أن يستدل به على ما فيه نجاته وخلاصه، وذلك هو التكليف، فإن قصر في النظر وجهل وأخطأ الصواب فلا بد أن ينقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا، وليس يخلو أحد عن ذلك أصلاً، لأن كل عاقل لا بد أن يتخلص من مضرة سبيلها أن تنال بأعمال فكرته وعقله في الخلاص منها، فالحاصل إن العقل إما أن ينقذ الانقاذ الديني، وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة، أو ينقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتهما، وعلى كل حال فقد صح قول أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رويت هذه الكلمة مرفوعة، ورويت: (إلا استنقذه به يوماً ما).

وعنه صلى الله عليه وآله: (العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل).

وعن أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب، فقال: ما من بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها، فمن كانت سجيته العقل، وغريزته اليقين، لم تضره ذنوبه، قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال:

(٤٠)

كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما فرط منه، فيمحو ذنوبه،
ويبقى له فضل يدخل به الجنة.
[نكت في مدح العقل وما قيل فيه]
وقد تقدم من قولنا في العقل وما ذكر فيه ما فيه كفاية، ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر:
كان يقال: العاقل يروى ثم يروى ويخبر ثم يخبر.
وقال عبد الله بن المعتز: ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل!
لقمان: يا بني، شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء
وتأخذه أنت بالمجان.
أردشير بن بابك: أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى
الامن، والقراة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.
الإسكندر: لا تحتقر الرأي الجزيل من الحقيق، فإن الدرّة لا يستهان بها
لهوان غائصها.
مسلمة بن عبد الملك: ما ابتدأت أمرا قط بحزم فرجعت على نفسي بلائمة، وإن
كانت العاقبة على، ولا أضعت الحزم فسررت وإن كانت العاقبة لي.
وصف رجل عضد الدولة بن بويه، فقال: لو رأيت لرأيت رجلا له وجه فيه
ألف عين: وفم فيه ألف لسان، وصدر فيه ألف قلب.
أثنى قوم من الصحابة على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة والعبادة
وخصال الخير حتى بالغوا، فقال صلى الله عليه وآله: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله

نخبرك باجتهاده في العبادة وضروب الخير، وتساءل عن عقله! فقال: إن الأحمق ليصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره، وإنما ترتفع العباد غدا في درجاتهم، وينالون من الزلفى من ربهم على قدر عقولهم.

الريحاني: العقل ملك، والخصال رعيته، فإذا ضعف عن القيام عليها، وصل الخلل إليها. وسمع هذا الكلام أعرابي فقال: هذا كلام يقطر عسله. قال معن بن زائدة: ما رأيت قفا رجل إلا عرفت عقله، قيل فإن رأيت وجهه؟ قال: ذا كتاب يقرأ.

بعض الفلاسفة: عقل الغريزة مسلم إلى عقل التجربة. بعضهم: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنه إذا كثر غلا. قالوا في قوله تعالى: (لينذر من كان حيا) (١)، أي من كان عاقلا. ومن كلامهم: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أنس منه بلين العيش مع السفهاء.

أعرابي: لو صور العقل أظلمت معه الشمس، ولو صور الحمق لأضاء معه الليل.

قيل لحكيم: متى عقلت؟ قال: حين ولدت، فأنكروا ذلك، فقال: أما أنا فقد بكيت حين جعت، وطلبت الثدي حين احتجت، وسكت حين أعطيت، يريد إن من عرف مقادير حاجته فهو عاقل.

المأمون: إذا أنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل. بزرجمهر: العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك العاقل يجمع وجوه

(١) سورة يس ٧٠.

الرأي في الامر المشكل، ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الأصوب.
كان يقال: هجين عاقل خير من هجان جاهل.

كان بعضهم إذا استشير قال لمشاوره: انظرني حتى أصقل عقلي بنومة.
إذا نزلت المقادير، نزلت التدابير. من نظر في المغاب، ظفر بالمحاب. من استندت
عزائمه اشتدت دعائمه. الرأي السديد، أجدى من الأيد الشديد.
بعضهم:

وما ألف مطرور السنان مشدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا.
أبو الطيب:

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني (١)
فإذا هما اجتماعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى إلى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدي الكماة عوالي المران.
ذكر المأمون ولد علي عليه السلام، فقال: خصوا بتدبير الآخرة، وحرموا
تدبير الدنيا.

كان يقال: إذا كان الهوى مقهورا تحت يد العقل، والعقل مسلط عليه، صرفت
مساوئ صاحبه إلى المحاسن، فعدت بلاذته حلما، وحدته ذكاء، وحذره بلاغة، وعيه
صمتا، وجبته حذرا، وإسرافه جودا.

(١) ديوانه ٤: ٣٨٦.

وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال: هذه خصيصة الحظ نقلها مرتب هذا الكلام إلى العقل.

سمع محمد بن يزداد كاتب المأمون قول الشاعر:
إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فإن فساد الرأى ان تترددا.
فأضاف إليه:

وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فإن فساد العزم أن يتفندا

(٤٤)

(٤١٦)

الأصل:

وقال عليه السلام:

من صار ع الحق صرعه.

الشرح:

هذا مثل قوله في موضع آخر: من أبدى صفحته للحق هلك، ونحو هذا

قول الطائي:

ومن قامر الأيام عن ثمراتها * فأحج بها أن تنجلي ولها القمر

(٤٥)

(٤١٧)

الأصل:

وقال عليه السلام:

القلب مصحف البصر.

الشرح:

هذا مثل قول الشاعر:

تخبرني العينان ما القلب كاتم وما جن بالبغضاء والنظر الشزر (١)
يقول عليه السلام كما إن الانسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه، كذلك
إذا أبصر الانسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه، ثم يعلم ما في قلبه
من حب وبغض وغيرهما، كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما يدل
الخط عليه.

وقال الشاعر:

إن العيون لتبدي في قلبها* ما في الضمائر من ود ومن حنق (٢)

(١) يقال: نظر إليه شزرا: إذا نظر بمؤخر عينيه. (٢) ٩ الحنق: البغض.

(٤٦)

(٤١٨)

الأصل:

وقال عليه السلام:

التقى رئيس الأخلاق.

الشرح:

يعنى رئيس الأخلاق الدينية، لان الأخلاق الحميدة كالجود والشجاعة والحلم والعفة وغير ذلك، لو قدرنا انتفاء التكليف العقلية والشرعية، لم يكن التقى رئيسا لها، وإنما رياسة التقى لها مع ثبوت التكليف، لا سيما الشرعي. والتقى في الشرع هو الورع والخوف من الله، وإذا حصل حصلت الطاعات كلها، وانتفت القبائح كلها، فصار الانسان معصوما، وتلك طبقة عالية، وهي أشرف من جميع الطبقات التي يمدح بها الانسان نحو قولنا: جواد أو شجاع أو نحوهما، لأنها طبقه ينتقل الانسان منها إلى الجنة ودار الثواب الدائم، وهذه مزية عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق.

(٤٧)

(٤١٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك، وبلاغة قولك على من سدّدك.

الشرح:

يقول لا شبهة أن الله تعالى هو الذي أنطقك، وسدّد لفظك، وعلمك البيان كما قال سبحانه: (خلق الانسان * علمه البيان) (١)، فقيح أن يجعل الانسان ذرب لسانه وفصاحة منطقته على من أنطقه وأقدره على العبادة، وقيح أن يجعل الانسان بلاغة قوله، على من سدّد قوله وجعله بليغا حسن التعبير على المعاني التي في نفسه، وهذا كمن ينعم على إنسان بسيف فإنه يقبح منه أن يقتله بذلك السيف ظلما قبحا زائدا على ما لو قتله بغير ذلك السيف، وما أحسن قول المتنبي في سيف الدولة:
ولما كسا كعبا ثيابا طغوا بها رمى كل ثوب من سنان بخارق (٢)
وما يوجع الحرمان من كف حازم كما يوجع الحرمان من كف رازق

(١) سورة الرحمن ٣، ٤.

(٢) ديوانه ٢: ٣٢٢.

(٤٢٠)

الأصل:

وقال عليه السلام: كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.

الشرح:

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا، وقد تكلمنا نحن عليه، وذكرنا نظائر له كثيرة نثرا ونظما.

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك في حال اقتضت ذلك:
ما على ذا افترقنا بشبذان (١) إذ كنا * ولا هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهنة البيض * على غدرهم وتنسى الوفاء (٢)

(١) كذا في د، وهو الصواب والذي في (ابشذر)، وهو تصحيف.

(٢) المهنة: السيوف.

(٤٢١)

الأصل:

وقال عليه السلام يعزى قوما:

من صبر صبر الأحرار، وإلا سلا سلو الأعمار
وفي خبر آخر انه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزيا عن ابن له:
إن صبرت صبر الأكارم، وإلا سلوت سلو البهائم.

الشرح:

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال:

وقال على في التعازي لأشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم (١)
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم!

(١) ديوانه ٣: ٢٥٨، ٢٥٩.

(٥٠)

(٤٢٢)

الأصل:

وقال عليه السلام في صفة الدنيا:
الدنيا تغر وتضر وتتمر، إن الله سبحانه لم يرضها ثواباً لأولياءه،
ولا عقاباً لأعدائه.

الشرح:

قد تقدم لنا كلام طويل في ذم الدنيا.

ومن الكلام المستحسن قوله: (تغر وتضر وتتمر) والكلمة الثانية أحسن وأجمل.
وقرأت في بعض الآثار إن عيسى عليه السلام مر بقرية وإذا أهلها موتى في
الطرق والأفنية، فقال للتلامذة: إن هؤلاء ماتوا عن سخطة، ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا، فقالوا: يا سيدنا، وددنا إنا علمنا خبرهم، فسأل الله تعالى، فقال له: إذا كان
الليل فنادهم يجيبوك، فلما كان الليل أشرف على نشز ثم ناداهم، فأجابه مجيب، فقال:
ما حالكم، وما قصتكم؟ فقال: بتنا في عافية، وأصبحنا في الهاوية، قال: وكيف
ذلك؟ قال: لحبنا الدنيا، قال: كيف كان حبكم لها؟ قال: حب الصبي لأمه، إذا
أقبلت فرح بها، وإذا أدبرت حزن عليها وبكى، قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟
قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال: فكيف أجبتني
أنت من بينهم؟ قال: لأنني كنت فيهم، ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب
أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أكبكب فيها؟ فقال
المسيح لتلامذته: لا كل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل
وسباخ الأرض في حر الصيف، كثير مع العافية من عذاب الآخرة.

(٥١)

(٤٢٣)

الأصل:

وإن أهل الدنيا كركب، بينما حلوا إذا صاح بهم سائقهم فارتحلوا.
الشرح:

روى: (بيناهم حلول) وبيننا هي بين نفسها، ووزنها (فعلى)، أشبعت
فتحة النون فصارت ألفاً، ثم قالوا (بينما) فزادوا (ما)، والمعنى واحد، تقول:
بيننا نحن نفعل كذا جاء زيد، أي بين أوقات فعلنا كذا جاء زيد، والجمل قد يضاف
إليها أسماء الزمان نحو قولهم: (أتيتك زمن الحجاج أمير)، ثم حذفوا المضاف الذي
هو أوقات، وولى الظرف الذي هو بين الجملة التي أقيمت مقام المحذوف.
وكان الأصمعي يخفض بعد (بيننا) إذا صلح في موضعه (بين)، وينشد قول
أبي ذؤيب بالكسر:

بيننا تعنقه الكمأة وروغه * يوماً أتى له جرى سلفع.

وغيره يرفع ما بعد (بيننا) و (بينما) على الابتداء والخبر، فأما إذ وإذا فإن
أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئهما بعد بيننا وبينما، ومنهم من يجيزه، وعليه جاء
كلام أمير المؤمنين، وأنشدوا:

بينما الناس على عليائها * إذ هووا في هوة منها فغاروا.

(٥٢)

وقالت الحرقه بنت النعمان بن المنذر:
وبينا نسوس الناس والامر أمرنا * إذا نحن فيهم سوقة نتصف (١)
وقال الشاعر:

استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * إذ صار في اللحد تعفوه الأعاصير
ومما جاء في وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبي العتاهية:
إن دارا نحن فيها لدار * ليس فيها لمقيم قرار
كم وكم قد حلها من أناس * ذهب الليل بهم والنهار
فهم الركب قد أصابوا مناخا * فاستراحوا ساعة ثم ساروا
وكذا الدنيا على ما رأينا * يذهب الناس وتخلو الديار

(١) في الأصل (نتصف) وهو غير مستقيم، والصواب ما أثبتنا.

(٤٢٤)

الأصل:

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

يا بني، لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، فكنت عوناً له على معصيته، وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك.

ويروى هذا الكلام على وجه آخر، وهو:

إما بعد، فإن الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك، وإنما أنت جامع لأحد رجلين: رجل عمل فيما جمعه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، أو رجل عمل فيما جمعه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك، أو تحمل له على ظهرك، فارج لمن مضى رحمه الله، ولمن بقي رزق الله تعالى.

الشرح:

روى: (فإنك لا تخلفه إلا لأحد رجلين)، وهذا الفصل نهى عن الادخار، وقد

سبق لنا فيه كلام مقنع.

وخلاصة هذا الفصل إنك إن خلفت مالا، فإما أن تخلفه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أو لمن يعمل فيه بمعصيته، فالأول يسعد بما شقيت به أنت، والثاني يكون معانا

(٥٤)

منك على المعصية بما تركته له من المال، وكلا الامرين مذموم، وإنما قال له: (فارح لمن مضى رحمه الله، ولمن بقي رزق الله)، لأنه قال في أول الكلام: (قد كان لهذا المال أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك).
والكلام في ذم الادخار والجمع كثير، وللشعراء فيه مذاهب واسعة ومعان حسنة وقال بعضهم:

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه * مدبرا أي باب عنه يغلقه
وناسيا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يورقه.

(٤٢٥)

الأصل:

وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته أستغفر الله: ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟ إن للاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقت حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله.

الشرح:

قد روى: (إن الاستغفار درجه العليين)، فيكون على تقدير حذف مضاف، أي أن درجة الاستغفار درجة العليين، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف، أي أن لصاحب الاستغفار درجة العليين. وهو هاهنا جمع على (فعيل) كضليل وحمير، تقول: هذا رجل على، أي كثير العلو، ومنه العلية للغرفة على إحدى اللغتين، ولا يجوز أن يفسر بما فسر به الراوندي من قوله: إنه اسم السماء السابعة، ونحو قوله: (هو سدرة المنتهى)، ونحو قوله: (هو موضع تحت قائمة العرش اليمنى)، لأنه لو كان كذلك لكان

(٥٦)

علما، فلم تدخله اللام. كما لا يقال: (الجهنم)، وكذلك أيضا لا يجوز تفسيره بما فسره الراوندي أيضا، قال: العليين، جمع على: الأمكنة في السماء، لأنه لو كان كذلك لم يجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيرا لقوله تعالى: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) (١).

قوله: (نبت على السحت)، أي على الحرام، يقال: سحت، بالتسكين وسحت بالضم، وأسحت الرجل في تجارته، أي اكتسب السحت.

[فصل في الاستغفار والتوبة]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضوع كلاما مختصرا مما يقوله أصحابنا في التوبة، فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذ منه أصحابنا مقالتهم، والذي يقولونه في التوبة، فقد أتى على جوامعه عليه السلام في هذا الفصل على اختصاره.

قال أصحابنا: الكلام في التوبة يقع من وجوه: منها الكلام في ماهية التوبة والكلام في إسقاطها الذم والعقاب، والكلام في إنه يجب علينا فعلها، والكلام في شرطها.

أما ماهية التوبة فهي الندم والعزم، لان التوبة هي الإنابة والرجوع، وليس يمكن أن يرجع الانسان عما فعله إلا بالندم عليه، والعزم على ترك معاودته، وما يتوب الانسان منه، إما أن يكون فعلا قبيحا، وإما أن يكون إخلالا بواجب، فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه، ويعزم ألا يعود إلى مثله، وعزمه على ذلك هو كراهيته لفعله، والتوبة من الإخلال بالواجب هي ان يندم على إخلاله بالواجب

(١) المطففين: ١٨.

ويعزم على أداء الواجب فيما بعد.
فأما القول في أن التوبة تسقط العذاب فعندنا إن العقل يقتضي قبح العقاب بعد التوبة،
وخالف أكثر المرجئة في ذلك من الامامية وغيرهم، واحتج أصحابنا بقبح عقوبة المسئ
إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصله، والعلم بصدقه والعلم بأنه عازم على ألا يعود.
فأما القول في وجوب التوبة على العصاة، فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك، فأما
العقل فالقول فيه إنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة، أو يعلم إنها صغيرة،
أو يجوز فيها كلا الأمرين، فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها، لأن
التوبة مزيلة لضرر الكبيرة، وإزالة المضار واجبة في العقول، وإن
جوز كونها كبيرة وجوز كونها صغيرة، لزمه أيضا في العقل التوبة منها، لأنه يأمن بالتوبة
من مضرة

مخوفة، وفعل ما يؤمن من المضار المخوفة واجب، وإن علم أن معصيته صغيرة، وذلك
كمعاصي الأنبياء، وكمن عصى ثم علم بإخبار نبي إن معصيته صغيرة محبطة، فقد
قال الشيخ أبو علي: إن التوبة منها واجبة في العقول، لأنه إن لم يتب كان مصرا
والاصرار قبيح.

وقال الشيخ أبو هاشم: لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع، لأن فيها مصلحة
يعلمها الله تعالى، قال: إنه يجوز أن يخلو الانسان من التوبة عن الذنب، ومن الاصرار
عليه، لأن الاصرار عليه هو العزم على معاودة مثله، والتوبة منه أن يكره معاودة
مثله مع الندم على ما مضى، ويجوز أن يخلو الانسان من العزم على الشئ،
ومن كراهته.

ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلا، لدليل غير دليل أبي
على رحمه الله.

فأما القول في صفات التوبة وشروطها فإنها على ضربين:
أحدهما يعم (١) كل توبة، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه، فالأول هو الندم والعزم على ترك المعاودة.

وأما الضرب الثاني، فهو أن ما يتوب منه المكلف إما ان يكون فعلا أو إخلالا بواجب، فإن كان فعلا قبيحا وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله ان يندم عليه، لأنه فعل قبيح وأن يكره معاودة مثله لأنه قبيح، وإن كان إخلالا بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه، لأنه إخلال بواجب، وأن يعزم على فعل مثل ما أخل به لأنه واجب، فإن ندم خوف النار فقط، أو شوقا إلى الجنة فقط، أو لان القبيح الذي فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة (١)، وإن ندم على القبيح لقبحه ولخوف النار، وكان لو انفرد لقبحه ندم عليه، فإن توبته تكون صحيحة، وإن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه، فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده، والخلاف فيه مع الشيخ أبي علي وغيره من الشيوخ رحمهم الله، وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لان التوبة تجرى مجرى الاعتذار بيننا، ومعلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها، أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة، لما اعتذر ولا ندم، بل كان يواصل الإساءة، فإنه لا يسقط ذمه، فكذلك التوبة خوف النار لا لقبح الفعل.

وقد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البصري وعلي بن موسى الرضا والقاسم بن إبراهيم الزينبي.
قال أصحابنا: وللتوبة شروط آخر تختلف بحسب اختلاف المعاصي، وذلك إن

(١) د: (يغمر).

(٢) في ب: (توبة كانت صحيحة).. وصوابه من: د، ا.

ما يتوب منه المكلف، إما أن يكون فيه لآدمي، حق أو لا حق فيه لآدمي فما ليس للآدمي فيه حق فنحو ترك الصلاة، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ما قدمنا وما لآدمي فيه حق على ضربين: أحدهما أن يكون جناية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه، والآخر ألا يكون جناية عليه في شيء من ذلك، فما كان جناية عليه في نفسه أو أعضائه، أو ماله فالواجب فيه الندم والعزم، وأن يشرع في تسليم بدل ما أتلّف، فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب، وإن جنى عليه في دينه بان يكون قد أضله بشبهة استزله، بها فالواجب عليه مع الندم العزم والاجتهاد في حل شبهته من نفسه، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن، فإن مات قبل التمكن، أو تمكن منه واجتهد في حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال، فلا عقاب عليه، لأنه قد استفرغ جهده، فإن كانت المعصية غير جناية نحو أن يغتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه، لأنه ليس يلزمه أرش (١) لمن اغتابه فيستحله، ليسقط عنه الأرش، ولا غمه فيزيل غمه بالاعتذار، وفي ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه، فلم يجز ذلك، فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه، لأنه قد أوصل إليه مضرّة الغم، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار

(١) الأرش: دية الجراحات، وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم.

(٤٢٦)

الأصل:

وقال عليه السلام: الحلم عشيرة.

الشرح:

كان يقال: الحلم جنود مجندة لا أرزاق لها.

وقال عليه السلام: وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال.

وقال الشاعر:

وللكف عن شتم اللئيم تكرماً * أضر له من شتمه حين يشتم

وكان يقال: من غرس شجرة الحلم، اجتنى ثمره (١) السلم.

وقد تقدم من القول في الحلم ما فيه كفاية.

(١) في ب (شجرة) وهو تصحيف.

(٤٢٧)

الأصل:

قال عليه السلام:

مسكين ابن آدم! مكتوم الاجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنته العرقة.

الشرح:

قد تقدم هاهنا خبر المبتدأ عليه، والتقدير: (ابن آدم مسكين)، ثم بين مسكنته من أين هي؟ فقال: إنها من ستة أوجه: أجله مكتوم

لا يدرى متى يخترم، وعلله باطنة لا يدرى بها حتى تهيج عليه، وعمله محفوظ، (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة إلا أحصاها) (١)، وقرص البقة يؤلمه، والشرقة بالماء تقتله، وإذا عرق أنتنته العرقة الواحدة وغيرت ريحه، فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين لا محالة، لا ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر.

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٦٢)

(٤٢٨)

الأصل:

ويروى إنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه إذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام:

إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا، ما أفقهه!

قال: فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام:

رويدا إنما هو سب بسب، أو عفوا عن ذنب.

الشرح:

تقول: هب الفحل والتيس يهب بالكسر هيبا أو هبابا، إذا هاج للضراب

أو للسفاد، والهباب أيضا: صوت، والتيس إذا هب فهو مهباب، وقد هبهبتة، أي

دعوته لينزو (١) فتهبهب، أي تزعزع.

وسألني صديقنا علي بن البطريق عن هذه القصة فقال ما باله عفا عن الخارجي

وقد طعن فيه بالكفر، وأنكر على الأشعث قوله: (هذه عليك لا لك)، فقال:

(١) نزا: وثب.

ما يدريك عليك لعنه الله ما علي مما لي! حائك ابن حائك، منافق ابن كافر! وما واجهه به الخارجي أفضع مما واجهه الأشعث! فقلت: لا أدري.
قال: لان كل صاحب فضيلة يعظم عليه إن يطعن في فضيلته تلك، ويدعى عليه إنه فيها ناقص، وكان علي عليه السلام بيت العلم، فلما طعن فيه الأشعث طعن بأنك لا تدري ما عليك مما لك، فشق ذلك عليه، وامتعض منه، وجبهه ولعنه، وأما الخارجي فلم يطعن في علمه، بل أثبت له، واعترف به، وتعجب منه، فقال: (قاتله الله كافرا ما أفقهه!)، فاغترف له لفظة (كافر) بما اعترف له به من علو طبقتة في الفقه، ولم يخشن عليه خشونته على الأشعث، وكان قد مرن على سماع قول الخوارج:
أنت كافر، وقد كفرت، يعنون التحكيم، فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعاية له على ما مدحه به.

(٤٢٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

كفاك من عقلك، ما أوضح لك سبل غيك من رشذك.

الشرح:

يقول عليه السلام كفى الانسان من عقله ما يفرق به بين الغي والرشاد، وبين الحق من العقائد والباطل، فإنه بذلك يتم تكليفه، ولا حاجة في التكليف، والفرق بين الغي والرشد إلى زيادة على ذلك، نحو التجارب التي تفيده الحزم التام، ومعرفة أحوال الدنيا وأهلها، وأيضا لا حاجة له إلى أن يكون عنده من الفطنة الثاقبة والذكاء التام ما يستنبط به دقائق الكلام في الحكمة والهندسة والعلوم الغامضة، فإن ذلك كله فضل مستغنى عنه، فإن حصل للانسان فقد كمل، وإن لم يحصل للانسان فقد كفاه في تكليفه ونجاته من معاتب العصيان ما يفرق به بين الغي والرشاد، وهو حصول العلوم البديهية في القلب، وما جرى مجراها من علوم العادات، وما يذكره أصحابنا في باب التكليف.

(٦٥)

(٤٣٠)

الأصل:

وقال عليه السلام:

افعلوا الخير، ولا تحقروا منه شيئاً، فإن صغيره كبير، وقليله كثير
ولا يقولن أحدكم: إن أحداً أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك.

الشرح:

القليل من الخير خير من عدم الخير أصلاً.

قال عليه السلام: لا يقولن أحدكم إن فلاناً أولى بفعل الخير مني، فيكون والله
كذلك، مثاله قوم موسرون في محلة واحدة، قصد واحداً منهم سائل فردّه، وقال له:
اذهب إلى فلان، فهو أولى بأن يتصدق عليك مني، فإن هذه الكلمة تقال دائماً، نهى
عليه السلام عن قولها وقال: (فيكون والله كذلك)، أي أن الله تعالى يوفق ذلك
الشخص الذي أحيل ذلك السائل عليه، وييسر الصدقة عليه، ويقوى دواعيه إليها، فيفعلها
فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قد صادفت قدراً وقضاءً، ووقع الأمر بموجبها.

(٦٦)

(٤٣١)

الأصل:

إن للخير وللشر أهلا، فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله.

الشرح:

يقول عليه السلام إن عن لك باب من أبواب الخير وتركته، فسوف يكفيكه بعض الناس ممن جعله الله تعالى أهلا للخير وإسداء المعروف إلى الناس، وإن عن لك باب من أبواب الشر فتركته، فسوف يكفيكه بعض الناس ممن جعلتهم أنفسهم وسوء اختيارهم أهلا للشر وأذى الناس، فاختر لنفسك أيما أحب إليك، أن تحظى بالمحمدة والثواب، وتفعل ما إن تركته فعله غيرك وحظي بحمده وثوابه، أو أن تتركه، وأيما أحب إليك: أن تشقى بالدم عاجلا، والعقاب آجلا، وتفعل ما إن تركته كفاكه غيرك، وبلغت غرضك منه على يد غيرك، أو أن تفعله؟ ولا ريب أن العاقل يختار فعل الخير وترك الشر إذا أفكر حق الفكر فيما قد أوضحناه (١).

(١) ا: (وضح).

(٤٣٢)

الأصل:

وقال عليه السلام:

من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه، كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله، أحسن الله ما بينه وبين الناس.

الشرح:

لا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لأن القلب أمير مسلط على الجوارح، والرعية تتبع أميرها ولا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، وقد شهد بذلك الكتاب العزيز في قوله سبحانه: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (١). ولهذا أيضا علة ظاهره، وذلك إن من عمل لله سبحانه وللدين فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس، ولا شبهة إن الناس إذا حسنت عقيدتهم في إنسان وعلّموا متانه دينه بوبوا له إلى الدنيا أبوابا لا يحتاج أن يتكلفها، ولا يتعب فيها، فيأتيه رزقه من غير كلفه ولا كد، ولا ريب إن من أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس، وذلك لأن القلوب بالضرورة تميل إليه وتحبه، وذلك لأنه إذا كان محسنا بينه وبين الناس عف عن أموال الناس ودمائهم وأعراضهم، وترك الدخول فيما لا يعنيه، ولا شبهة أن من كان بهذه الصفة فإنه يحسن ما بينه وبين الناس.

(١) سورة الطلاق آية (٢، ٣).

(٤٣٣)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك.

الشرح:

لما جعل الله الحلم غطاء، والعقل حساماً، أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء

وأن يقاتل هواه بذلك الحسام، وقد سبق القول في الحلم والعقل.

(٦٩)

(٤٣٤)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إن لله عبادا يختصهم بالنعمة لمنافع العباد، فيقرها في أيديهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم، ثم حولها إلى غيرهم.

الشرح:

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم، وقد قالت الشعراء فيه فأكثر، وقريب من ذلك

قول الشاعر:

وبالناس عاش الناس قدما ولم يزل * من الناس مرغوب إليه وراغب

وأشد تصريحا بالمعنى قول الشاعر:

لم يعطك الله ما أعطاك من نعم * إلا لتوسع من يرجوك إحسانا

فان منعت فأخلق أن تصادفها * تطير عنك زرافات ووحانا

(٧٠)

(٤٣٥)

الأصل:

وقال عليه السلام:

لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافى إذ سقم
وبينا تراه غنيا إذ افتقر.

الشرح:

قد تقدم القول في هذا المعنى.

وقال الشاعر:

وبينما المرء في الاحياء مغتبط * إذ صار في اللحد تسفيه الأعاصير
وقال آخر:

لا يغرنك عشاء ساكن * قد يوافي بالمنيات السحر

وقال عبيد الله بن طاهر:

وإذا ما أعارك الدهر شيئا * فهو لا بد آخذ ما أعارا

آخر:

يغر الفتى مر الليالي سليمة * وهن به عما قليل عواثر

وقال آخر

ورب غنى عظيم الثراء * أمسى مقلا عديما فقيرا

وكم بات من مترف في القصور * فعوض في الصبح عنها القبورا

(٧١)

(٤٣٦)

الأصل:

وقال عليه السلام:

من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنما شكها إلى الله، ومن شكها إلى كافر فكأنما شكها الله.

الشرح:

قد تقدم القول في شكوى الحال وكرهيتها، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على إنه لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن، ويكرهها إلى غير المؤمن، وهذا مذهب ديني غير المذهب العرفي.

وأكثر مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه ينحو فيها نحو الدين والورع والاسلام، وكأنه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه، لأنه لا يشكو إلى المؤمن

إلا وقد خلت شكواه من التسخط والتأفف، ولا يشكو إلى الكافر إلا وقد شاب شكواه بالاستزادة والتضجر، فافتقرت الحال في الموضعين.

فأما المذهب المشهور في العرف والعادة فاستهجان الشكوى على الاطلاق لأنها دليل على ضعف النفس وخذلانها، وقلة الصبر على حوادث الدهر، وذلك عندهم غير محمود.

(٧٢)

(٤٣٧)

الأصل:

وقال عليه السلام في بعض الأعياد:

إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه، وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو يوم عيد.

الشرح:

المعنى ظاهر، وقد نقله بعض المحدثين إلى الغزل فقال:

قالوا أتى العيد قلت أهلا * إن جاء بالوصل فهو عيد

من ظفرت بالمنى يده * فكل أيامه سعود

ورأيت بعض الصوفية وقد سمع هذين البيتين من مغن حاذق، فطرب وصفق وأخذهما لمعنى عنده.

وقد قال بعض المحدثين في هذا المعنى أيضا:

قالوا أتى العيد والأيام مشرقة * وأنت تبكي وكل الناس مسرور

فقلت إن واصل الأحباب كان لنا * عيدا وإلا فهذا اليوم عاشور

(٧٣)

(٤٣٨)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله، فورثه رجلا فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة، ودخل الأول به النار.

الشرح:

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان السعيد: ابن الشقي، وذلك أن عبد العزيز بن مروان ملك ضياعا كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله، بل بسطان أخيه عبد الملك، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها، ثم تركها لابنه عمر، فكان ينفقها في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البر والقربات، إلى أن أفضت الخلافة إليه، فلما أفضت إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزقها بمحضر من الناس، وقال: هذه كتبت من غير أصل شرعي، وقد أعدتها إلى بيت المال.

(٧٤)

(٤٣٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إن أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعيًا، رجل أخلق بدنه في طلب
آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرتة وقدم على
الآخرة بتبعته.

الشرح:

هذه صورة أكثر الناس، وذلك لأن أكثرهم يكذب بدنه ونفسه في بلوغ الآمال
الدنيوية، والقليل منهم من تساعد المقادير على إرادته، وإن ساعدته على شيء منها بقي
في نفسه ما لا يبلغه، كما قيل:

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي

فأكثرهم اذن يخرج من الدنيا بحسرتة، ويقدم على الآخرة بتبعته، لأن تلك
الآمال التي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقه بأمور الدين والآخرة، لا جرم
إنها تبعات وعقوبات، ونسأل الله عفوه.

(٧٥)

(٤٤٠)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الرزق رزقان: طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجها عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه (١).

الشرح:

هذا تحريض على طلب الآخرة، ووعد لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفى رزقه منها.

وقد قيل: مثل الدنيا مثل ظلك، كلما طلبته بعد عنك، فان أدبرت عنه تبعك.

(١) د (رزقه منها).

(٧٦)

(٤٤١)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها،
واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم
وتركوا منها ما علموا إنه سياترهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودرّكهم
لها فواتاً، أعداء لما سالم الناس، وسلم لمن عادى الناس، بهم علم الكتاب، وبه
علموا، وبهم قام كتاب الله تعالى، وبه قاموا، لا يرون مرجواً فوق ما يرجون،
ولا مخوفاً فوق ما يخافون.

الشرح:

هذا يصلح أن تجعله الامامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم، لقوله:
فوق ما يرجون، بهم علم الكتاب، وبه علموا، وأما نحن فنجعله شرح حال العلماء
العارفين وهم أولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا
وزخرفها من المناكح والملابس والشهوات الحسية، نظروا هم إلى باطن الدنيا، فاشتغلوا
بالعلوم والمعارف والعبادة والزهد في الملاذ الجسمانية، فأماتوا من شهواتهم وقواهم
المدمومة كقوة الغضب وقوة الحسد ما خافوا أن يميتهم، وتركوا من الدنيا اقتناء الأموال
لعلمهم إنها ستتركهم، وإنه لا يمكن دوام الصحبة معها، فكان استكثار الناس من تلك
الصفات استقلالاً عندهم، وبلوغ الناس لها فوتاً أيضاً عندهم، فهم خصم لما سالمه الناس

(٧٧)

من الشهوات، وسلم لما عاداه الناس من العلوم والعبادات، وبهم علم الكتاب، لأنه لولاهم لما عرف تأويل الآيات المتشابهات، ولأخذها الناس على ظواهرها فضلوا وبالكتاب علموا، لان الكتاب دل عليهم، ونبه الناس على مواضعهم، نحو قوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١).
وقوله: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (٢).
وقوله: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (٣).
ونحو ذلك من الآيات التي تنادي عليهم، وتخطب بفضلهم، وبهم قام الكتاب لأنهم قرروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولاهم لم يتم على ذلك دلالة للعوام، وبالكتاب قاموا، أي باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا، لأنه لولا تأديبهم بآداب القرآن، وامثالهم أوامره، لما أغنى عنهم علمهم شيئا، بل كان وباله عليهم، ثم قال: إنهم لا يرون مرجوا فوق ما يرجون، ولا مخوفا فوق ما يخافون، وكيف لا يكونون كذلك ومرجوهم مجاورة الله تعالى في حظائر قدسه، وهل فوق هذا مرجو لراج، ومخوفهم سخط الله عليهم وإبعادهم عن جنابه، وهل فوق هذا مخوف لخائف.

(١) سورة فاطر ٢٨.

(٢) سورة الزمر ٩.

(٣) سورة البقرة ٢٦٩.

(٤٤٢)

الأصل:

وقال عليه السلام:

اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء التبعات.

الشرح:

قد تقدم القول في نحو هذا مرارا، وقال الشاعر:

تفنى اللذادة ممن نال بغيته * من الحرام، ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها * لا خير في لذة من بعدها النار.

وراود رجل امرأة عن نفسها، فقالت له: إن امرأ يبيع جنة عرضها السماوات

والأرض بمقدار إصبعين لجاهل بالمساحة، فاستحيا ورجع.

(٧٩)

(٤٤٣)

الأصل:

وقال عليه السلام: أخبر تقله.

قال الرضى رحمه الله تعالى: ومن الناس من يروى هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومما يقوى إنه من كلام أمير المؤمنين ما حكاه ثعلب قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: قال المأمون: لولا إن عليا عليه السلام قال: أخبر تقله، لقلت أنا: أقله تخبر.

الشرح:

المعنى اختبر الناس وجربهم تبغضهم، فإن التجربة تكشف لك مساويهم وسوء أخلاقهم، فضرب مثلا لمن يظن به الخير وليس هناك، فأما قول المأمون: لولا أن عليا قاله لقلت: أقله تخبر فليس المراد حقيقة القلى، وهو البغض بل المراد الهجر والقطيعة، يقول: قاطع أخاك مجربا له هل يبقى على عهدك أم ينقضه ويحوله عنك.

ومن كلام عتبة بن أبي سفيان: طيروا الدم في وجوه الشباب، فإن حلموا وأحسنوا الجواب فهم هم، وإلا فلا تظمعوها فيهم، يقول أغضبوهم لان الغضبان يحمر وجهه، فإن ثبتوا لذلك الكلام المغضب وحلموا وأجابوا جواب الحليم العاقل، فهم ممن يعقد عليه الخنصر ويرجى فلاحه، وإن سفهوا وشتموا ولم يثبتوا لذلك الكلام فلا رجاء لفلاحهم. ومن المعنى الأول قول أبي العلاء:

(٨٠)

جربت دهري وأهليه فما تركت * لي التجارب في ود امرئ غرضا (١).
وقال آخر:

وكنت أرى إن التجارب عدة * فخانث ثقات الناس حتى التجارب.
وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:
رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فأبرزه التمحيص حتى بدا ليا (٢).
آخر:

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما رجعت إلى سلم.
مثله:

ذممتك أولا حتى إذا ما * بلوت سواك عاد الذم حمدا
ولم أحمدك من خير ولكن * وجدت سواك شرا منك جدا
فعدت إليك مضطرا ذليلا * لأنني لم أجد من ذاك بدا
كمجهود تحامى أكل ميت * فلما اضطر عاد إليه شدا.
الذي يتعلق به غرضنا من الأبيات هو البيت الأول، وذكرنا سائرهما لحسنها.

(١) سقط الزند ٦٥٦.

(٢) الأغاني ١٢ : ٢١٤، وروايته (رأيت قصيا).

(٤٤٤)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما كان الله عز وجل ليفتح على عبد باب الشكر، ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء، ويغلق عنه باب الإجابة، ولا ليفتح عليه باب التوبة، ويغلق عنه باب المغفرة.

الشرح:

قد تقدم القول في الشكر واقتضائه الزيادة [و] (١) اقتضاء الدعاء الإجابة، والتوبة: المغفرة، على وجه الاستقصاء في الجميع.

(١) تكملة من د.

(٨٢)

(٤٤٥)

الأصل:

وقال عليه السلام:

أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام.

الشرح:

أعرقت وعرقت في هذا الموضع بمعنى، أي ضربت عروقه في الكرم، أي له

سلف وآباء كرام، وقال المبرد: أنشدني أبو محلم السعدي:

إنا سألنا قومنا فخيأرهم * من كان أفضلهم أبوه الأفضل (١)

أعطى الذي أعطى أبوه قبله * وتبخلت أبناء من يتبخل.

قال: وأنشدني أيضا في المعنى:

لطلحة بن خيثم حين تسأله * أندى وأكرم من فند بن هطال (٢)

وبيت طلحة في عز ومكرمة * وبيت فند إلى ربق وأحمال (٣)

إلا فتى من بني ذبيان يحملني * وليس يحملني إلا ابن حمال (٤)

فقلت طلحة أولى من عمدت له * وجئت أمشى إليه مشى مختال

مستيقنا أن حبلى سوف يعلقه * في رأس ذيالة أو رأس ذيال (٥)

(١) الكامل ١: ٣٦٣، وروايته: (أبوه الأول)

(٢) الكامل ١: ٣٦٣، وروايته: (لطلحة بن حبيب).

(٣) ربق: حبل فيه عدة عرا، تشد به البهم. وأحمال: جمع حمل، بالتحريك، وهو الخروف.

(٤) قال أبو العباس: (يعنى ذبيان بن بغيض بن ربث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر).

(٥) قوله: (في رأس ذيالة)، يعنى فرسا أنثى أو حصانا. والذيال: الطويل الذنب.

وقال آخر:
عند الملوك مضرة ومنافع * وأرى البرامك لا تضر وتنفع
إن العروق إذا استسر بها الثرى * أثرى النبات بها وطاب المزرع
وإذا جهلت من امرئ أعراقه * وقديمة فانظر إلى ما يصنع.
وقال آخر:
ان السرى إذا سرى فبنفسه * وابن السرى إذا سرى أسراهما.
وقال البحتري:
وأرى النجابة لا يكون تمامها * لنجيب قوم ليس بابن نجيب (١)

(١) ديوانه ١ : ٥٧.

(٤٤٦)

الأصل:

وسئل عليه السلام: أيما أفضل؟ العدل أو الجود؟ فقال:
العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام،
والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما.

الشرح:

هذا كلام شريف جليل القدر، فضل عليه السلام العدل بأمرين:
أحدهما ان العدل وضع الأمور مواضعها، وهكذا العدالة في الاصطلاح الحكمي،
لأنها المرتبة المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط، والجود يخرج الامر من موضعه،
والمراد بالجود هاهنا هو الجود العرفي، وهو بذل المقتنيات للغير، لا الجود الحقيقي،
لان الجود الحقيقي ليس يخرج الامر من جهته، نحو جود البارئ تعالى.
والوجه الثاني: إن العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية والدينية، وبه
نظام العالم وقوام الوجود، وأما الجود فأمر عارض خاص، ليس عموم نفعه كعموم
نفع العدل.

(٨٥)

(٤٤٧)

الأصل:

وقال عليه السلام: الناس أعداء ما جهلوا.

الشرح:

هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها، وقد تقدم ذكرها وذكر ما يناسبها. وكان يقال: من جهل شيئاً عاداه.

وقال الشاعر:

جهلت أمراً فأبديت النكير له * والجاهلون لأهل العلم أعداء.

وقيل لأفلاطون: لم يبغض الجاهل العالم، ولا يبغض العالم الجاهل؟ فقال:

لان الجاهل يستشعر النقص في نفسه، ويظن إن العالم يحتقره، ويزدرية فيبغضه،

والعالم لا نقص عنده ولا يظن إن الجاهل يحتقره، فليس عنده سبب

لبغض الجاهل.

(٨٦)

(٤٤٨)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: (لكيلا تأسوا
علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (١)، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح
بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

الشرح:

قد تقدم القول في هذين المعنيين بما فيه كفاية.

(١) سورة الحديد ٢٣.

(٨٧)

(٤٤٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الولايات مضامير الرجال.

الشرح:

أي تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار، وهو الموضع أو المدة التي تضمّر فيها الخيل، فمن الولاية من يظهر منه أخلاق حميدة، و منهم من يظهر منه أخلاق ذميمة.

وقال الشاعر:

سكرات خمس إذا منى المرء * بها صار عرضه للزمان

سكرات المال والحدائث والعشيق * وسكر الشراب والسلطان.

وقال آخر:

يا بن وهب والمرء في دولة السلطان * أعمى ما دام يدعى أميرا

فإذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا.

وقال البحتري:

وتاه سعيد أن أعير رياسة * وقلد أمرا كان دون رجاله

وضاق على حقي بعقب اتساعه * فأوسعته عذرا لضيق احتماله

فأدبر عنى عند إقبال حظه * وغير حالي عنده حسن حاله

فليت أبا عثمان أمسك تيهه * كما مسكه عند الحقوق بماله

(٤٥٠)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما أنقض النوم لعزائم اليوم!

الشرح:

هذه الكلمة قد سبقت، وتكلمنا عليها، وما أحسن قول المعري:

ما قضى الحاجات إلا شمل* نومه فوق فراش من نمال (١)

وقال الرضى رحمه الله:

عليها أخامس مثل الصقور* طوال الرجاء جسام الإرب

وكل فتى حظ أجفانه* من النوم مضمضة يستلب (٢)

فبينما يقال كرى جفنه* بقطع من الليل إذ قيل هب

(١) الشمل: السريع.

(٢) يقال: مضمض النعاس في عينه، إذا دب.

(٤٥١)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك.

الشرح:

هذا المعنى قد قيل كثيرا، ومن ذلك قول الشاعر:

لا يصدفك عن أمر تحاوله * فراق أهل وأحباب وجيران (١)

تلقى بكل ديار ما حلت بها (٢) * أهلا بأهل وأوطانا بأوطان

وقال شيخي أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة:

أنسيطني بلدي وأرض عشيرتي * ونزلت من نعمك أكرم منزل

وأخذت فيك مدائحي فكأنها * في آل شماس مدائح جرول.

أبو عبادة البحرني:

في نعمة أوطنتها وأقمت في * أكنافها فكأنني في منبج (٣)

ومنبج، هي مدينة البحرني.

أبو تمام:

كل شعب كنتم به آل وهب * فهو شعبي وشعب كل أديب (٤)

(١) في د: (فراق ربيع) والمعنى عليه يستقيم أيضا.

(٢) في د (بلاد) وهو مستقيم أيضا.

(٣) ديوانه ١: ١٠٣.

(٤) ديوانه ١: ١٣١.

ان قلبي لكم لكالكبد الحرى * وقلبي لغيركم كالقلوب
وقد ذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب، فجعلوا بعض البلاد أحق بالانسان
من بعض، وهو الوطن الأول ومسقط الرأس، قال الشاعر:
أحب بلاد الله ما بين منبج * إلى وسلمى أن يصبوب سحابها (١)
بلاد بها نيظت على تمائي * وأول أرض مس جلدي ترابها.
وكان يقال: ميلك إلى مولدك من كرم محتدك.
وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم، لما اشتكى
أحد الرزق.
وكان يقال: كما إن لحاضنتك حق لبنها فلاأرضك حرمة وطنها.
وكانت العرب تقول: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.
وقال الشاعر:
وكنا ألفتها ولم تك مألفا * وقد يؤلف الشئ الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الأرض التي لم يطب بها * هواء ولا ماء ولكنها وطن.
أعرابي:
رملة حضنتني أحشاؤها، وأرضعتني أحساؤها.
كانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه، وتطرحه
في الماء إذا شربته، وكذلك كانت فلاسفة يونان تفعل.
وقال الشاعر في هذا المعنى:
نسير على علم بكنه مسيرنا * بعفة زاد في بطون المزاد (٢)

(١) معجم البلدان ٨: ١٨٠ في ثلاثة أبيات نسبها إلى بعض الاعراب.

(٢) العفة: بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب أكثر ما فيه.

ولا بد في أسفارنا من قبضة * من التراب نسقاها لحب الموالد.
وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك، كان غذاؤك منهما وأنت جنين
وكان غذاؤهما منك.

ومن الكلام القديم: لولا الوطن وحبه لخرب بلد السوء.

ابن الرومي:

وحب أوطان الرجال إليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(٤٥٢)

الأصل:

وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله:
مالك، ومالك؟ والله لو كان جبلا لكان فندا، أو كان حجرا لكان صلدا
لا يرتقيه الحافر، ولا يوفى عليه الطائر.
قال الرضى رحمه الله تعالى:
الفند: المنفرد من الجبال.

الشرح:

يقال: إن الرضى ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل، وكتبت به نسخ متعددة
ثم زاد عليه إلى أن وفى الزيادات التي نذكرها فيما بعد.
وقد تقدم ذكر الأشتر، وإنما قال: لو كان جبلا لكان فندا لان الفند قطعة
الجبل طولاً، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت، ولذلك قال: لا يرتقيه الحافر،
لان القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها، ولو أخذت
عرضاً لأمكن صعودها.
ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم، فقال: ولا يوفى عليه الطائر، أي لا يصعد
عليه، يقال: أوفى فلان على الجبل: أشرف.

(٩٣)

(٤٥٣)

الأصل:

وقال عليه السلام:

قليل مدوم عليه، خير من كثير مملول منه.

الشرح:

هذا كلام يخاطب به أهل العبادات والصلاة، قال: قليل من النوافل يدوم المرء

عليه خير له من كثير منها يمله ويتركه.

والجيد النادر في هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ان هذا الدين متين،

فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى.

وكان يقال: كل كثير مملول.

وقالوا: كل كثير عدو للطبيعة.

وقال الشاعر:

إني كثرت عليه في زيارته * فمل والشئ مملول إذا كثرا

ورابني إني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عنى إذا نظرا

(٩٤)

(٤٥٤)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إذا كان في رجل خلة رائعة، فانتظروا منه أخواتها.

الشرح:

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا رأيناه وقد صدرت عنه حركة تروعك وتعجبك إما لحسنها أو لقبحها، مثل أن يتصدق بشيء له وقع ومقدار من ماله، أو ينكر منكرا عجز غيره عن انكاره أو يسرق أو يزني، فينبغي أن ينتظر ويتربص منه أخوات ما وقع منه، وذلك لان العقل والطبيعة التي فيه المحركة له إلى فعل تلك الحركة، لا بد أن تحركه إلى فعل ما يناسبها، لأنها ما دعت به إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة، بل لما فيها من المعنى المقتضى وقوعها، وهذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها،

ولذلك لا ترى أحدا قد اطلعت من حاله يوما على إنه قد شرب الخمر إلا وسوف تطلع فيما بعد منه على إنه يشربها، وبالعكس في الأمور الحسنة لا ترى أحدا قد صدر عنه فعل من أفعال الخير والمروءة إلا وستراه فيما بعد فاعلا نظيره أو ما يقاربه. وشم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا فحلم عنه، فقبل له في ذلك، فقال: دعوه فإنني قد قتلته بالحلم عنه، وسيقتل نفسه بجرأته، فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفیه فشم زيادا، وهو أمير البصرة حينئذ، وظن إنه كالأحنف، فأمر به فقطع لسانه ويده.

(٩٥)

(٤٥٥)

الأصل:

وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما:
ما فعلت أبلك الكثيرة؟ قال: ذدعتها الحقوق يا أمير المؤمنين، فقال عليه
السلام: ذلك احمد سبلها.

الشرح:

ذدعتها بالذال المعجمة مكررة: فرقتها، ذدعته فتذدع، وذدعة السر:
إذاعته، والذداع: الفرق المتفرقة، الواحدة ذدعة، وربما قالوا: تفرقوا ذداع.
دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقاب المجاشعي على أمير المؤمنين عليه السلام
أيام خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ، فقال له
أمير المؤمنين عليه السلام: من الشيخ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة، قال: ذو الإبل
الكثيرة؟ قال: نعم، قال: ما فعلت أبلك؟ قال: ذدعتها الحقوق، وأذهبتها الحملات
والنوائب، قال: ذاك أحمد سبلها، من هذا الغلام معك؟ قال: هذا ابني، قال:
ما اسمه؟ قال: همام، وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن
يكون شاعرا مجيدا، فقال: لو أقرأته (١) القرآن فهو خير له، فكان الفرزدق بعد يروى
هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى الا يفكه
حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى حفظه.

(١) في د (أقرئه) والمعنى عليه يستقيم أيضا.

(٤٥٦)

الأصل:

وقال عليه السلام:

من أتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا.

الشرح:

يقول تاجر فلان وأتجر فهو تاجر، والجمع تاجر، مثل صاحب وصاحب، والتجارة والتاجر بمعنى واحد، إذا أخذتهما مصدرين ل (تجر) وأرض متجرة، يتجر فيها. وارتطم فلان في الوحل والامر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه، وإنما قال عليه السلام ذلك لأن مسائل الربا مشتبهة بمسائل البيع، ولا يفرق بينهما إلا الفقيه، حتى إن العظماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمر فيها فاختلّفوا فيها أشد اختلاف، كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا، هل يجوز أم لا؟ وكذلك لبن البقر بلبن الغنم، وجلود البقر بجلود الغنم، فقال أبو حنيفة: اللحوم والألبان والجلود أجناس مختلفة، فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا، نظرا إلى أن أصولها أجناس مختلفة، والشافعي لا يجيز ذلك ويقول هو ربا، وكذلك القول في مدى عجوة ودرهم بمد عجوة. وكذلك بيع الرطب بالتمر متساويا كيلا، كل ذلك يقول الشافعي إنه ربا، وأبو حنيفة يخرجها عن كونه ربا، ومسائل هذا الباب كثيرة.

(٩٧)

(٤٥٧)

الأصل:

وقال عليه السلام:

من عظم صغار المصائب، ابتلاه الله بكبارها.

الشرح:

إنما كان كذلك لأنه يشكو الله ويتسخط قضاءه، ويجحد النعمة في التخفيف عنه، ويدعى فيما ليس بمجحف به من حوادث الدهر إنه مجحف، ويتألم بين الناس، لذلك أكثر مما تقتضيه نكبته، ومن فعل ذلك استوجب السخط من الله تعالى، وابتلى بالكثير من النكبة، وإنما الواجب على من وقع في أمر يشق عليه، ويتألم منه وينال من نفسه، أو من ماله نيلا ما، أن يحمد الله تعالى على ذلك، ويقول لعله قد دفع بهذا عني ما هو أعظم منه، ولئن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقي أجزاء كثيرة.

وقال عروة بن الزبير: لما وقعت الاكلة في رجله فقطعها ومات ابنه اللهم إنك أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فليهنك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

(٩٨)

(٤٥٨)

الشرح:

وقال عليه السلام:

من كرمته عليه نفسه، هانت عليه شهوته.

الشرح:

قد تقدم مثل هذا المعنى مرارا، ومن الكلام المشهور بين العامة: قبح الله امرأ تغلب شهوته على نخوته.

والجيد النادر في هذا قول الشاعر:

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا (١)

(١) لحاتم الطائي، ديوانه ١١٤.

(٤٥٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما مزح امرؤ مزحة، إلا مج من عقله مجة.

الشرح:

قد تقدم القول في المزاح.

وكان يقال: خير المزاح لا ينال، وشره لا يستقال.

وقيل: إنما سمي المزاح مزاحاً لأنه أزيح عن الحق.

(١٠٠)

(٤٦٠)

الأصل:

وقال عليه السلام:

زهديك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس.

الشرح:

أي نقصان حظ لك، وذلك لأنه ليس من حق من رغب فيك أن تزهد فيه لان الاحسان لا يكافأ بالإساءة، وللقصد حرمة، وللأمل ذمام، ومن طلب مودتك فقد قصدك وأملك، فلا يجوز رفضه وإطراحه والزهد فيه، وإذا زهدت فيه فذلك لنقصان حظك لا لنقصان حظه، فأما رغبتك في زاهد فيك فمذلة، لأنك تطرح نفسك لمن لا يعاب بك، وهذا ذل وصغار.

وقال العباس بن الأحنف في نسيبه، وكان جيد النسيب:

ما زلت أزهد في مودة راغب * حتى ابتليت برغبة في زاهد
هذا هو الداء الذي ضاقت به * حيل الطبيب وطال يأس العائد
أي ما زلت عزيزاً حتى أذلني الحب.

(١٠١)

(٤٦١)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشثوم عبد الله.

الشرح:

ذكر هذا الكلام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير، إلا إنه لم يذكر لفظة المشثوم.

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير، فإن هذا المصنف يذكر جمل أحوال الرجل دون تفاصيلها، ثم نذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى.

قال أبو عمر رحمه الله: يكنى (١) عبد الله بن الزبير أبا بكر، وقال بعضهم: أبا بكير، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى. والجمهور من أهل السير وأهل الأثر على أن كنيته أبو بكر، وله كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

(١) الاستيعاب ٩٠٤، طبعة نهضة مصر.

وكان أسن ولده، وخبيب هو صاحب عمر بن عبد العزيز الذي مات من ضربة إذ كان واليا على المدينة للوليد، وكان الوليد أمره بضربه فمات من أذية ذلك فوداه عمر بعد.

قال أبو عمر: (١) وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله باسم جده، وكناه بكنية جده عبد الله أبي بكر (١)، وهاجرت أمه أسماء من مكة إلى المدينة وهي حامل به، فولدته في سنه اثنتين من الهجرة لعشرين شهرا من التاريخ، وقيل: ولد في السنة الأولى، وهو أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين بعد الهجرة. وروى هشام بن عروة عن أسماء قالت: حملت بعبد الله بمكة، فخرجت وأنا متم (٢) فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعت في حجره، فدعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم حنكه بالتمر، ثم دعا له وبارك عليه، وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة، قال: ففرحوا به فرحا شديدا، وذلك انهم قد كان قيل لهم، إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.

قال أبو عمر: وشهد عبد الله الجمل مع أبيه وخالته، وكان شهما ذكرا ذا أنفه، وكان له لسن وفصاحة وكان اطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجدات والأمهات والخالات، إلا إنه كان فيه خلل لا يصلح معها للخلافة، فإنه كان بخيلا ضيق العطن سيئ الخلق حسودا، كثيرا الخلاف، أخرج محمد بن الحنفية من مكة والمدينة، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف.

(١ - ١) عبارة الاستيعاب: (كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم جده أبي أمه أبي بكر الصديق، وسماه باسمه).
(٢) المتمم: التي اكتملت مدة حملها.

وقال علي عليه السلام في أمره: ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله. قال أبو عمر: وبويع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر. وقال المدائني: بويع له بالخلافة سنة خمس وستين.

وكان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة، وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وحج بالناس ثمانين حجج، وقتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى، وقيل: من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وصلب بمكة بعد قتله، وكان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين، وحج الحجاج بالناس في ذلك العام، ووقف بعرفة وعليه درع ومغفر، ولم يطوفوا بالبيت في تلك السنة. فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً إلى أن قتله.

قال أبو عمر: فروى هشام بن عروة عن أبيه قال: لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي شاكية: فقال: كيف تجدينك يا أمه؟ قالت: ما أجدني إلا شاكية، فقال لها: إن في الموت لراحة، فقالت لعلك تمنيته لي، وما أحب أن أموت حتى يأتي علي إحدى حالتيك، أما قتلت فأحتسبك، وأما ظفرت بعدوك فقرت عيني.

قال عروة: فالتفت عبد الله إلى وضحك، فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد، فقالت يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل [مخافة القتل] (١)، فوالله لضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في مذلة، قال: فخرج

(١) من د.

عبد الله وقد نصب له مصراع عند الكعبة، فكان يكون تحته، فأتاه رجل من قريش فقال له: ألا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها؟ فقال: والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم، وهل حرمة البيت إلا كحرمة الحرم! ثم أنشد: ولست بمبتاع الحياة بسبه * ولا مرتق من خشية الموت سلما
ثم شد عليه أصحاب الحجاج، فسأل عنهم، فقبل هؤلاء أهل مصر، فقال لأصحابه: اكسروا أغماد سيوفكم، واحملوا معي، فإنني في الرعيل الأول، ففعلوا، ثم حمل عليهم وحملوا عليه، فكان يضرب بسيفين، فلحق رجلا فضربه فقطع يده، وانهمزوا وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد، وجعل رجل منهم أسود يسبه، فقال له: اصبر يا بن حام، ثم حمل عليه فصرعه، ثم دخل عليه أهل حمص من باب بنى شيبه فسأل عنهم، فقبل هؤلاء أهل حمص، فشد عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول:
لو كان قرني واحدا أرديته * أوردته الموت وقد ذكيتته.
ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر، فقال: من هؤلاء؟ قيل أهل الأردن، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول
لا عهد لي بغارة مثل السيل * لا ينجلي قتامها حتى الليل.
فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فأصابه بين عينيه، فنكس رأسه وهو يقول
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما (١)

(١) للحصين بن الحمام المري من المفضلية ١٢.

أنشده متمثلاً، وحماه موليان له، فكان أحدهما يرتجز فيقول
* العبد يحمي ربه ويحتمي *

قال: ثم اجتمعوا عليه، فلم يزالوا يضربونه ويضربهم حتى قتلوه وموليه جميعاً،
فلما قتل كبر أهل الشام، فقال عبد الله بن عمر: المكبرون يوم ولد خير من
المكبرين يوم قتل.

قال أبو عمر: وقال يعلى بن حرملة: دخلت مكة بعد ما قتل عبد الله بن الزبير
بثلاثة أيام، فإذا هو مصلوب، فجاءت أمه أسماء، وكانت امرأة عجوزاً طويلة مكفوفة
البصر تقاد، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها: المنافق؟ قالت:
والله ما كان منافقاً، ولكنه كان صواماً قواماً براً، قال: انصرفي فإنك عجوز قد
خرفت. قالت: لا والله ما خرفت، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول: (يخرج من ثقيف كذاب ومبير) (١)، أما الكذاب فقد رأيناه - تعني المختار -
وأما المبير فأنت.

قال: أبو عمر وروى سعيد بن عامر الخراز عن ابن أبي مليكة، قال: كنت الاذن
لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة، فدعت بمركن (٢) وشب يمان، فأمرتني
بغسله، فكنا لا نتناول منه عضواً إلا جاء معنا، فكنا نغسل العضو وندعه في أكفانه
ونتناول العضو الذي يليه فنغسله، ثم نضعه في أكفانه، حتى فرغنا منه، ثم قامت
فصلت عليه، وقد كانت تقول اللهم لا تمثني حتى تقرر عيني بجثته، فلما دفنته لم يأت
عليها جمعة حتى ماتت.

قال أبو عمر: وقد كان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك، فرغب إليه في إنزال
عبد الله من الخشبة، فأسعفه بذلك، فأنزل.

(١) المبير: المهلك.

(٢) المركن: الاناء.

قال أبو عمر: وقال علي بن مجاهد: قتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا، إن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة.

قال: أبو عمر وروى عيسى عن أبي القاسم، عن مالك بن أنس، قال: كان ابن الزبير أفضل من مروان وأولى بالامر منه ومن أبيه، قال: وقد روى علي بن المدائني، عن سفيان بن عيينة، إن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حولا لا يسأل الله لنفسه شيئا إلا الدعاء لأبيه.

قال أبو عمر: وروى إسماعيل بن عليه، عن أبي سفيان بن العلاء، عن ابن أبي عتيق، قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأرونيه، فلما مر قالوا: هذا ابن عمر فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري، قال: رأيت رجلا قد غلب عليك، ورأيتك لا تخالفينه - يعني عبد الله بن الزبير - فقالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت.

فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب أنساب قريش من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها، ونذكر اللباب منها، مع إنه قد أذنب في ذكر فضائله والثناء عليه، وهو معذور في ذلك، فإنه لا يلام الرجل على حب قومه، والزبير بن بكار أحد أولاد عبد الله بن الزبير، فهو أحق بتفريظه وتأيينه. قال الزبير بن بكار، أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق، وإنما سميت ذات النطاقين لان رسول الله صلى الله عليه وآله لما تجهز مهاجرا إلى المدينة ومعه أبو بكر

لم يكن لسفرتهم شناق (١)، فشقت أسماء نطاقها فشنتها به، فقال لها رسول الله

(١) الشناق: الحبل.

صلى الله عليه وآله: قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقين في الجنة فسميت ذات النطاقين. قال: وقد روى محمد بن الضحاک: عن أبيه إن أهل الشام كانوا وهم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون: يا بن ذات النطاقين. يظنون عيباً، فيقول ابنها: والإله، ثم يقول: إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب:

وعيرني الواشون إني أحبها* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها (١)
فإن اعتذر عنها فإني مكذب* وإن تعتذر يردد عليك اعتذارها
ثم يقبل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر -
فيقول: ألا تسمع يا بن أبي عتيق!

قال الزبير: وزعموا إن عبد الله بن الزبير لما ولد أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر في وجهه وقال: (أهو هو؟ ليمنعن البيت أو ليموتن دونه).
وقال العقيلي في ذلك:

بر تبين ما قال الرسول له* وذو صلاة بضاحي وجهه علم (٢)
حمامة من حمام البيت قاطنة* لا تتبع الناس إن جاروا وإن ظلموا.
قال: وقد روى نافع بن ثابت، عن محمد بن كعب القرظي، إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال: أهو هو؟ فتركت أسماء رضاعه، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ان أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك، فقال لها: (أرضعيه ولو بماء عينيك، كبش بين ذئاب عليها ثياب، ليمنعن الحرم أو ليموتن دونه).

قال: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: كان عبد الله بن الزبير يقول:
هاجرت بي أمي في بطنها، فما أصابها شيء من نصب أو مخمصة (٣) إلا وقد أصابني.

(١) ديوان الهذليين ١: ٢١، قال: ظاهر عنك، أي لا يعلق بك، أي يظهر عنك وينبو.
(٢) رواية: (د) (يزيني ذكر ما قال الرسول له) (٣) المخمصة: الجوع.

قال: وقالت عائشة: يا رسول الله، ألا تكنيني؟ فقال: تكنى باسم ابن أختك عبد الله، فكانت تكنى أم عبد الله.

قال: وروى هند بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دفع إلى دمه، فقال: اذهب به فواره حيث لا يراه أحد، فذهبت به فشربته، فلما رجعت قال: ما صنعت؟ قلت: جعلته في مكان أظن إنه أخفى مكان عن الناس، فقال: فلعلك شربته؟ فقلت: نعم.

قال: وقال وهب بن كيسان: أول من صف رجله في الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد، وكان مجتهدا.

قال: وخطب الحجاج بعد قتله (١) زجله بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلعت ثنيتها وردته، وقالت: ماذا يريد إلى ذلفاء تكلى حرى! وقالت:

أبعد عائد بيت الله تخطبني * جهلا جهلت وغب الجهل مذموم
فاذهب إليك فإني غير ناكحة * بعد ابن أسماء ما استن الدياميم
من يجعل العير مصفرا جحافله * مثل الجواد وفضل الله مقسوم!

قال: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن خاله يوسف بن الماجشون، قال: قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال: فليلة هو قائم حتى الصباح، وليلة هو راکع حتى الصباح، وليله هو ساجد حتى الصباح.

قال: وحدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره ورفعته إلى مسلم المكي، قال: ركع عبد الله بن الزبير يوما ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وما رفع رأسه.

(١) ضبط في د: (رجلة).

قال: وقد حدث من لا أحصيه كثرة من أصحابنا، إن عبد الله كان يواصل الصوم سبعا، يصوم يوم الجمعة فلا يفطر إلا يوم الجمعة الآخر، ويصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة.

قال: وقال عبد الملك بن عبد العزيز: وكان أول ما يفطر عليه إذا أفطر لبن لقمحه بسمن بقر، قال الزبير وزاد غيره: وصبر.

قال: وحدثني يعقوب بن محمد بن عيسى بإسناد رفعه إلى عروة بن الزبير، قال: لم يكن أحد أحب إلى عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبي بكر من عبد الله بن الزبير.

قال: وحدثني يعقوب بن محمد بإسناد يرفعه إلى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه قال: ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير.

قال: وحدثني مصعب بن عثمان، قال: أوصت عائشة إلى عبد الله بن الزبير وأوصى إليه حكيم بن حزام وعبد الله بن عامر بن كريز والأسود بن أبي البخري وشيبه بن عثمان والأسود بن عوف.

قال الزبير: وحدث عمر بن قيس، عن أمه قالت: دخلت على عبد الله بن الزبير بيته، فإذا هو قائم يصلي، فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوقت (١) على بطنه وهو نائم، فصاح أهل البيت: الحية الحية! ولم يزالوا بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي ما التفت ولا عجل، ثم فرغ من صلاته بعد ما قتلت الحية فقال: ما بالكم؟ فقالت أم هاشم: أي رحمك الله، رأيت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك! قال: ويحك! وما كانت التفاتة لو التفتها مبقية من صلاتي.

(١) في د: (فتطوت) والمعنى عليه يستقيم.

قال الزبير: وعبد الله أول من كسا الكعبة الديباج، وإن كان ليطيها حتى يجد ريحها من دخل الحرم. قال: ولم تكن كسوة الكعبة من قبله إلا المسوح (١) والأنطاع، فلما جرد المهدي بن المنصور الكعبة، كان فيما نزع عنها كسوة من ديباج مكتوب عليها: لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين. قال: وحدثني يحيى بن معين باسناد رفعه إلى هشام بن عروة، أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل وبه بضع وأربعون طعنة وضربة. قال الزبير: واعتلت عائشة مرة، فدخل عليها بنو أختها أسماء: عبد الله وعروة والمنذر، قال عروة: فسألناها عن حالها، فشكت إلينا نهكة من علتها فعزاها عبد الله عن ذلك، فأجابته بنحو قولها، فعاد لها بالكلام، فعادت له بالجواب، فصمت وبكى، قال عروة: فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما. قال: ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه، فأبهتت لبكائه، فبكت ثم قالت: ما أحقني منك يا بنى، ما أرى. فلم أعلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبوي أحدا أنزل عندي منزلتك، قال عروة: وما سمعت عائشة و أمي أسماء تدعون لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله، قال: وقال موسى بن عقبة أقراني: عامر بن عبد الله بن الزبير وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام وإلى عبد الله بن الزبير من بعده، وإنهما في وصيتي في حل وبل (٢).

قال: وروى أبو الحسن المدائني، عن أبي إسحاق التميمي، إن معاوية سمع رجلا ينشد:

ابن رقاش ماجد سميدع * يأبى فيعطى عن يد أو يمنع

(١) المسوح: (الكساء من الشعر، وجمعه مسوح.
(٢) في د (وتل) تصحيف. والبل: المباح، قالوا: هو لك حل وبل.

فقال: ذلك عبد الله بن الزبير وكان عبد الله من جملة النفر الذين (١) أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآن في المصاحف.
قال: وحدثنا محمد بن حسن، عن نوفل بن عمار، قال: سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية، فقال: الأسود بن المطلب بن أسد، وسهيل بن عمرو. وسئل عن خطبائهم في الاسلام، فقال: معاوية وابنه، وسعيد بن العاص وابنه، وعبد الله بن الزبير.

قال: وحدثنا إبراهيم بن المنذر، عن عثمان بن طلحة، قال: كان عبد الله بن الزبير لا ينازع في ثلاث: شجاعة، وعبادة، وبلاغة.
قال الزبير: وقال هشام بن عروة: رأيت عبد الله أيام حصاره والحجر من المنجنيق يهوى حتى أقول: كاد يأخذ بلحيته، فقال له: أبي أيا ابن أم، والله إن كاد ليأخذ بلحيتك، فقال عبد الله: دعني يا ابن أم، فوالله ما هي إلا هنة حتى كان الانسان لم يكن فيقول أبي وهو يقبل علينا بوجهه: والله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنة.

قال الزبير: فذكر هشام، قال: والله لقد رأيت يرمى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا يردد صوته، وربما مرت الشظية منه قريبا من نحره.
وقال الزبير: وحدثنا ابن الماجشون، عن ابن أبي مليكة عن أبيه قال: كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبد العزيز، فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده ادعو ثم لحقت عمر، فقال لي: ما خلفك؟ قال: كنت أدعو في موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو، فقال: ما تترك تحنناتك على ابن الزبير! أبدا فقلت والله ما رأيت

(١) ب: (الذي).

أحدا أشد جلدا على لحم، ولحما على عظم من ابن الزبير، ولا رأيت أحدا أثبت قائما، ولا أحسن مصليا من ابن الزبير، ولقد رأيت حجرا من المنجنيق جاءه فأصاب شرفة من المسجد، فمرت قذاذة منها بين لحيته (١) وحلقه، فلم يزل من مقامه، ولا عرفنا ذلك في صوته، فقال عمر: لا إله إلا الله، لجاد ما وصفت!

قال الزبير: وسمعت إسماعيل بن يعقوب التيمي يحدث، قال: قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير، فإنه ترمم على أصحابنا فتغشمروا عليه، فقال: عن أي حاله تسأل؟ أعن دينه، أم عن دنياه؟ فقال: عن كل، قال: والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب، ولا عصبا على عظم، مثل جلده على لحمه ولا مثل لحمه على عصبه، ولا مثل عصبه على عظمه، ولا رأيت

نفسا ركبت بين جنبيين، مثل نفس له ركبت بين جنبيين ولقد قام يوما إلى الصلاة، فمر به حجر من حجارة المنجنيق، بلبنه مطبوخة من شرفات المسجد، فمرت بين لحييه وصدرة، فوالله ما خشع لها بصره، ولا قطع لها قراءته، ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع، ولقد كان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شئ إليها، ولقد كان يركع في الصلاة فيقع الرخم على ظهره ويسجد فكأنه مطروح. قال الزبير: وحدث هشام بن عروة، قال: سمعت عمي، يقول: ما أبالي إذا وجدت ثلاثمائة يصبرون صبري، لو أجلب على أهل الأرض.

قال الزبير: وقسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله وهو حي، وكان أبوه الزبير قد أوصى أيضا بثلث ماله. قال: وابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص على إحضارهم، والاستشارة بهم في يوم التحكيم

(١) في د (لحييه).

وهم عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وأبو الجهم بن حذيفة، وجبير بن مطعم، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

قال: الزبير وعبد الله هو الذي صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة والزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له. قال: وأعطت عائشة من بشرها بان عبد الله لم يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم.

قلت: الذي يغلب على ظني ان ذلك كان يوم أفريقية، لأنها يوم الجمل كانت في شغل بنفسها عن عبد الله وغيره.

قال الزبير: وحدثني علي بن صالح مرفوعا إن رسول الله صلى الله عليه وآله كلم في صبية ترعرعوا، منهم عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن أبي سلمة، فقيل يا رسول الله، لو بايعتهم فتصيبهم بركتك، ويكون لهم ذكر! فأتى بهم فكأنهم تكعكعوا حين جئ بهم إليه، واقتحم ابن الزبير، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: انه ابن أبيه، وبايعهم.

قال: وسئل رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة في الصبيان، فقال: ما عندنا فيهم شيء، لأنهم يخلقون خلقا من بعد خلق، غير إنا نرمقهم، فإن سمعناه منهم من يقول في لعبة: من يكون معي؟ رأيناها همه وخبء صدق فيه، وإن سمعناه يقول مع من أكون؟ كرهناها منه. قال: فكان أول شيء سمع من عبد الله بن الزبير إنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان، فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا منه، ومشى ابن الزبير القهقري، ثم قال: يا صبيان، اجعلوني أميركم، وشدوا بنا عليه. قال: ومر به عمر بن الخطاب وهو مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال: لم (أ) لم تفر مع أصحابك؟ فقال: لم أجرم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك!

وروى الزبير بن بكار، إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا أفريقية في خلافه

(١) في د (مالك لا تفر)، وهو مستقيم أيضا.

عثمان، فقتل عبد الله بن الزبير جرجير أمير جيش الروم، فقال ابن أبي سرح: إني موجه بشيرا إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا، وأنت أولى من هاهنا، فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر، قال عبد الله: فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله وصنعه ونصره، ووصفت له أمرنا كيف كان، فلما فرغت من كلامي قال: هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس؟ قلت: وما يمنعني من ذلك! قال: فاخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله: فخرجت حتى جئت المنبر فاستقبلت الناس، فتلقاني وجه أبي، فدخلتني له هيبة عرفها أبي في وجهي، فقبض قبضة من حصباء، وجمع وجهه في وجهي وهم أن يحصبني فأحزمت، فتكلمت.

فزعوا أن الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال: والله لكأني أسمع كلام أبي بكر الصديق: من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما. قال الزبير: ويلقب عبد الله بعائد البيت، لاستعاذته به.

قال: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: إن الذي دعا عبد الله إلى التعوذ بالبيت شئ سمعه من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة، فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودع ووجه يريد الركوب، فأقبل على ابنه عبد الله، وقال: تالله ما رأيت مثلها لطالب رغبة أو خائف رهبة.

وروى الزبير بن بكار، قال: كان سبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة إنه كان يمشى بعد عتمة في بعض شوارع المدينة، إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مثلثا لا يبدو منه

إلا عيناه. قال: فأخذت بيده وقلت: ابن أبي سرح! كيف كنت بعدي؟ وكيف تركت أمير المؤمنين؟ يعني معاوية - وقد كان ابن أبي سرح عنده بالشام - فلم يكلمني، فقلت ما لك؟ أمات أمير المؤمنين؟ فلم يكلمني فتركته وقد أثبت معرفته، ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي رضي الله عنه، فأخبرته خبره، وقلت: ستأتيك رسل الوليد، وكان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن

أبي سفيان، فانظر ما أنت صانع! وأعلم أن رواحلي في الدار معدة، والموعد بيني وبينك أن تغفل عنا عيونهم، ثم فارقتهم فلم ألبث أن أتاني رسول الوليد، فجئته فوجدت الحسين عنده، ووجدت عنده مروان بن الحكم، فنعى إلى معاوية، فاسترجعت فأقبل علي، وقال: هلم إلى بيعة يزيد، فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك! فقلت إني قد علمت أن في نفسه علي شيئاً لتركي بيعته في حياة أبيه، وإن بايعت له علي هذه الحال توهم إني مكره علي البيعة، فلم يقع منه ذلك بحيث أريد، ولكن أصبح ويجتمع الناس، ويكون ذلك علانية إن شاء الله، فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان: هو الذي قلت لك، إن يخرج لم تره. فأحبيت أن ألقى بيني وبين مروان شراً نتشاغل به، فقلت له وما أنت وذاك يا بن الزرقاء! فقال لي، وقلت له، حتى توثبنا، فتناصيت أنا وهو، وقام الوليد فحجز بيننا، فقال مروان: أتحجز بيننا بنفسك، وتدع أن تأمر أعوانك! فقال: قد أرى ما تريد، ولكن لا أتولى ذلك منه والله أبداً، اذهب يا بن الزبير حيث شئت، قال: فأخذت بيد الحسين، وخرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد، وأنا أقول:

ولا تحسبني يا مسافر شحمة* تعجلها من جانب القدر جائع
فلما دخل المسجد افترق هو والحسين، وعمد كل واحد منهما إلى مصلاه يصلي فيه، وجعلت الرسل تختلف إليهما، يسمع وقع أقدامهم في الحصباء حتى هداً عنهما الحس، ثم انصرفا إلى منازلهما، فأتى ابن الزبير رواحله، فقعد عليها، وخرج من أدبار داره، ووافاه الحسين بن علي، فخرجا جميعاً من ليلتهم، وسلخوا طريق الفرع حتى مروا بالجشجاشة وبها جعفر بن الزبير قد ازدرعها، وغمز عليهم بعير من إبلهم فانتهوا إلى جعفر، فلما رأهم قال: مات معاوية؟ فقال عبد الله: نعم، انطلق

معنا وأعطنا أحد جميلك - وكان ينضح على جملين له - فقال جعفر متمثلاً:
إخوتي لا تبعدوا أبدا* وبلى والله قد بعدوا.

فقال عبد الله - وتطير منها: بفيك التراب! فخرجوا جميعاً حتى قدموا مكة، قال الزبير: فأما الحسين عليه السلام فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة والعراق، وقد كان قال لعبد الله بن الزبير: قد أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون لي بالطلاق والعتاق من أهل العراق، فقال: أخرج إلى قوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك، قال: وبعض الناس يزعم أن (١) عبد الله بن عباس هو الذي قال للحسين ذلك. قال الزبير: وقال هشام بن عروة: كان أول ما أفصح به عمى عبد الله وهو صغير: السيف، فكان لا يضعه من فيه، وكان أبوه الزبير إذا سمع منه ذلك يقول: أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام!

فأما خبر مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نورده من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله. قال أبو جعفر: حصر (١) الحجاج عبد الله بن الزبير ثمانية أشهر،

فروى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك، قال: رأيت منجنيق أهل الشام يرمى به، فرعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد على صوت المنجنيق، فأعظم أهل الشام ما سمعوه، فأمسكوا أيديهم، فرفع الحجاج بركة قبائه، فغرزها في منطقتة، ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه، ثم قال: ارموا، ورمى معهم، قال: ثم أصبحوا فجاءت

(١) كذا في د، وفي ب: (ابن) تصحيف.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٨٤٤، وما بعدها (طبعة أوربا)، مع تصرف واختصار.

(٣) بركة قبائه: مقدمه.

صاعقة يتبعها أخرى، فقتلت من أصحاب الحجاج اثني عشر رجلا، فأنكر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام، لا تنكروا هذا، فإني ابن تهامة، هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فأبشروا، فإن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم، فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ما أصاب الحجاج، فقال الحجاج: ألا ترون إنهم يصابون وأنتم على الطاعة، وهم على خلاف الطاعة! فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى تفرق عامة أصحاب ابن الزبير عنه، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان.

قال: وروى إسحاق بن عبيد الله، عن المنذر بن الجهم الأسلمي، قال: رأيت ابن الزبير، وقد خذله من معه خذلانا شديدا، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج، خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف، وذكر إنه كان ممن فارقه، وخرج إلى الحجاج ابناه: خبيب وحمزة، فأخذا من الحجاج لأنفسهما أمانا.

قال أبو جعفر: فروى محمد بن عمر، عن ابن أبي الزناد، عن مخرمة بن سلمان الوالبي، قال: دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه فقال: يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم إنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بك غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن قلت قد كنت على حق فلما وهن أصحابي وهنت وضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل

الدين، وكم خلودك في الدنيا، القتل أحسن، فدنا ابن الزبير فقبل رأسها، وقال: هذا والله رأيي الذي قمت به داعياً إلى يومى هذا، وما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، ولم يدعني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل محارمه (١)، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أمه، فإنني مقتول من يومى هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمى لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكراً، ولا عملاً بفاحشة، ولم يجر في حكم، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي. اللهم إني لا أقول هذا تزكية منى لنفسي، أنت أعلم بي، ولكنني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني. فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً أن تقدمتني، فلا أخرج من الدنيا حتى أنظر إلى ما يصير أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً! فلا تدعى الدعاء لي قبل وبعد، قالت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظما في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

قال أبو جعفر: وروى محمد بن عمر، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله، عن عمه، قال: دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر، فوقف فسلم، ثم دنا فتناول يدها فقبلها، فقالت هذا وداع فلا تبع، فقال: نعم، إني جئت مودعاً، إني لأرى إن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بي، واعلمي يا أمه إني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضره ما صنع به، فقالت صدقت يا بني، أتمم على بصيرتك، ولا تمكن ابن

(١) الطبري: (أن يستحل حرمه).

أبى عقيل منك، وادن منى أودعك، فدنا منها فقبلها وعانقها، فقالت حيث مست الدرع: ما هذا صنيع من يريد ما تريد! فقال: ما لبستها إلا لأشد منك، فقالت إنها لا تشد منى، فنزعها، ثم أخرج (١) كميته وشد أسفل قميصه، وعمد إلى جبة خبز تحت القميص، فأدخل أسفلها في المنطقة، فقالت أمه: شمر ثيابك، فشمرها، ثم انصرف وهو يقول:

إنني إذا أعرف يومى أصبر* إذ بعضهم يعرف ثم ينكر.
فسمعت العجوز قوله، فقالت تصبر والله، ولم لا تصبر وأبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب!

قال: وروى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال: شهدته والله ذلك اليوم ونحن خمسمائة من أهل حمص، فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا، وهو يشد علينا ونحن منهزمون وهو يرتجز:
إنني إذا أعرف يومى أصبر* وإنما يعرف يومية الحر*
وبعضهم يعرف ثم ينكر*

فأقول أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته يقف بالأبطح، لا يدنو منه أحد حتى ظننا إنه لا يقتل.

قال: وروى مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بنى أسد، قال: رأيت الأبواب قد شحنت بأهل (٢) الشام، وجعلوا على كل باب قائدا ورجالا وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بنى شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بنى جمح، ولأهل قنسرين باب بنى سهم، وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح إلى المروة، فمرة يحمل ابن الزبير

(١) الطبري: (أدرج).

(٢) الطبري: (من أهل الشام).

في هذه الناحية، ولكأنه أسد في أجمه ما يقدم عليه الرجال، فيعدو في أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان، يا أبا صفوان، ويل أمه فتحا لو كان له رجال! ثم يقول
* لو كان قرني واحدا كفيته (١) *

فيقول عبد الله بن صفوان: أي والله وألفا.

قال أبو جعفر: فلما كان يوم الثلاثاء، صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير تلك الليلة يصلي عامة الليل، ثم احتبى بحمائل سيفه، فأغفى ثم انتبه بالفجر، فقال: أذن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر، ثم تقدم وأقام المؤذن، فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ (ن والقلم) حرفا حرفا ثم سلم، ثم قام، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليها المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم، فقال: يا آل الزبير، لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا، لم تصبنا مذلة، ولم نقر على ضيم، أما بعد يا آل الزبير، فلا يرعكم وقع السيوف، فإني لم أحضر موطننا قط ارتثت فيه بين القتلى، وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها. صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم. لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه. فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة اعزل. غضوا أبصاركم عن البارقة، وليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولن: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول، ثم قال:

(١) من أبيات لدويد بن زيد بن نهد، طبقات الشعراء ٢٧، ٢٨.

أبي لابن سلمى إنه غير خالد * يلاقى المنايا أي وجه تيمما (١)
فلست بمبتاع الحياة بسبة * ولا مرتق من خشية الموت سلما.
ثم قال: احمّلوا على بركة الله، ثم حمل حتى بلغ بهم إلى الحجون، فرمى
بحجر، فأصاب وجهه، فأرعرش ودمي وجهه، فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه
ولحيته قال:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما (٢)
قال: وتقاووا عليه، وصاحت مولاة له مجنونة: وا أمير المؤمنيناه، وقد كان هوى،
ورأته حين هوى فأشارت لهم إليه، فقتل وإن عليه لثياب خز، وجاء الخبر إلى
الحجاج، فسجد وسار هو وطارق بن عمرو، فوقفا عليه، فقال طارق: ما ولدت النساء
أذكر من هذا، فقال الحجاج: أتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين! فقال طارق: هو
أعذر لنا، ولولا هذا ما كان لنا عذر، إنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن
ولا منعه منذ ثمانية أشهر ينتصف منا، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو،
قال، فبلغ كلامهما عبد الملك، فصوب طارقا.
قال: وبعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو
بن حزم إلى المدينة، فنصبت الثلاثة بها، ثم حملت إلى عبد الملك.
ونحن الآن نذكر بقية اخبار عبد الله بن الزبير ملتقطة من مواضع متفرقة:
رئي عبد الله بن الزبير في أيام معاوية واقفا بباب مية مولاة معاوية، فقيل له:

(١) للحصين بن الحمام المري، الأغاني ١٤ : ٨.

(٢) للحصين بن الحمام المري، ديوان الحماسة ١ : ١٩٢ - بشرح التبريزي.

يا أبا بكر، مثلك يقف بباب هذه! فقال: إذا أعييتكم الأمور من رؤوسها فخذوها من أذناها.

ذكر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه، وأراد منه البيعة له، فقال ابن الزبير: أنا أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تقدم، وتفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم، والتفكر قبل التندم، فضحك معاوية وقال: تعلمت يا أبا بكر الشجاعة عند الكبير.

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل، كان يطعم جنده تمرًا، ويأمرهم بالحرب، فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم: أكلتم تمرًا، وعصيتم أمري فقال بعضهم:

ألم تر عبد الله - والله غالب * على أمره - يبغى الخلافة بالتمر وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج، وكلما كسر رمحا أعطاه رمحا، فشق عليه ذلك، وقال: خمسة أرماع! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا. قال: وجاءه أعرابي سائل فرده، فقال له: لقد أحرقت الرمضاء قدمي، فقال: بل عليهما بيردان.

جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم، وقال: لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه

ابن مسور بن مخرمة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط، لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون: يا محمد، يا محمد! وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم، فاستخلصوا محمد

بن الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى: من كان يرى إن الله عليه حقا فليشم سيفه، فلا حاجة لي بأمر الناس، إن أعطيتها عفوا قبلتها، وإن كرهوا لم نبتزهم (١) أمرهم.

وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن: ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم إنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه * وحمال أثقال وفكاك غارم
تخبر من لاقيت إنك عائد * بل العائد المحبوس في سجن عارم.

وروى المدائني، قال: لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان، فنزل فصلي ركعتين، ثم رفع يديه يدعو، فقال: اللهم إنك تعلم إنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام، وإنني لا أحب أن تقبض روعي إلا فيه، وإن ابن الزبير أخرجني منه، ليكون الأقوى في سلطانه. اللهم فأوهن كيده، واجعل دائرة السوء عليه: فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها، فقالوا: مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه! أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تخيرها، فأنزل منها حيث أحببت، فنزل منزلا، فكان

(١) لم نبتزهم أمرهم: لم تسلبه منهم عفوا.

يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر، فيتكلم بينهم، كان يحمد الله ويذكر النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء بعده، ويقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا من يدانيهم، ولكن بقي أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضان، تحتها قلوب الذئاب والتمور، ليظن الناس إنهم من الزاهدين في الدنيا، يراءون الناس بأعمالهم، ويسخطون الله بسرائرهم، فادعوا الله أن يقضى لهذه الأمة بالخير والاحسان، فيولي أمرها خيارها وأبرارها، ويهلك فجارها وأشرارها، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك، فيفعلون.
فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني إنك تجلس بالطائف العصيرين فتفتيهم بالجهل، تعيب أهل العقل والعلم، وإن حلمي عليك، واستدامتي فيك جراك على، فاكفف - لا أبا لغيرك - من غربك، وأربع على ظلعك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا، ألم تسمع قول الشاعر:
ففسك أكرمها فإنك إن تهن * عليك فلن تلقى لها - الدهر - مكرما.
وإني أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا، ولتجدنني إلى ما يردعك عنى عجلا، فر رأيك، فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا تلم إلا نفسك.
فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إني أفتى الناس بالجهل، وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك. وذكرت إن حلمك عنى، واستدامتك في جرائني عليك، ثم قلت: اكفف من غربك، وأربع على

(١) يقال: أربع على ظلعك، أي افعل بقدر ما تطيق، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق.

ظلعك، وضربت لي الأمثال، أحاديث الضبع، متى رأيتني لعرامك (١) هائبا، ومن حدك ناكلا! وقلت: لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن أرعيت! فوالله انتهى عن قول الحق، وصفة أهل العدل والفضل، وذم الأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، والسلام.

قدم معاوية المدينة راجعا من حجة حجها، فكثر الناس عليه في حوائجهم، فقال لصاحب إبله: قدم إبلك ليلا حتى ارتحل، ففعل ذلك، وسار ولم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير، فإنه ركب فرسه وقفا أثره، ومعاوية نائم في هودجه، فجعل يسير إلى جانبه، فانتبه معاوية، وقد سمع وقع حافر الفرس، فقال: من صاحب الفرس؟ قال: أنا أبو حبيب، لو قد قتلتك منذ الليلة، يمازحه، فقال معاوية: كلا لست من قتلة الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، فقال ابن الزبير: إلى تقول هذا، وقد وقفت في الصف بإزاء علي بن أبي طالب، وهو من تعلم! فقال معاوية: لا جرم! إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، فقال ابن الزبير: أما والله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان فلم نجز به، فقال معاوية: حل هذا عنك، فوالله لولا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع، فقال ابن الزبير: أفعلتها يا معاوية! أما إنا قد أعطيناك عهدا، ونحن وافون لك به ما دمت حيا، ولكن ليعلمن من بعدك، فقال معاوية: أما والله ما أخافك إلا على نفسك، ولكأني بك وأنت مشدود مربوط في الأنشطة (٢)، وأنت تقول: ليت أبا عبد الرحمن كان حيا، وليتني كنت حيا يومئذ، فأحلك حلا رفيقا، ولبئس المطلق والمعترك والمسنون عليه أنت يومئذ!

(١) العرار: الشراسة والشدة.

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية وعنده عمرو بن العاص: فتكلم عمرو - وأشار إلى ابن الزبير - فقال: هذا والله يا أمير المؤمنين الذي غرته أناتك، وأبطره حلمك، فهو ينزو في نشطته نزو العير في حبالته، كلما قمصته الغلواء والشره سكنت الأنشطة منه النفرة، وأحربه أن يؤول إلى القلة أو الذلة، فقال ابن الزبير: أما والله يا بن العاص، لولا أن الايمان ألزمننا بالوفاء، والطاعة للخلفاء - فنحن لا نريد بذلك بدلا، ولا عنه حولا - ولكان لنا وله ولك شأن، ولو وكله القضاء إلى رأيك، ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لا تتوده المزاحمة، ولقاذفناه بحجر لا تنكؤه المراجعة، فقال معاوية: أما والله يا بن الزبير لولا إيثاري الأناة على العجل، والصفح على العقوبة، وإني كما قال الأول:

أجامل أقواما حياء وقد أرى * قلوبهم تغلي على مرضها
إذا لقرنتك إلى سارية من سوارى الحرم تسكن بها غلواءك، وينقطع عندها
طمعك، وتنقص من أملك، ما لعلك قد لويته فشزرتة، وفتلته فأبرمته. وأيم الله إنك
من ذلك لعلى شرف جرف بعيد الهوة، فكن على نفسك ولها، فما توبق ولا تنفذ
غيرها، فشأنك وإياها.

قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله جمعا كثيرة، فاستعظم الناس ذلك، فقال: إني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا
ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكبتهم.
لما كاشف عبد الله بن الزبير بني هاشم وأظهر بغضهم وعابهم، وهم بما هم به في

أمرهم، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبه، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه، لكنني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشربوا واحمرت ألوانهم، وطالت رقابهم، والله ما كنت لآتي لهم سرورا وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا، فإني لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا، لا أنماهم (١) الله ولا بارك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس.

فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين! أنا أول من أعانك في أمرهم، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي، فقال: والله ما قلت صوابا، ولا هممت برشد، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب، وإياهم تقتل، والعرب حولك! والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك، والله لو لم (٢) ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: اجلس أبا صفوان فلست بناموس (٣).

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد، فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس، إن ابن الزبير يزعم أن أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر، فيا عجا كل العجب لافترائه ولكذبه، والله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيرات (٤)

(١) لا أنماهم: لا أكثر عددهم.

(٢) في د (لولا).

(٣) الناموس: الحاذق.

(٤) العير - بالكسر: الإبل تحمل الميرة، بلا واحد من لفظها، وجمعه عيرات.

قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذبا (١)، وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب، والله لقد نشأت ناشتتنا مع ناشئة قريش، وإن كنا لقاتلهم (٢)، إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عد مجد كمجد أولنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا، لأنها في كفر ماحق، ودين فاسق، وضلة وضلالة، في عشواء (٣) عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا، وبعث لها سراجا، فانتجبه (٤) طيبا من طيبين، لا يسبه بمسبة، ولا يبغى عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا، وعمنا وابن عمنا (٥). ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا (٦) واحدا بعد واحد.

ثم إنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا، وأشرفهم حسبا، وأقربهم منه رحما.

وا عجبنا كل العجب لابن الزبير! يعيب بني هاشم، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صافية بنت عبد المطلب، قيل للبعل: من أبوك يا بعل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل.

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله، ويفتى في القملة والنملة، وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس، وترك المسلمين بها يرتضخون (٧) النوى، وكيف ألومه في ذلك، وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وقاه بيده!

(١) في الطبري: (وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا).

(٢) القالة: جمع قائل.

(٣) فتنة عشواء، مر العشى، وهو سوء البصر بالليل والنهار.

(٤) انتجبه: انتخبه.

(٥) ابن عمنا، أي علي بن أبي طالب.

(٦) اللحمة: القرابة.

(٧) يرتضخون النوى: يكسرونه.

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمه، استقبل بي وجه ابن الزبير، وأرفع من صدري، وكان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير، وأقام قامته فحسر عن ذراعيه، ثم قال: يا بن الزبير قد أنصف القارة من رامها * (١) إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاهنا على أخراها * حتى تصير حرضا دعواها (٢) يا بن الزبير، أما العمى فإن الله تعالى يقول: (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٣)، وأما فتياي في القملة والنملة، فإن فيها حكيمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك، وأما حملي المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه، وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا، وأما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة. وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك، فانطلق أبوك خالك إلى حجاب مده الله عليها، فهتكاه عنها، ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها، وصانا حلالهما في بيوتهما، فما أنصفا الله ولا محمدا من أنفسهما إن أبرزنا زوجة نبيه وصانا حلالهما. وأما قتالنا إياكم فإننا لقينا زحفا، فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا، وأيم الله لولا مكان صفية فيكم، ومكان خديجة فينا، لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته.

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سأله عن بردى عوسجة، فقالت ألم أنهك عن ابن عباس وعن بني هاشم! فإنهم كعم (٤) الجواب إذا بدهوا، فقال: بلى، وعصيتك.

(١) في اللسان: القارة: قوم رماة من العرب، وفي المصل: (قد أنصف القارة من رامها).

(٢) الحرض: الفساد في الذهن والعقل والبدن.

(٣) سورة الحج آية ٤٦.

(٤) كعم البعير: شد فاه لئلا يعض أو يأكل، والكعام - ككتاب - : ما يجعل على فمه، والجمع كعم، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظريهم.

فقلت يا بنى، احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقتة الإنس والجن، واعلم إن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها، فإياك وإياه آخر الدهر، فقال: أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي:

يا بن الزبير لقد لاقيت بائقة * من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشميا طاب منبته * في مغرسيه كريم العم والنخال
ما زال يقرع عنك العظم مقتدرا * على الجواب بصوت مسمع عال
حتى رأيتك مثل الكلب منجحرا * خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي
أن ابن عباس المعروف حكمته * خير الأنام له حال من الحال
غيرته المتعة المتبوع سنتها * وبالقتال وقد غيرت بالمال
لما رماك على رسل بأسهمه * جرت عليك بسيف الحال والبال
فاحتز مقولك الأعلى بشفرته * حزا وحييا بلا قيل ولا قال (١)
وأعلم بأنك إن عاودت غيبته * عادت عليك مخاز ذات أذيال.

وروى عثمان بن طلحة العبدري، قال: شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهدا ما سمعته من رجل من قريش، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم - وهو يومئذ أمير المدينة - سرير آخر أصغر من سرير، فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك، فأذن مروان يوما للناس، وإذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان، فأقبل ابن عباس فجلس على سرير، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث، وسكت مروان والقوم، فإذا يد ابن الزبير

(١) وحييا: سريعا.

تتحرك فعلم إنه يريد أن ينطق، ثم نطق فقال: إن ناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطا وفتنة ومغالبة، ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا، ويزعمون إنه لولا ما وقع لكان الامر لهم وفيهم، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد أثبت أيمانا، ولا أعظم سابقة من أبي بكر، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله! فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر، فلم يكن إلا ما قال، ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ، وجدهم في جدود، فقسمت تلك الحظوظ، فأخر الله سهمهم، وأدحض جدتهم، وولى الامر عليهم من كان أحق به منهم، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية، فأصابوا منه غرة فقتلوه، ثم قتلوه الله به قتله، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب.

فقال ابن عباس: على رسلك (١) أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئا إلا وصاحبنا خير ممن نالا، وما أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبنا عليه، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلا وفوق الأهل، ولولا إنك إنما تذكر حظ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك، ولكن وما أنت وما لاحظ لك فيه! اقتصر على حظك، ودع تيما لتيما، وعديا لعدي، وأممية لأمية، ولو كلمني تيما أو عدوى أو أموي لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر، لا خبر غائب عن غائب، ولكن ما أنت، وما ليس عليك! فإن يكن في أسد بن عبد العزى شئ فهو لك، أما والله لنحن أقرب بك عهدا، وأبيض عندك يدا، وأوفر عندك نعمة ممن أمسيت، تظن إنك تصول به علينا، وما أخلق ثوب صفية بعد! والله المستعان على ما تصفون.

(١) الرسل: الرفق والتؤدة.

أوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده، فقال: إني لا أخاف عليك إلا ممن أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمة، من القلوب إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة، والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن علي، فاقسم له نصيبا من حلمك، واخصمه بقسط وافر من مالك، ومتعه بروح الحياة، وأبلغ له كل ما أحب في أيامك، فأما من عداه فثلاثة: وهم عبد الله بن عمر رجل قد وقذته العبادة، فليس يريد الدنيا إلا أن تغيته طائعة لا تراق فيها محجمة دم، وعبد الرحمن بن أبي بكر، رجل هقل (١) لا يحمل ثقلا، ولا يستطيع نهوضا، وليس بذى همة ولا شرف ولا أعوان، وعبد الله بن الزبير وهو الذئب الماكر، والشعلب الخاطر، فوجه إليه جدك وعزمك ونكيرك ومكرك، واصرف إليه سطوتك، ولا تثق إليه في حال، فإنه كالشعلب، راغ بالختل عند الإرهاق، والليث صال بالجرأة عند الاطلاق، وأما ما بعد هؤلاء فإني قد وطأت لك الأمم، وذلت لك أعناق المنابر، وكفيتك من قرب منك، ومن بعد عنك: فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك.

خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته: يزيد القروذ، يزيد الفهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور! أما والله لقد بلغني إنه لا يزال مخمورا يخطب الناس وهو طافح في سكره. فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحره، وهو عشرون ألفا، وجلس والشموع بين يديه، وعليه ثياب معصفرة، والجنود تعرض عليه ليلا، فلما أصبح خرج فأبصر الجيش، ورأي تعبته فقال: أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى* وأخذ القوم على وادي القرى

(١) الهقل: الفتى من النعام.

عشرين ألفا بين كهل وفتى * أجمع سكران من القوم ترى
* أم جمع ليث دونه ليث الشرى *
لما خرج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده
على منكب ابن الزبير، وقال:
يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فيضي واصفري (١)
ونقري ما شئت أن تنقري * هذا الحسين سائر فأبشري
خلا الجو والله لك يا بن الزبير! وسار الحسين إلى العراق، فقال ابن الزبير: يا بن
عباس، والله ما ترون هذا الامر إلا لكم، ولا ترون إلا إنكم أحق به من جميع
الناس، فقال ابن عباس: إنما يرى من كان في شك، ونحن من ذلك على يقين
ولكن أخبرني عن نفسك، بماذا تروم هذا الامر؟ قال: بشرفي، قال: وبما ذا شرفت
إن كان لك شرف؟ فإنما هو بنا، فنحن أشرف منك، لان شرفك منا. وعلت
أصواتهما، فقال غلام من آل الزبير: دعنا منك يا بن عباس، فوالله لا تحبوننا يا بني هاشم
ولا نحبكم أبدا، فلطمه عبد الله بن الزبير بيده وقال: أتتكلم وأنا حاضر، فقال
ابن عباس: لم ضربت الغلام، والله أحق بالضرب منه من مزق ومرق، قال:
ومن هو؟ قال: أنت.
قال: واعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما.

(١) تنسب الأبيات إلى طرفة، العقد الثمين ١٨٥.

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية، فقال: اسمع أبياتا قلتها عاتبتك، فيها قال:
هات، فأنشده:

لعمري ما أدري وإني لأوجل * على أينما تعدو المنية أول
وإني أخوك الدائم العهد لم أزل * إن أعياك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة * واحبس يوما إن حبست فاعقل
وإن سؤتني يوما صفحت إلى غد * ليعقب يوم منك آخر مقبل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك فانظر أي كف تبدل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
وكنت إذا ما صاحب مل صحبتي * وبدل شرا بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أقم * علي الضيم إلا ريثما أتحول
وفي الناس إن رثت حبالك واصل * وفي الأرض عن دار القلى متحول
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ * إليه بوجه آخر الدهر تقبل.
فقال معاوية: لقد شعرت بعدي يا أبا خبيب، وبينما هما في ذلك دخل معن بن أوس
المزني، فقال له معاوية: إيه! هل أحدثت بعدنا شيئا؟ قال: نعم، قال قل، فأنشد
هذه الأبيات، فعجب معاوية وقال لابن الزبير: ألم تنشدها لنفسك آنفا، فقال: أنا
سويت المعاني، وهو ألف الألفاظ ونظمها، وهو بعد ظئري (١)، فما قال من شيء
فهو لي - وكان ابن الزبير مسترضعا في مزينة - فقال معاوية: وكذبا يا أبا خبيب!
فقام عبد الله فخرج.

(١) يقال: هي ظئره، وهو ظئره، وهم وهن أطاره، أي أخواته من الرضاعة.

وقال الشعبي: فقد رأيت عجا بفاء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم، فقالوا: ليقم كل واحد منكم، فليأخذ بالركن اليماني، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن وقال: اللهم إنك عظيم ترجي لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة بيتك هذا، ألا تخرجني من الدنيا حتى إلى الحجاز، ويسلم علي بالخلافة، وجاء فجلس.

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال: اللهم رب كل شيء، وإليك مصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء، ألا تميتني حتى إلى العراق، وأتزوج سكينه بنت الحسين بن علي، ثم جاء فجلس.

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال: اللهم رب السماوات السبع، والأرض ذات النبت والقفر، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك، وأسألك بحق وجهك، وبحقك على جميع خلقك، ألا تميتني حتى إلى شرق الأرض وغربها، لا ينازعي أحد إلا ظهرت عليه، ثم جاء فجلس.

فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن وقال: يا رحمن يا رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وبقدرتك على جميع خلقك، ألا تميتني حتى توجب لي الرحمة.

قال الشعبي: فوالله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل، وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته، وأن يكون من أهل الرحمة.

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة: هذا أدب ابن نهية، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب.

قال ابن مأكولا في كتاب الاكمال: (يعنى مصعب بن الزبير وعبد الله أخاه، وهي نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص، وهي أم ولد أسد بن عبد العزى بن قصي)، وهذا من المواضع الغامضة.

وروى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال: قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير، فأتوه في المسجد الحرام، فسلموا عليه، فسألهم عن معصب أخيه وعن سيرته فيهم، فأنثوا عليه، وقالوا، خيرا: وذلك في يوم الجمعة، فصلى عبد الله بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر، فحمد الله ثم تمثل:

قد جربوني ثم جربوني * من غلوتين ومن المئين (١)

حتى إذا شابوا وشيوني * خلوا عناني ثم سيوني (٢)

أيها الناس، إنني قد سألت الوفد من أهل العراق عن عاملهم معصب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه، وذكروا عنه ما أحب، ألا إن مصعبا طيبى (٣) القلوب حتى لا تعدل به، والأهواء حتى لا تحول عنه، واستمال الألسن بثنائها، والقلوب بنصائحها، والأنفس بمحبتها وهو المحبوب في خاصته، المأمون في عامته، بما أطلق الله به لسانه من الخير وبسط به يديه من البذل، ثم نزل.

وروى الزبير قال: لما جاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال:

(١) الغلوة: الغاية.

(٢) سيوني: تركوني.

(٣) اطى القلوب: استمالها.

الحمد لله الذي له الخلق والامر، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه ولو كان فردا، ولم

يعزز الله ولي الشيطان وحزبه وإن كان الأنام كلهم معه، ألا وإنه قد أتانا من العراق خبير أحزننا وأفرحنا، أتانا قتل المصعب رحمه الله، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكرم العزاء، وأما الذي أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة، وإن الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة. إلا إن أهل العراق، أهل الغدر والنفاق، أسلموه و باعوه بأقل الثمن، فإن يقتل المصعب فإننا لله وإنا إليه راجعون! ما نموت جبحا كما يموت بنو العاص، ما نموت إلا قتلا، قعصا (١) بالرماح، وموتا تحت ظلال السيوف، ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر (٢)، وإن تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الخرف المهتر، وإن يهلك المصعب فإن في آل الزبير لخلفا. ثم نزل.

وروى الزبير بن بكار قال: خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بإمامي عثمان، فعظمت مصيبتته، ثم أحسن الله وأجمل، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بأبي الزبير، فعظمت مصيبتته، فظننت إنني لا أجيزها، ثم أحسن الله وسلم، واستمرت مريرتي، وهل كان مصعب إلا فتى من فتياي! ثم غلبه البكاء فسالت دموعه وقال: كان والله سريرا مريرا، ثم قال:

(١) القعص: الموت السريع.
(٢) الأشر والبطر كلاهما بمعنى واحد.

هم دفعوا الدنيا على حين أعرضت * كراما وسنوا للكرام التأسيا.
وروى أبو العباس في الكامل إن عروة لما صلب عبد الله جاء إلى عبد الملك
فوقف ببابه، وقال للحاجب: أعلم أمير المؤمنين إن أبا عبد الله بالباب، فدخل الحاجب
فقال: رجل يقول قولاً عظيماً. قال: وما هو؟ فتهيب، فقال: قل. قال: رجل يقول:
قل لأمير المؤمنين: أبو عبد الله بالباب، فقال عبد الملك: قل لعروة يدخل، فدخل
فقال: تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزغن، فأمر بإنزاله. قال: وقد كان
كتب الحجاج إلى عبد الملك يقول: إن خزائن عبد الله عند عروة، فمره فليسلمها،
فدفع عبد الملك إلى عروة، وظن أنه يتغير، فلم يحفل بذلك كأنه ما قرأه، فكتب
عبد الملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة. ومن الكلام المشهور في بخل عبد الله بن الزبير
الكلام الذي يحكى أن
أعرايا (١) أتاه يستحمله، فقال: قد نقب خف راحلتي فاحملني (٢) إني قطعت الهواجر
إليك عليها، فقال له: ارفعها بسبت، واخصفها بهلب، وانجد بها، وسر بها البردين (٣)
فقال: إنما أتيتك مستحملاً، لم آتك مستوصفاً، لعن الله ناقة حملتني إليك، قال:
إن وراكبها (٤).

(١) الخبر في الأغاني ١: ١٥، ١٦.

(٢) الأغاني: (نفدت نفقتي، ونقبت راحلتي). ونقب البعير، إذا رقت أخفافه.

(٣) السبت: جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منها النعال السببية. والخصف: أن يظاهر الجلدين
بعضهما إلى بعض ويخرزهما. والهلب: شعر الخنزير الذي يخرز به، الواحد هلبة، وأنجد، إذا دخل بلاد
نجد، وهو موصوف بالبرد. والبردان: الغداة والعشي.

(٤) في الأغاني عن اليزيدي: (أن) ها هنا بمعنى نعم، كأنه إقرار بما قال، ومثله قول ابن قيس الرقيات:
ويقلن شيب قد علاك * وقد كبرت، فقلت إنه.

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فهجاه فقال:
أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية بالبلاد (١)
من الأعياص أو من آل حرب * أغر كغرة الفرس الجواد
دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، لا تدعن مروان يرمى
جماهير قريش بمشاقصه (٢)، ويضرب صفاتهم بمعوله. أما والله، إنه لولا مكانك لكان
أخف على رقابنا من فراشه، وأقل في أنفسنا من خشاشه (٣)، وأيم الله لئن ملك أعنة
خيل تنقاد له لتركب من طبقا (٤) تخافه.
فقال معاوية: إن يطلب مروان هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه، وأن
يتركه يتركه لمن فوقه، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم
بقراة، ولا يذكركم عند ملمة، يسومكم خسفا، ويسوقكم عسفا.
فقال ابن الزبير: إذن والله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور (٥) كرجل الجراد،
تتبع غطريفا (٦) من قريش لم تكن أمه راعية ثلة (٧).
فقال معاوية: أنا ابن هند، أطلقت عقال الحرب، فأكلت ذروة السنام، وشربت
عنفوان المكرع (٨) وليس للاكل بعدي إلا الفلذة (٩)، ولا للشارب إلا الرنق (١٠).

-
- (١) من ستة أبيات في الأغاني. وأبو خبيب كنية ابن الزبير، وخبيب ولده الأكبر. ويقال: نكده حاجته، إذا منعه إياها.
(٢) المشاقص: جمع مشقص، وهو النصل الطويل، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش.
(٣) الخشاشة: واحدة الخشاش، وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها.
(٤) الطباق: الحال، وفق قوله تعالى: (لتركب طبقا عن طبق).
(٥) تمور: تضطرب.
(٦) الغطريف: السيد الشريف.
(٧) الثلة: جماعة الغنم، أو الكثيرة منها.
(٨) عنفوان الشيء: أوله، أو أول بهجته. والمكرع: المورد، مفعل من كرع في الماء أو الاناء.
(٩) الفلذة: القطعة من اللحم.
(١٠) ماء رنق: كدر.

فسكت ابن الزبير.

قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافدا، فرحب به وأدناه حتى أجلسه على سريره، ثم قال: حاجتك أبا خبيب! فسأله أشياء، ثم قال له: سل غير ما سألت، قال: نعم، المهاجرون والأنصار ترد عليهم فيهم، وتحفظ وصية نبي الله فيهم، تقبل من محسنهم، وتتجاوز عن مسيئهم.

فقال معاوية: هيهات هيهات، لا والله ما تأمن النعجة الذئب وقد أكل أليتها (١).

فقال ابن الزبير: مهلا يا معاوية، فإن الشاة لتدر للحالب وإن المدينة في يده، وإن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صلبه، وما تدور الرحي إلا بقطبها، ولا تصلح القوس إلا بمعجسها (٢).

فقال: يا أبا خبيب، لقد أجزرت الطروقة قبل هباب الفحل (٣) هيهات، وهي لا تصطك لحبائها اصطكاك القروم السوامي (٤).

فقال ابن الزبير: العطن بعد العل، والعل بعد النهل، ولا بد للرحاء من الثفال (٥) ثم نهض ابن الزبير.

فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها، وخرج معاوية على بنى أمية فوجد عمرو

(١) الألية: ما ركب في العظم من شحم ولحم.

(٢) المعجس: المقبض.

(٣) ناقة طروقة الفحل: بلغت أن يضربها الفحل. وأجره رسنه: جعله يجره. وهب الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهبيبا، أراد السفاد.

(٤) تصطك: تضطرب. والقروم جمع قرم، وهو الفحل والسوامي: جمع سام، وصف من سما الفحل سماوة: تناول إلى الناقة التي تشول بذنبها رغبة اللقاح.

(٥) العطن: مبرك الإبل حول الحوض. والعل والعلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول. والثفال: جلد أو نحوه يبسط تحت الرحي ليقع عليه الطحين.

بن العاص فيهم، فقال: ويحكم يا بنى أمية! أفيكم من يكفيني ابن الزبير؟ فقال عمرو: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، قال: ما أظنك تفعل؟ قال: بلى والله لأربدن وجهه (١)، ولأخرسن لسانه، ولأردنه ألين من خميلة (٢).

فقال: دونك، فأعرض له إذا دخل، فدخل ابن الزبير - وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو - فجلس نصب عيني عمرو، فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو: وإني لنار ما يطاق اصطلاؤها* لدى كلام معضل متفاقم (٣) فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه وقال: وإني لبحر ما يسامي عبابه* متى يلق بحري حر نارك يحمد.

فقال عمرو: والله يا بن الزبير إنك ما علمت لمتجلبب جلايب الفتنة، متأزر بوصائل (٤) التيه، تتعاطى الذرا الشاهقة، والمعالي الباسقة، وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها (٥)!

فقال ابن الزبير: أما ما ذكرت من تعاطى الذرا فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله: أنف حمى، وقلب ذكى، وصارم مشرفي، في تليد فارع (٦)، وطريف مانع، إذ قعد بك انتفاخ سحرك (٧)، ووجيب قلبك (٨). وأما ما ذكرت من أنى لست من قريش في لباب جوهرها، ومؤنق حسبها، فقد حضرتني وإياك الأكفاء العالمون بي وبك، فاجعلهم بيني وبينك.

(١) أي لأصيرنه أريد، والربدة: لون إلى الغبرة.

(٢) الخميلة: القطيفة.

(٣) تفاقم الامر، إذا عظم.

(٤) الوصائل: جمع وصيلة، وهي ثوب مخطط يمان.

(٥) آتقني الشيء إيناقا، أعجبني فهو مؤنق.

(٦) فارع: عال.

(٧) السحر: الرئة، ويقال: انتفخ سحره، أي عدا طوره.

(٨) وجيب القلب: خفقانه واضطرابه.

فقال القوم: قد أنصفك يا عمرو، قال: قد فعلت.
فقال ابن الزبير: أما إذ أمكنني الله منك فلأربدن وجهك، ولأخرسن لسانك
ولترجعن في هذه الليلة، وكان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروق أخصعك، ثم
قال: أقسمت عليكم يا معاشر قريش، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو؟ فقالوا:
اللهم أنت، قال: فأبى أفضل أم أبوه؟ قالوا: أبوك حوارى رسول الله صلى الله عليه
 وآله وابن عمته، قال: فأبى أفضل أم أمه؟ قالوا: أمك أسماء بنت أبى بكر الصديق،
 وذات النطاقين، قال: فعمتي أفضل أم عمته؟ قالوا: عمك سلمى ابنة العوام صاحبة رسول
 الله

صلى الله عليه وآله أفضل من عمته، قال: فخالتي أفضل أم خالته؟ قالوا: خالك
عائشة أم المؤمنين، قال فجذتي أفضل أم جدته، فقال: جدتك صفية بنت عبد المطلب
 عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فجدي أفضل أم جده؟ قالوا: جدك أبو بكر
 الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

قضت الغطارف من قريش بيننا * فاصبر لفصل خصامها وقضائها (١)

وإذا جريت فلا تجار مبرزاً * بذ الجياد على احتفال جرائها (٢)

أما والله يا بن العاص، لو إن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من سامى
بصره، ولتركته يتلجلج لسانه، وتضطرم النار في جوفه، ولقد استعان منك بغير واف
ولجا إلى غير كاف، ثم قام فخرج.

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب إن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم
يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبى قبيس، وقد كان بيد ابن الزبير، فكتب

(١) الغطارف: جمع غطريف، وهو السيد.

(٢) برز تبريزاً: فاق أصحابه، وبذ: فاق وغلب. واحتفل القوم: اجتمعوا. والجراء والمجاراة،
مصدر (جارى).

بذلك إلى عبد الملك، فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق، فكبروا، وسأل الناس ما الخبر؟ فقبل لهم إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة، وظفر بأبي قبيس، فقال الناس: لا نرضى حتى يحمل أبو خبيب إلينا مكبلا على رأسه برنس، راكب جمل، يطاف به في الأسواق، تراه العيون.

وذكر المسعودي إن عمه عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير، وإن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة، وذلك قبل أن يقتل عبد الله وألا يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله ولا في نفسه، قال: فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فاخذ لعبد الله أمانا ورجع إليه، فقال: هذا عمرو بن عثمان، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وهما فتيا بنى أمية يعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما أحدثت أنت ومن معك، وأن تنزل أي البلاد شئت، ولك بذلك عهد الله وميثاقه، فأبى عبد الله قبول ذلك، ونهته أمه وقالت: لا تموتن إلا كريما، فقال لها: إني أخاف إن قتلت أن أصلب أو يمثل بي، فقالت إن الشاة بعد الذبح لا تحس بالسليخ.

وروى المسعودي إن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمره على الكوفة، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بنى أمية، فقال له المختار بن أبي عبيد: اطلب رجلا له رفق وعلم بما يأتي، وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام، فقال: أنت لها، فبعثه إلى الكوفة، فأتاها وأخرج ابن مطيع منها، وابتنى لنفسه دارا، وأنفق عليها مالا جليلا، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق، فلم يفعل، فخلعه ووجد بيعته، ودعا إلى الطالبين.

قال المسعودي: وأظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا، وملازمة العبادة، مع الحرص على الخلافة وشبر بطنه، فقال: إنما بطني شبر، فما عسى أن يسع ذلك الشبر! وظهر عنه شح عظيم على سائر الناس، ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير:

إن الموالى أمست وهي عاتبة * على الخليفة تشكوا الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا * أي الملوك على ما حولنا غلبا!
وقال فيه أيضا:

لو كان بطنك شيرا قد شبت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ما زلت في سورة الأعراف تدرسها * حتى فؤادي مثل الخبز في اللين.
وقال فيه شاعر أيضا، لما كانت الحرب بينه وبين الحصين بن نمير قبل أن يموت يزيد بن معاوية:

فيا راكبا أما عرضت فبلغن * كبير بنى العوام إن قيل من تعنى
تخبر من لاقيت إنك عائد * وتكثر قتلى بين زمزم والركن.
وقال الضحاك بن فيروز الديلمي:

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة * وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئا قضمته * كما قضمت نار الغضا حطب السدر
فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو.
قال: هو عمرو بن الزبير أخوه، ضربه عبد الله حتى مات وكان مباينا له (١).

(١) مروج الذهب ٣: ٨٤، ٨٥.

كان يزيد بن معاوية قد ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة، فسرح الوليد منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير، عليه عمرو بن الزبير، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه، فظفر به عبد الله، فأقامه للناس بباب المسجد مجردا، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات (١).
وقد رأيت في غير كتاب المسعودي، إن عبد الله وجد عمرا عند بعض زوجاته، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره.
قال المسعودي: ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم (٢)، وأراد قتله، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن، وتعسف الطريق على الجبال، حتى أتى منى، وبها أبوه محمد بن الحنفية (٣).
ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، وجعل في فم الشعب حطبا كثيرا، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فقال أبو عبد الله لأصحابه: ويحكم! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأنتى عليهم، فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريدة، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة، فقصده قصد الشعب، فأخرج الهاشميين منه، ونادى بشعار محمد بن الحنفية، وسماه المهدي، وهرب ابن الزبير، فلاذ بأستار الكعبة، فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣، ٨٥.

(٢) مروج الذهب: (سجن عارم).

(٣) في مروج الذهب: (ففي ذلك يقول كثير:

تخبر من لاقيت أنك عائد* بل العائد المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى* من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى نبي الله وابن وصيه* وفكأك أغلال وقاضي مغارم

وعن الحرب، وقال: لا أريد الخلافة إلا أن طلبني الناس كلهم، واتفقوا على كلهم، ولا حاجة لي في الحرب (١).

قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وان يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار (٢).

قال المسعودي: وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين، فقال: إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبى بيعتي، والموعود بيني وبينه أن تغرب الشمس، ثم أضرم عليه مكانه نارا، فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك، فقال: سيمنعه منى حجاب قوى، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس، ويرقب غيبوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير، فلما كادت تغرب حاست (٣) خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة وجعلت تمعج (٤) بين الصفا والمروة، وجاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه، فوقف على فم الشعب، واستخرج محمدا، ونادى بشعاره، واستأذنه في قتل ابن الزبير، فكره ذلك ولم يأذن فيه، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات (٥).

(١) مروج الذهب ٣: ٨٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٨٦.

(٣) حاست الخيل: أحاطت بها من كل جانب.

(٤) تمعج: تشتد في عدوها يمينا وشمالا.

(٥) مروج الذهب ٣: ٨٦، ٨٧.

وروى المسعودي عن سعيد بن جبير، إن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير: الام (١) تؤنبنني وتعنفني، قال ابن عباس: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره!)، وأنت ذلك الرجل، فقال ابن الزبير: والله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. وتشاجرا، فخرج ابن عباس من مكة، [خوفا على نفسه]، فأقام بالطائف حتى مات (٢). وروى أبو الفرج الأصفهاني (٣) قال: أتى فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير فقال: نفدت نفقتي، ونقبت ناقتي، فقال: أحضرنها، فأحضرها، فقال: أقبل بها، أدبر بها، ففعل، فقال: ارقعها بسبت، واحصفها بهلب، وأنجد بها يبرد خفها، وسر البردين تصح. فقال فضالة: إني أتيتك مستحملا، ولم أتك مستوصفا، فلعن الله ناقة حملتني إليك! فقال: إن وراكبها، فقال فضالة:

أقول لغلظة شدوا ركابي * أجاز بطن مكة في سواد
فما لي حين اقطع ذات عرق * إلى ابن الكاهلية من معاد (٤)
سيبعد بيننا نص المطايا * وتعليق الإداوى و المزداد (٥)
وكل معبد قد أعلمته * مناسمهن طلاع النجاد (٦)

-
- (١) في د: (علام).
(٢) مروج الذهب ٣: ٨٩ والزيادة منه.
(٣) الأغاني ١: ١٥، ١٦.
(٤) ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة.
(٥) نص المطايا: استخراج أقصى ما عندها من السير، والإداوى: جمع إداوة، وهي وعاء الماء. والمزداد: جمع مزادة، وهي الراوية التي يحمل فيها الماء.
(٦) المعبد: الطريق المذلل. وأعلمته مناسمهن: أثرت فيه بأخفافها. والنجاد: جمع نجد، وهو ما غلظ من الأرض.

أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية بالبلاد
من الأعياص أو من آل حرب * أغر كغرة الفرس الجواد
قال ابن الكاهلية: هو عبد الله بن الزبير، والكاهلية هذه هي أم خويلد بن
أسد بن عبد العزى، واسمها زهرة بنت عمرو بن خنثر بن رويته بن هلال، من بنى
كاهل بن أسد بن خزيمة - قال: فقال عبد الله بن الزبير لما بلغه الشعر: علم إنها شر
أمهاتي فغيرني بها، وهي خير عماته.
وروى أبو الفرج قال: كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله
بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها، فذكر لها إن خروجه كان غضبا
لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمهاجرين والأنصار من أثره معاوية وابنه
بالفء، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبایعه، فلما قدمت له عشائه ذكرت له
أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده، وأثنت عليه، وقالت: إنه ليدعو (١) إلى طاعة الله
عز وجل، وأكثرت القول في ذلك، فقال لها: ويحك! أما رأيت البغلات
الشهب التي كان يحج معاوية عليها، وتقدم إلينا من الشام، قالت: بلى، قال: والله
ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن (٢)!

(١) د: (إنه لا يدعو إلى طاعة الله).

(٢) الأغاني ٧: ٢٢، ٢٣.

(٤٦٢)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما لابن آدم والفخر! أوله نطفة، وآخره جيفة. لا يرزق نفسه،
ولا يدفع حتفه.

الشرح:

قد تقدم كلامنا في الفخر، وذكرنا الشعر الذي أخذ من هذا الكلام، وهو
قول القائل:

ما بال من أوله نطفة* وجيفة آخره يفخر

يصبح ما يملك تقديم ما* يرجو ولا تأخير ما يحذر!

[فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه]

وقال بعض الحكماء: الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الانسان، وذلك
نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله، وانحسر عنه قناع جهله، فأعراض الدنيا عارية
مستردة، لا يؤمن في كل ساعة أن ترتجع، والمباهي بها مباح بما في غير ذاته.
وقد قال لبعض من فخر بثروته ووفره: إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراة
له دونك، وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لهما دونك، وإن افتخرت بآبائك

(١٥٠)

وسلفك فالفضل فيهم لا فيك، ولو تكلمت هذه الأشياء لقلت لك: هذه محاسننا
فما محاسنك!

وأیضا فإن الاعراض الدنيوية كما قيل: سحابه صيف عن قليل تقشع، وظل
زائل عن قريب يضمحل، كما قال الشاعر:

إنما الدنيا كرؤيا فرحت * من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال: تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات
الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن
أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن
بالأمس) (١).

وإذا كان لا بد من الفخر فليخفر الانسان بعلمه وبشريف خلقه، وإذا أعجبك
من الدنيا شيء فاذكره فناءك وبقاءه، أو بقاءك وفناءه، أو فناءكما جميعا، وإذا راقك
ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك، وبعد رجوعه إليك، وطول حسابك
عليه وقد ذم الله الفخور فقال: (والله لا يحب كل مختال فخور) (٢).

(١) سورة يونس ٢٤.

(٢) سورة الحديد ٢٣.

(٤٦٣)

الأصل:

الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى.

الشرح:

أي لا يعد الغنى غنيا في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذي لا ينقطع أبداً، ولا يعد الفقير فقيراً إلا من لم يحصل له ذلك، فإنه لا يزال شقياً معذباً، وذلك هو الفقر بالحقيقة.

فأما غنى الدنيا وقرها فأمران عرضيان، زوالهما سريع، وانقضاؤهما وشيك. وإطلاق هاتين اللفظتين على مسماهما الدنيوي على سبيل المجاز عند أرباب الطريقة، أعني العارفين.

(١٥٢)

(٤٦٤)

الأصل:

وسئل عن أشعر الشعراء، فقال عليه السلام:
إن القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبته، فإن كان ولا بد
فالمملك الضليل.

قال: يريد امرأ القيس.

[في مجلس علي بن أبي طالب]

الشرح:

قرأت في أمالي ابن دريد، قال: أخبرنا الجرهموزي، عن ابن المهلب، عن
ابن الكلبي، عن شداد بن إبراهيم، عن عبيد الله بن الحسن العنبري، عن ابن
عزادة، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان
باللحم ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء
وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: اعلموا إن
ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم
الحلم، ثم قال: قل يا أبا الأسود: فيم (١) كنتم تفيضون فيه؟ أي الشعراء أشعر؟ فقال:
يا أمير المؤمنين الذي يقول:
ولقد أغتدي يدافع ركني * أعوجي ذو ميعة إضريح (٢)

(١) في د (ما كنتم)، وهو وجه أيضا.

(٢) ديوان أبي داود ٢٩٩.

مخلط مزيل معن مفن * منفح مطرح سبوح خروج.
يعنى أبا داود الأيادي، فقال عليه السلام: ليس به، قالوا فمن يا أمير المؤمنين؟
فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معا علمنا من السابق منهم، ولكن ان يكن
فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو الملك
الضليل ذو القروح، قيل: امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟ قال: هو قيل: فأخبرنا عن
ليلة القدر؟ قال: ما أدخلوا من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أن الله إنما
يسترها عنكم نظرا لكم، لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها، وأرجو أن
لا تخطئكم إن شاء الله، انهضوا رحمكم الله.
وقال ابن دريد لما فرغ من الخبر: إضريح: ينبثق في عدوه، وقيل واسع الصدر
ومنفح: يخرج الصيد من مواضعه، ومطرح: يطرح ببصره، وخروج: سابق.
والغاية بالغين المعجمة: الراية، قال الشاعر:
وإذا غاية مجد رفعت * نهض الصلت إليها فحواها.
ويروى قول الشماخ:
إذا ما رأيه رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين (١)
بالغين، والراء أكثر. فأما البيت الأول فبالغين لا غير، أنشده الخليل في عروضه،
وفي حديث طويل في الصحيح: (فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر
ألفا). والميعة أول جرى الفرس، وقيل: الجري بعد الجري.

(١) ديوانه ٩٧.

[اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض] وأنا أذكر في هذا الموضوع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض، وابتدئ في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني. قال أبو الفرج: الثلاثة المقدمون على الشعراء: امرؤ القيس، وزهير، والنابعة، لا اختلاف في إنهم مقدمون على الشعراء كلهم، وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض (١).

قال: فأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي قبيس، عن عكرمة بن جرير، عن أبيه، قال شاعر أهل الجاهلية زهير.

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمر بن شبة، عن هارون بن عمر، عن أيوب بن سويد، عن يحيى بن زياد، عن عمر بن عبد الله الليثي، قال: قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية: أين عبد الله بن عباس؟ فأتى به، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه. قال ابن عباس: فقلت له: أو لم يعتذر إليك؟ قال: بلى، قلت: فهو ما اعتذر به. قال: ثم أنشأ يحدثني فقال: إن أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة، قال أبو الفرج: ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب (٢)، فكرهت ذكرها ثم قال: يا بن عباس، هل تروى لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: ويحك! شاعر الشعراء، الذي يقول

فلو إن حمدا يخلد الناس خلدوا* ولكن حمد الناس ليس بمخلد

(١) الأغاني ١٠: ٢٨٨.

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ٤: ٢٢٢ - ٢٢٤ (طبعة المعارف).

فقلت ذاك زهير، فقال: ذاك شاعر الشعراء، قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟
قال: إنه كان لا يعاقل الكلام، ويتجنب وحشية، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه.
قال أبو الفرج: وأخبرني أبو خليفة قال ابن سلام: وأخبرني عمر بن موسى
الجمحي، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهل العلم - إنه كان يقدم زهيرا، قال:
فقلت له: أي شعره كان أعجب إليه؟ فقال: الذي يقول فيه:
قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا (١).
قال ابن سلام: وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أر بدويا يفني به - عن عكرمة
بن جرير، قال: قلت لأبي: يا أبت، من أشعر الناس؟ قال: عن أهل الجاهلية تسألني،
أم عن أهل الاسلام؟ قال: قلت: ما أردت إلا الاسلام، فإذا كنت قد ذكرت
الجاهلية فأخبرني عن أهلها، فقال: زهير أشعر أهلها، قلت: فالاسلام، قال: الفرزدق
نبعة الشعر، قلت: فالأخطل، قال: يجيد مدح الملوك، ويصيب وصف الخمر، قلت:
فما تركت لنفسك، قال: إني نحرته الشعر نحرا (٢).
قال: وأخبرني الحسن بن علي قال: أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، عن
عيسى بن يزيد، قال: سألت معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء؟ فقال: زهير،
قال: وكيف ذاك؟ قال: ألقى على المادحين فضول الكلام، وأخذ خالصه وصفوته،
قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:
وما يك من خير أتوه فإنما * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى إلا وشيخة * وتغرس إلا في منابتها النخل! (٣)
قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا

(١) الأغاني ١٠: ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) الأغاني ١٠: ٢٨٩، ٢٩٠ وفي د (نحرت الشعر نحرا).

(٣) الأغاني ١٠: ٢٩٠.

عبد الله بن عمرو القيسي قال: حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في أول غزاة غزاهما، فقال لي ليلة: يا ابن عباس، أنشدني لشاعر الشعراء، قلت: من هو؟ قال: ابن أبي سلمى. قلت: ولم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاقل في منطقته، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، أليس هو الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية* إلى المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز* سبوق إلى الغايات غير مزند.

قال: أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط.

كفعل جواد يسبق الخيل عفوة السراع وأن يجهد ويجهدن يبعد
فلو كان حمدا يخلد الناس لم تمت (١)* ولكن حمد الناس ليس بمخلد.

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر، فقال: حسبك الان، اقرأ القرآن.
قلت: ما أقرأ؟ قال: الواقعة، فقرأتها، ونزل فأذن وصلى (٢).

وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء: دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكرا، فلما قام الناس وبقي الخواص أراد الحاجب أن يقيمه، فأبى أن يقوم، فقال سعيد: دعه، وتذاكروا أيام العرب وأشعارها، فلما أسهبوا قال الحطيئة: ما صنعتم شيئا، فقال سعيد: فهل عندك علم من ذلك؟ قال: نعم، قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

قد جعل المبتغون الخير في هرم* والسائلون إلى أبوابه طرقا
قال: ثم من؟ قال: الذي يقول

(١) في د (خلدوا).
(٢) الأغاني ١٠: ٢٩٠، ٢٩١.

فإنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
يعنى زهيرا، ثم النابغة، ثم قال: وحسبك بي إذا وضعت إحدى رجلي على
الأخرى، ثم عويت في أثر القوافي كما يعوي الفصيل في أثر أمه، قال: فمن أنت؟ قال:
أنا الحطيئة، فرحب به سعيد، وأمر له بألف دينار.

قال: وقال: من احتج لزهير كان أحسنهم شعرا، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم
لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة في المدح، وأبعدهم تكلفا وعجرفية
وأكثرهم حكمة ومثلا سائرا في شعره.

وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: (أفضل شعرائكم
القائل ومن من)، يعنى زهيرا، وذلك في قصيدته التي أولها: (أمن أم أوفى)
يقول فيها:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو نال أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
فأما القول في النابغة الذبياني فإن أبا الفرج الأصفهاني قال في كتاب الأغاني:
كنية النابغة أبو أمامة، واسمه زياد بن معاوية، ولقب بالنابغة لقوله:
* فقد نبغت لهم منا شؤون *

وهو أحد الاشراف الذين غض الشعر منهم، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على
سائر الشعراء.

(١) الأغاني ١١ : ٣.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر قالاً: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبو نعيم، قال شريك عن مجالد، عن الشعبي، عن ربي بن حراش، قال: قال لنا عمر: يا معشر غطفان، من الذي يقول: أتيتك عارياً خلقتا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون. قلنا: النابغة، قال: ذاك أشعر شعرائكم (١). قلت: قوله: (أشعر شعرائكم)، لا يدل على إنه أشعر العرب، لأنه جعله أشعر شعراء غطفان، فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء، ولكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبراً آخر صريحاً في أن النابغة عند عمر أشعر العرب. قال: حدثني أحمد وحيب، عن عمر بن شبة، قال: حدثنا عبيد بن جنادة، قال: حدثنا معن بن عبد الرحمن، عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي، عن جده، عن الشعبي قال: قال عمر يوماً:

من أشعر الشعراء؟ فقليل له أنت أعلم يا أمير المؤمنين، قال: من الذي يقول: إلا سليمان إذ قال المليك له * قم في البرية فأحدها عن الفند (٢) وخيس الجن إني قد أذنت لهم (٣) * بينون تدمر بالصفاح والعمد (٤) قالوا النابغة، قال: فمن الذي يقول: أتيتك عارياً خلقتا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون قالوا النابغة، قال: فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب (٥)

(١) الأغاني ١١: ٣، ٤.

(٢) فأحدها: فامنعها. والفند: الخطأ.

(٣) خيس الجن، أي ذلهم، وفي الأغاني: (وخبر الجن).

(٤) تدمر: مدينة قديمة مشهورة كانت ببرية الشام. والصفاح: حجارة دقاق عراض واحدها صفاحة والعمد: جمع عمود.

(٥) بعده في الأغاني:

ولست بمستبق أخوا لا تلمه * على شعث، أي الرجال المهذب!

قالوا النابغة، قال: فهو أشعر العرب (١).
قال: وأخبرني أحمد، قال: حدثنا عمر، قال: حدثني علي بن محمد المدائني قال:
قام رجل إلى ابن عباس، فقال له: أي الناس أشعر؟ قال: أخبره يا أبا الأسود، فقال
أبو الأسود: الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت إن المنتأى عنك واسع
يعنى النابغة (٢).

قال أبو الفرج: وأخبرني أحمد وحبیب، عن عمر عن أبي بكر العليمي، عن
الأصمعي، قال: كان يضرب للنابغة قبة آدم بسوق عكاظ فتأتیه الشعراء فتعرض
عليه أشعارها، فأنشده مرة الأعشى، ثم حسان بن ثابت، ثم قوم من الشعراء، ثم
جاءت الخنساء فأنشدته:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
فقال: لولا أن أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدني أنفا لقلت إنك أشعر الإنس والجن
. فقام حسان بن ثابت فقال: أنا والله أشعر منها ومن أبيك، فقال له
النابغة: يا بن أخي، أنت لا تحسن إن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت إن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال * متينة تمد بها أيد إليك نوازع (٣)
قال: فحنس حسان لقوله (٤).

قال: وأخبرني أحمد وحبیب، عن عمر، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء

(١) الأغاني ١١ : ٤ ، ٥ .

(٢) الأغاني ١١ : ٥ .

(٣) الخطاطيف: جمع خطاف، وخطاف البئر حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها. وحجن:
معوجة، واحدها أحجن، والأنثى حجناء. ونوازع: جواذب.

(٤) حنس: انقبض: والخبر في الأغاني ١١ : ٦ .

قال: حدثني رجل سماه أبو عمرو وأنسيته، قال: بينما نحن نسير بين أنقاء من الأرض، فتذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطللس (١) يقول: أشعر الناس زياد بن معاوية، ثم تملس فلم نره.

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن الأصمعي، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: ما ينبغي لزهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة. قال أبو الفرج: وأخبرنا أحمد عن عمر، قال: قال عمرو بن المنتشر المرادي: وفدنا على عبد الملك بن مروان، فدخلنا عليه، فقام رجل فاعتذر من أمر وحلف عليه، فقال له عبد الملك: ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر، ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيكم يروى اعتذار النابغة إلى النعمان في قوله: حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب. فلم يجد فيهم من يرويه، فأقبل على وقال أترويه؟ قلت: نعم، فأنشدته القصيدة كلها، فقال: هذا أشعر العرب.

قال: وأخبرني أحمد وحبیب عن عمر، عن معاوية بن بكر الباهلي، قال: قلت لحمامد الراوية، لم قدمت النابغة؟ قال: لاكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف البيت، لا بل بربع البيت، مثل قوله: حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب ولست بمستبق أحبا لا تلمه * على شعث، أي الرجال المهذب ربع البيت يغنيك عن غيره، فلو تمثلت به لم تحتج إلى غيره. قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن هارون بن عبد الله

(١) الأنقاء: جمع نقا، وهو القطعة من الرمل. وأطللس تصغير أطللس، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد. وتملس: تملص وأفلت.

الزبيرى (١)، قال: حدثني شيخ يكنى أبا داود، عن الشعبي، قال: دخلت على عبد الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه، وذلك أول يوم وفدت فيه من العراق على عبد الملك، فقلت حين دخلت: عامر بن شراحيل الشعبي يا أمير المؤمنين، فقال، على علم ما أذنا لك، فقلت: هذه واحدة على وافد أهل العراق - يعنى إنه أخطأ - قال: ثم إن عبد الملك سال الأخطل: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فعجلت وقلت لعبد الملك: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسم، وقال: الأخطل، فقلت في نفسي اثنتان على وافد أهل العراق، فقلت له: أشعر منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه * مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث * الأصغر فالأعرج خير الأنام
ثم لعمرو ولعمرو وقد * أسرع في الخيرات منه أمام
قال: هي أمامة أم عمرو الأصغر بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان
بن الشقيقة:

خمسه آباء هم ما هم * أفضل من يشرب صوب الغمام.
والشعر للنابغة، فالتفت إلى الأخطل فقال: إن أمير المؤمنين إنما سألتني عن أشعر أهل زمانه، ولو سألتني عن أشعر أهل الجاهلية كنت حريا أن أقول كما قلت أو شبيها به، فقلت في نفسي: ثلاث على وافد أهل العراق.
قال أبو الفرج: وقد وجدت هذا الخبر أتم من هذه الرواية، ذكره أحمد بن الحارث الخراز في كتابه، عن المدائني، عن عبد الملك بن مسلم، قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، ولم يبق

(١) ب: (الزهري)، وصوابه في ا، د والأغاني.

(٢) في الأغاني: (ثم لهند ولهند فقد).

عندي شيء ألد من مناقلة الاخوان الحديث، وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلى، فدعا الحجاج الشعبي، فجهزه وبعث به إليه، وقرظه وأطراه في كتابه، فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن لي، قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبي قال: يرحمك (١) الله، قال: ثم نهض فأجلسني على كرسيه، فلم يلبث أن خرج إلى فقال: ادخل يرحمك الله، فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسي، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية، جالس على كرسي، فسلمت، فرد على السلام، فأوماً إلى بقضيبه، فجلست عن يساره، ثم أقبل على ذلك الانسان الذي بين يديه فقال له: من أشعر الناس؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: الشعبي فأظلم ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلت: ومن هذا الذي يزعم إنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين؟ فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي، فقال: هذا الأخطل، فقلت: يا أخطل، اشعر والله منك الذي يقول: هذا غلام حسن وجهه * مستقبل الخير سريع التمام الأبيات..

قال: فاستحسنها عبد الملك، ثم رددتها عليه حتى حفظها، فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبي فقال: والجيلون ما استعدت بالله من شر إلا من هذا - أي والإنجيل - صدق والله يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر مني، قال الشعبي: فأقبل عبد الملك حينئذ على فقال: كيف أنت يا شعبي؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين، فلا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذير لما كان من خلافي مع ابن الأشعث على الحجاج: فقال: مه إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا، ثم أقبل على فقال: ما تقول في النابغة؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضله عمر بن الخطاب

(١) رواية د (حياك الله).

في غير موطن على جميع الشعراء، ثم أنشدته الشعر الذي كان عمر يعجب به من شعره، وقد تقدم ذكره. قال: فاقبل عبد الملك على الأخطل فقال له: أتحب ان لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب، أم تحب إنك قلت، قال، لا والله يا أمير المؤمنين ألا إني وددت إني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا، ثم أنشده قول القطامي:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل * وإن بليت وإن طالت بك الطيل (١)
ليس الجديد به تبقى بشاشته (٢) * إلا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به * عين ولا حال إلا سوف تنتقل
أن ترجعي من أبي عثمان منجحة * فقد يهون على المستنجد العمل (٣)
والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهي ولام المنخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل.
قال الشعبي: فقلت: قد قال القطامي أفضل من هذا، قال: وما قال؟
قلت: قال:

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق (٤)
إلى آخرها فقال: عبد الملك ثكلت القطامي أمه! هذا والله الشعر، قال:
فالتفت إلى الأخطل فقال: يا شعبي، إن لك فنونا في الأحاديث، وإنما لي فن واحد
فإن رأيت ألا تحملي على أكتاف قومك فادعهم حرضا (٦)! فقلت لا أعرض
لك في شيء من الشعر أبدا، فأقمني هذه المرة، فقال: من يتكفل بك؟ قلت:

-
- (١) الطلل: ما شخص من آثار الديار. والطليل: جمع طيلة، وهي الدهر.
(٢) الضمير في (به) يعود على الدهر.
(٣) منجحة: ظافرة. والمستنجد: طالب النجاح.
(٤) المعنق: المكان الذي أعنقت منه، والعنق (بالتحريك) ضرب من السير السريع.
(٥) أوردها صاحب الأغاني.
(٦) الحرص: الردئ من الناس، أي أجعلهم بهجائي من أراذل الناس.

أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: هو على إنه لا يعرض لك أبدا، ثم قال عبد الملك:
يا شعبي، أي نساء الجاهلية أشعر؟ قلت: الخنساء؟ قال: ولم فضلتها على غيرها؟
قلت: لقولها:

وقائلة والنعش قد فات خطوها * لتدركه: يا لهف نفسي على صخر
ألا هبلت أم الذين غدوا به * إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر
فقال عبد الملك: اشعر منها والله التي تقول (١):

مهفهف أهضم الكشحين منخرق (٢) * عنه القميص بسير الليل محتقر
لا يأمن الدهر ممساه ومصبحه * من كل أوب وأن يغز ينتظر

قال: ثم تبسم عبد الملك وقال: لا يشقن عليك يا شعبي، فإنما أعلمتك هذا لأنه
بلغني إن أهل العراق يتناولون على أهل الشام، ويقولون إن كان
غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل
العراق، ثم

ردد على أبيات ليلي حتى حفظتها، ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج، فكنت
كذلك سنين، وجعلني في الفين من العطاء، وجعل عشرين رجلا من ولدي وأهل
بيتي في ألف ألف، ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر، وكتب إليه: يا أخي، قد
بعثت إليك بالشعبي، فانظر هل رأيت قط مثله (٣)!

قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر، إن أبا عبيدة قال: كان أوس
شاعر مضر حتى أسقطه النابغة، قال: وقد ذكر الأصمعي إنه سمع أبا عمرو بن العلاء
يقول: كان أوس بن حجر فحل العرب، فلما نشأ النابغة طأطأ منه (٤).
وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء: وقال من احتج للنابغة: كان أحسنهم

(١) هي ليلي أخت المنتشر بن وهب الباهلي.

(٢) مهفهف الكشح: ضامره.

(٣) الأغاني ١١: ٢١ - ٢٦.

ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا، كان شعره كلام ليس بتكلف، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، لان الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق، يتخير الكلام كيف شاء، قالوا والنابغة نبغ بالشعر بعد أن احتنك، وهلك قبل أن يهتر.

قلت: وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يفضل النابغة، واستقرأني يوما ويدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر، ويذكر مرضه، ويعتذر إليه مما كان اتهم به، وقذفه به أعداؤه، وأولها:
كتمت ليلا بالجمومين ساهرا * وهمين: هما مستكنا وظاهرا (١)
أحاديث نفس تشتكي ما يريها * وورد هموم لو يجدن مصادرا
تكلفني أن يغفل الدهر همها * وهل وجدت قبلي على الدهر ناصرا!
يقول هذه النفس تكلفني إلا يحدث لها الدهر هما ولا حزنا، وذلك مما لم يستطعه أحد قبلي.

ألم تر خير الناس أصبح نعشه * على فتية قد جاوز الحي سائرا!
كان الملك منهم إذا مرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين
الحيرة والخورنق والنحف، ينزهونه.

ونحن لديه نسأل الله خلده * يرد لنا ملكا وللأرض عامرا (٢)
ونحن نرجى الخير إن فاز قدحنا * ونرهب قدح الدهر إن جاء قامرا
لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا * وأصبح جد الناس بعدك عاثرا
وردت مطايا الراغبين وعريت * جياذك لا يحفى لها الدهر حافرا

(١) ديوانه ٣٩ - ٤٢. والجمومان: موضع.

(٢) الخلد: البقاء.

رأيتك ترعاني بعين بصيرة * وتبعث حراسا على وناظرا
وذلك من قول أتك أقوله * ومن دس أعداء إليك المآبرا (١)
فأليت لا آتيك إن كنت مجرما * ولا أبتغي جارا سواك مجاورا.
أي لا آتيك حتى يثبت عندك إني غير مجرم.
فأهلي فداء لامرئ إن أتيته * تقبل معروفني وسد المفاقرا (٢)
سأربط كلبي أن يرييك نبحه * وإن كنت أرعى مسحلان وحامرا (٣)
أي سأمسك لساني عن هجائك وإن كنت بالشام في هذين الواديين
البعيدين عنك.
وحلت بيوتي في يفاع ممنع * تخال به راعي الحمولة طائرا (٤)
تزل الوعول العصم عن قذفاته * ويضحى ذراه بالسحاب كوافرا
حذارا على الا تنال مقادتي * ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا
يقول: أنا لا أهجرك وإن كنت من المنعة والعصمة على هذه الصفة.
أقول وقد شطت بي الدار عنكم * إذا ما لقيت من معد مسافرا
ألا أبلغ النعمان حيث لقيته * فأهدى له الله الغيوث البواكرا
وأصبحه فلجا ولا زال كعبه * على كل من عادى من الناس ظاهرا
ورب عليه الله أحسن صنعه * وكان على كل المعادين ناصرا (٥)
فجعل أبو جعفر رحمه الله يهتز ويضطرب، ثم قال: والله لو مزجت هذه القصيدة بشعر
البحثري لكادت تمتزج لسهولتها وسلامة ألفاظها، وما عليها من الديباجة والرونق. من
يقول إن امرأ القيس وزهيرا أشعر من هذا! هلموا فليحاكموني.

(١) المآبر: النائم.

(٢) تقبل، بمعنى قبل. والمفافر: جمعه فقر.

(٣) الديوان (سأكعم كلبي) أي سأمسك. ومسحلان وعامر: موضعان.

(٤) اليفاع: المشرف من الأرض. والحمولة: الإبل التي أطاقت الحمل.

(٥) ربه: أتمه.

فأما امرؤ القيس بن حجر، فقال محمد بن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء: أخبرني يونس بن حبيب إن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم، وإن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وإن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابعة (١).

قال ابن سلام: فالطبقة الأولى إذن أربعة. قال: وأخبرني شعيب بن صخر، عن هارون بن إبراهيم، قال: سمعت قائلاً يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ فقال ذو القروح، يعني امرؤ القيس، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول: وقاهم جداهم بيني أبيهم* وبالأشقين ما كان العقاب. قال: وأخبرني إبان بن عثمان البجلي، قال: مر ليبد بالكوفة في بني نهد، فاتبعوه رسول يسأله: من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل. فأعادوه إليه، فقال: ثم من؟ فقال: الغلام القتيل - يعني طرفة بن العبد - وقال: غير إبان: قال: ثم ابن العشرين،

قال: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه (٤). قال ابن سلام: واحتج لامرئ القيس من يقدمه فقال: إنه ليس (٣) قال ما لم يقولوه، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها استحسنتها العرب، فاتبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وتشبيه النساء بالطباء، وبالبيض، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوابد، وأجاد في النسيب، وفصل بين النسيب وبين المعنى، وكان أحسن الطبقة تشبيهاً (٤). قال: وحدثني معلم لبني داود بن علي، قال: بينا أنا أسير في البادية إذا أنا برجل على ظليم قد زمه وخطمه وهو يقول:

(١) طبقات الشعراء ٤٤.

(٢) طبقات الشعراء ٤٤.

(٣) طبقات الشعراء: (ما قال ما لم يقولوا).

(٤) طبقات الشعراء ٤٦.

هل يبلغنيهم إلى الصباح * هقل كان رأسه جماح.
قال: فما زال يذهب به ظليمة ويجيء حتى أنست به وعلمت إنه ليس بإنسي
فقلت يا هذا، من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:
أعرك مني أن أحبك قاتلي * وإنك مهما تأمري القلب يفعل
يعنى امرأ القيس، قلت: ثم من؟ قال: الذي يقول:
ويبرد برد رداء العروس * بالصيف رقرقت فيه العبير
ويسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب إلا هريرا.
ثم ذهب به ظليمة فلم أره (١).

قال: وحدث عوانه، عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لحسان بن
ثابت: من أشعر العرب؟ قال: الزرق العيون من بنى قيس، قال: لست أسألك عن
القبيلة، إنما أسألك عن رجل واحد، فقال حسان: يا رسول الله، إن مثل الشعراء
والشعر كمثل ناقة نحرت، فجاء امرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها وأطاييها، ثم جاء
المتجاوران من الأوس والخزرج فأخذوا ما وإلى ذلك منها، ثم جعلت العرب تمزعها
حتى إذا بقي الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه، فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله: (ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها حامل يوم القيامة، معه
لواء الشعراء إلى النار) (٢).

فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون
الشعر، وأكثرهم قصيدة طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا وهجاء، وكان أول من سأل

بشعره، وإن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة. وقد سئل خلف الأحمر: من أشعر الناس؟ فقال: ما ينتهي إلى واحد يجمع عليه كما لا ينتهي إلى واحد هو أشجع الناس، ولا أخطب الناس، ولا أجمل الناس، فقيل له: يا أبا محرز فأيهم أعجب إليك؟ فقال: الأعشى كان أجمعهم. قال ابن سلام: وكان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره، ويقول: نظيره في الاسلام جرير، ونظير النابغة الأخطل، ونظير زهير الفرزدق (١).
فأما قول أمير المؤمنين عليه السلام: (الملك الضليل) فإنما سمي امرؤ القيس ضليلا لما يعلن به في شعره من الفسق، والضليل: الكثير الضلال كالشريب، والخمير، والسكير، والفسيق، للكثير الشرب وإدمان الخمر والسكر والفسق، فمن ذلك قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا * فألهيته عن ذي توائم محول (٢)
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول.
وقوله:

سموت إليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال (٣)
فقلت لحاك الله إنك فاضحي * ألسنت ترى السمار والناس أحوالي
فقلت لها تالله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

(١) طبقات الشعراء.

(٢) ديوانه ١٢.

(٣) ديوانه ٣١ - ٣٢.

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فدلّت صعبة أي أذلال
حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما إن من حديث ولا صالي
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلمها * عليه القتام كاسف الوجه والبأل.
وقوله في اللامية الأولى:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل (١)
تخطيت أبوابا إليها ومعشرا * على حراصا لو يسرون مقتلي
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر إلا لبسه المتفضل
فقلت يمين الله ما لك حيلة * وما أن أرى عنك الغواية تنجلي
فقمتم بها أمشى نجر وراءنا * على أثرنا أذيال مرط مرجل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل
هصرت بفودي رأسها فتمايلت * على هضيم الكشح ريا المنخلخل.
وقوله:

فبت أكابد ليل التمام * والقلب من خشية مقشعر
فلما دنوت تسديتها * فثوبا نسيت وثوابا أجر
ولم يرنا كالي كاشح * ولم يبد منا لدى البيت سر
وقد رابني قولها يا هناه * ويحك ألحقت شرا بشرا!

(١) ديوانه ١٣ - ١٥.

وقوله:

تقول وقد جردتها من ثيابها * كما رعت مكحول المدامع أتلعا (١)
لعمرك لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا نصد الوحش عنا كأننا * قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
تجافى عن المأثور بيني وبينها * وتدنى على السابري المضلعا
وفى شعر امرئ القيس من هذا الفن كثير، فمن أراد فليطلبه من
مجموع شعره.

(١) ديوانه ٢٤١.

(١٧٢)

(٤٦٥)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها! إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها.

الشرح:

اللماظة بفتح اللام: ما تبقى في الفم من الطعام، قال يصف الدنيا:
* لமாظة أيام كأحلام نائم *

ولمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه واخرج لسانه فمسح به شفثيه، وكذلك التلمظ، يقال: تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلمظ الاكل.

وقال: (ألا حر)، مبتدأ، وخبره محذوف أي في الوجود. وألا حرف، قال:

إلا رجل جزاه الله خيرا * يدل على محصلة تبيت.

ثم قال: إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها، من الناس من يبيع نفسه بالدراهم والدنانير، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها، ويتبع هواه فيهلك، وهؤلاء في الحقيقة أحمق الناس، إلا إنه قد رين على القلوب، فغطتها الذنوب،

واظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة، وطال الأمد أيضا على القلوب فقست، ولو أفكر الانسان حق الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير.

(١٧٣)

(٤٦٦)

لأصل:

وقال عليه السلام: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

الشرح:

تقول: نهم فلان بكذا فهو منهوم، أي مولع به، وهذه الكلمة مروية عن النبي صلى الله عليه وآله: (منهومان لا يشبعان: منهوم بالمال، ومنهوم بالعلم). والنهم بالفتح: إفراط الشهوة في الطعام، تقول منه: نهمت إلى الطعام بكسر الهاء إنهم فأنا نهم، وكان في القرآن آية أنزلت ثم رفعت: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب). فأما طالب العلم العاشق له، فإنه لا يشبع منه أبدا، وكلما استكثر منه زاد عشقه له، وتهالكه عليه. مات أبو عثمان الجاحظ والكتاب على صدره. وكان شيخنا أبو علي رحمه الله في النزاع وهو يملي على ابنه أبي هاشم مسائل في علم الكلام، وكان القاضي أحمد بن أبي داود يأخذ الكتاب في خفه وهو راكب، فإذا جلس في دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يجلس الخليفة، ويدخل إليه. وقيل: ما فارق ابن أبي داود الكتاب قط إلا في الخلاء. وأعرف إنا في زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفا وشتاء مكبا على كتاب صنفه، وكانت وسادته التي ينام عليها الكتاب.

(١٧٤)

(٤٦٧)

الأصل:

وقال عليه السلام:

علامه الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعلك،
وآلا يكون في حديثك فضل عن علمك، وأن تتقى الله في حديث غيرك.

الشرح:

قد أخذ المعنى الأول القائل:

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقتك الصدق بنار الوعيد.

وينبغي أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا، لأنه إذا أضر الصدق ضررا عظيما
يؤدى إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا، ووجبت المعاريض
حينئذ.

فإن قلت: فالمعارض صدق أيضا، فالكلام على إطلاقه، قلت: هي صدق
في ذاتها، ولكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه، ولا كذب أيضا، لأنه لم يخبر
عنه، وإنما أخبر عن شئ آخر وهي المعاريض، والتارك للخبر لا يكون صادقا
ولا كاذبا، فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم، وكانت نتيجة
الصدق أعظم نفعا من تلك المضرة.

قال عليه السلام: (وآلا يكون في حديث فضل عن علمك)، متى زاد
منطق الرجل على علمه فقد لغا وظهر نقصه، والفاضل من كان علمه أكثر من منطقته. قوله:
(وأن تتقى الله في حديث غيرك)، أي في نقله وروايته فترويه كما سمعته من غير تحريف.

(١٧٥)

(٤٦٨)

الأصل:

وقال عليه السلام:

يغلب المقدار على التقدير، حتى تكون الآفة في التدبير.
قال: وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ.
الشرح:

قد تقدم هذا المعنى، وهو كثير جدا، ومن جيده قول الشاعر:
لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى تبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغي العز كل مقلقل.
وقال أبو تمام:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه (١)
لأمر عليهم أن تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه.
وقال آخر:

فإن بين حيطاننا عليه فإنما * أولئك عقالاته لا معاقله

(١) ديوانه ١ : ٢٢٩.

(١٧٦)

(٤٦٩)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الحلم والأناة توأمان، ينتجهما علو الهمة.

الشرح:

قد تقدم هذا المعنى وشرحه مرارا.

وقال ابن هانئ:

وكل أناة في المواطن سؤدد * ولا كأناة من تدبر محكم (١)

ومن يتبين أن للسيف موضعا * من الصفح يصفح عن كثير ويحلم.

وقال أرباب المعاني: علمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان: (سننظر

أصدقت أم كنت من الكاذبين) (٢).

وكان يقال: الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة.

وكان يقال: التأنى مع الخيبة، خير من التهور مع النجاح.

وقال الشاعر:

الرفق يمن والأناة سعادة * فتأن في أمر تلاق نجاحا.

(١) ديوانه ١٢٣ وفي د (من قدير محكم).

(٢) سورة النمل ٢٧.

وقال من كره الأناة وذمها: لو كانت الأناة محمودة والعجلة مذمومة، لما قال موسى لربه: (وعجلت إليك رب لترضى) (١).

وأشدوا:

عيب الأناة وإن سرت عواقبها * أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا.
وقال آخر:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت * لغد وليس له غد بمواتي
حتى إذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

(١) سورة طه ٨٤.

(١٧٨)

(٤٧٠)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الغيبة جهد العاجز.

الشرح:

قد تقدم كلامنا في الغيبة مستقصى.

وقيل للأحنف: من أشرف الناس؟ قال: من إذا حضر هابوه، وإذا

غاب اغتابوه.

وقال الشاعر:

ويغتابني من لو كفاني اغتيا به * لكنت له العين البصيرة والأذنا

وعندي من الأشياء ما لو ذكرتها * إذا قرع المغتاب من ندم سنا.

وقد نظمت أنا كلمة الأحنف فقلت:

أكل عرضي إن غبت ذما فإن * أبت فمدح ورهبة وسجود

هكذا يفعل الجبان شجاع * حين يخلو وفي الوغى رعديد

لك منى حالان في عينك الجنة * حسنا وفي الفؤاد وقود

(١٧٩)

(٤٧١)

الأصل:

وقال عليه السلام:

رب مفتون بحسن القول فيه.

الشرح:

طالما فتن الناس بثناء الناس عليهم، فيقصر العالم في اكتساب العلم اتكالا على ثناء الناس عليه، ويقصر العابد في العبادة اتكالا على ثناء الناس عليه: ويقول كل واحد منهما إنما أردت ما اشتهرت به للصيت، وقد حصل، فلماذا أتكلف الزيادة، وأعاني التعب! وأيضا فإن ثناء الناس على الانسان يقتضى اعتراء العجب له، وإعجاب المرء بنفسه مهلك.

واعلم أن الرضى رحمه الله قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل، وهكذا وجدت النسخة بخطه وقال: (هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره، مقررين العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب، لتكون لاقتناص الشارد، و استلحاق الوارد، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض، ويقع إلينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير).

ثم وجدنا نسخا كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام، قيل: إنها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضى رحمه الله وقرئت عليه فأمضاها، وأذن في الحاقها بالكتاب ونحن نذكرها.

(١٨٠)

(٤٧٢)

الأصل:

وقال عليه السلام:

الدنيا خلقت لغيرها، ولم تخلق لنفسها.

الشرح:

قال أبو العلاء المعري - مع ما كان يرمى به - في هذا المعنى ما يطابق إرادة أمير المؤمنين عليه السلام بلفظه هذا:

خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد (١)
إنما ينقلون من دار اعمال * إلى دار شقوة أو رشاد

(١) سقط الزند ٩٧٨، ٩٧٩.

(١٨١)

(٤٧٣)

الأصل:

وقال عليه السلام:

إن لبني أمية مرودا يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم.

قال الرضى رحمه الله تعالى: وهذا من أفصح الكلام وأغربه، والمرود هاهنا مفعول من الإرواد، وهو الامهال والانظار، فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

الشرح:

هذا إخبار عن غيب صريح، لان بنى أمية لم يزل ملكهم منتظما لما لم يكن بينهم اختلاف، وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين، وحرب يزيد أهل المدينة، وابن الزبير بمكة، وحرب مروان الضحاك، وحرب عبد الملك ابن الأشعث وابن الزبير، وحرب يزيد ابنه بنى المهلب، وحرب هشام زيد بن علي، فلما ولى الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وقتله، اختلف بنو أمية فيما بينهما، وجاء الوعد - وصدق من وعد به - فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بنى العباس بخراسان، وأقبل

(١٨٢)

مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوما من بني أمية، واضطرب أمر الملك وانتشر، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت، وزال ملك بني أمية، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقرا ومسكنة، وفي ذلك، تصديق قوله عليه السلام: (ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم).

(١٨٣)

(٤٧٤)

الأصل:

وقال عليه السلام في مدح الأنصار:
هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السباط،
وألسنتهم السلاط.

الشرح:

الفلو: المهر.

ويروى: (بأيديهم السباط)، أي الباسطة والأولى جمع سبط يعنى السماح، وقد يقال
للحاذق بالطعن: إنه لسبط اليدين، يريد الثقافة. وألسنتهم السلاط، يعنى الفصيحة.
وقد تقدم القول في مدح الأنصار، ولو لم يكن إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله
فيهم: (إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع)، ولو لم يكن إلا ما قاله لعامر
بن الطفيل فيهم لما قال له: (لأغزونك في كذا وكذا من الخيل) يتوعده، فقال عليه السلام:
(يكفي الله ذلك وأبناء قبيلة)، [لكان فخرا لهم] وهذا عظيم جدا وفوق العظيم،
ولا ريب إنهم الذين أيد الله بهم الدين، وأظهر بهم الاسلام بعد خفائه، ولولاهم
لعجز المهاجرون عن حرب قريش والعرب، وعن حماية رسول الله صلى الله عليه وآله،
ولولا مدينتهم لم يكن للاسلام ظهر يلجئون عليه، ويكفيهم فخرا يوم حمراء الأسد،

(١٨٤)

يوم خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قریش بعد انكسار أصحابه، وقتل من قتل منهم، وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية، ودمأؤهم تسيل، وإنهم مع ذلك كالأسد الغرث تتواثب على فرائسها، وكم لهم من يوم أغر محجل! وقالت الأنصار: لولا علي بن أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يذكر المهاجرون معنا، أو أن يقرنوا بنا، ولكن رب واحد كألف، بل كألوف.

وقد تقدم ذكر الشعر المنسوب إلى الوزير المغربي وما طعن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه، وكان الوزير المغربي يتبرأ منه ويجحده، وقيل: إنه وجدت مسودة بخطه فرفعت إلى القادر بالله.

ومما وجد بخطه أيضا - وكان شديد العصبية للأنصار ولقحطان قاطبة، على عدنان، وكان ينتمي إلى الأزدي، أزد شنوءة - قوله:

إن الذي أرسى دعائم احمد * وعلا بدعوته على كيوان
أبناء قبيلة وارثو شرف العلا * وعراعر الأقيال من قحطان
بسيوفهم يوم الوغى وأكفهم * ضربت مصاعب ملكه بجران (١)
لولا مصارعهم وصدق قراعهم * خرت عروش الدين للأذقان
فليشكرن محمد أسيف من * لولاه كان كخالد بن سنان.

وهذا إفراط قبيح، ولفظ شنيع، والواجب أن يسان قدر النبوة عنه، وخصوصا البيت الأخير، فإنه قد أساء فيه الأدب، وقال ما لا يجوز قوله، وخالد بن سنان كان من بنى عبس بن بغيض، من قيس عيلان، ادعى النبوة، وقيل: إنه كانت تظهر عليه آيات ومعجزات، ثم مات وانقرض دينه ودرث دعوته، ولم يبق إلا اسمه، وليس يعرفه كل الناس، بل البعض منهم.

(١) يقال: ضرب البعير بجرانه: إذا برك.

(٤٧٥)

الأصل:

وقال عليه السلام:

العين وكاء الستة.

قال الرضى رحمه الله تعالى: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه شبه الستة بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك المبرد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف. قال الرضى: وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية.

الشرح:

المعروف إن هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره المحدثون في كتبهم وأصحاب غريب الحديث في تصانيفهم، وأهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية، ولعل المبرد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والرواية بلفظ التثنية: (العينان وكاء الستة)، والستة: الاست.

(١٨٦)

وقد جاء في تمام الخبر في بعض الروايات: (فإذا نامت العينان استطلق الوكاء) والوكاء: رباط القربة، فجعل العينين وكاء - والمراد اليقظة - للسته كالوكاء للقربة، ومنه الحديث في اللقطة: (أحفظ عفاصها ووكاءها، وعرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها)، والعفاص: السداد، والوكاء: السداد، وهذه من الكنايات اللطيفة. [فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنا قدمنا قطعة صالحة من الكنايات المستحسنة، ووعدنا أن نعاود ذكر طرف منها، وهذا الموضوع موضعه، فمن الكناية عن الحدث الخارج - وهو الذي كنى عنه أمير المؤمنين عليه السلام، أو رسول الله صلى الله عليه - الكناية التي ذكرها يحيى بن زياد في شعره، قيل: إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمادا الراوية جلسوا على شرب لهم، ومعهم رجل منهم فأنحل وكأوه، فاستحيا وخرج، ولم يعد إليهم، فكتب إليه يحيى بن زياد.

أمن قلوب غدت لم يؤذها أحد * إلا تذكرها بالرمل أوطانا
خان العقال لها فأنبت إذ نفرت * وإنما الذنب فيها للذي خانا
منحتنا منك هجرانا ومقلية * ولم تزرنا كما قد كنت تغشانا
خفض عليك فما في الناس ذو إبل * إلا وأينقه يشردن أحيانا
وليس هذا الكتاب أهلا أن يضمن حكاية سخيصة أو نادرة خليعة، فنذكر فيه ما جاء في هذا المعنى، وإنما جرأنا على ذكر هذه الحكاية خاصة كناية أمير المؤمنين عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنها، ولكننا نذكر كنايات كثيرة في غير هذا المعنى مستحسنة، ينتفع القارئ بالوقوف عليها.

يقال فلان من قوم موسى، إذا كان ملولا، إشارة إلى قوله تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) (١).
قال الشاعر:

فيا من ليس يكفيه صديق * ولا ألفا صديق كل عام
أظنك من بقايا قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام.
وقال العباس بن الأحنف:

كتبت تلوم وتستريث زيارتي * وتقول لست لنا كعهد العاهد
فأجبتها ودموع عيني سجم * تجرى على الخدين غير جوامد
يا فوز لم أهرجم لملالة * عرضت ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد
ويقولون للجارية الحسنة: قد أبقت من رضوان، قال الشاعر:
جست العود بالبنان الحسان * وتشت كأنها غصن بان
فسجدنا لها جميعا وقلنا * إذ شجتنا بالحسن والاحسان
حاش لله أن تكوني من الانس * ولكن أبقت من رضوان
ويقولون للمكشوف الامر الواضح الحال: ابن جلا، وهو كناية عن الصبح
ومنه ما تمثل به الحجاج:
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني (٢).
ومنه قول القلاخ: بن حزن:

(١) سورة البقرة ٦١.

(٢) الكامل ١: ٢٢٤، ونسبه إلى سحيم بن وثيل الرياحي.

* أنا القلاخ بن القلاخ ابن جلا *

ومنه قولهم فلان قائد الجمل لأنه لا يخفى لعظم الجمل وكبر جثته، وفي المثل: ما استتر من قاد جملا. وقالوا كفى برغائها نداء، ومثل هذا قولهم: ما يوم حليلة بسر يقال: ذلك في الامر المشهور الذي لا يستر، ويوم حليلة يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الغساني الأكبر، وهو أشهر أيام العرب، يقال: إنه ارتفع من العجاج ما ظهرت معه الكواكب نهارا، وحليمة: اسم امرأة أضيف اليوم إليها، لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب، فكانت تطيب بها الداخلين إلى القتال، فقاتلوا حتى تفانوا.

ويقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف: قائد الحمار، وإشارة إلى ما أنشده الأصمعي: أتى الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماري. أي أقوده من الكبر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفي، ومثل ذلك كنايةهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن، لأنه إذا قام عجن في الأرض بكفيه، قال الشاعر: فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجنا * وشر خصال المرء كنت وعاجن. قالوا: الكنتي الذي يقول كنت أفعل كذا، وكنت أركب الخيل، يتذكر ما مضى من زمانه، ولا يكون ذلك إلا عند الهرم أو الفقر والعجز. ومثله قولهم للشيخ: راعع، قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت * أدب كأني كلما قمت راعع (١)
والركوع: هو التطأطؤ والانحناء بعد الاعتدال والاستواء، ويقال للانسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر: قد ركع، قال:
لا تهين الفقير علك إن تركع * يوما والدهر قد رفعه (٢)

(١) ديوانه ١٧١.

(٢) للأضبط بن قريع السعدي، أمالي القالي ١: ١٠٨.

وفى هذا المعنى قال الشاعر:
ارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه * يوما فتدركه الحوادث قد نما (١)
يجزيك أو يثنى عليك وإن من * يثنى عليك بما فعلت فقد جزى.
ومثله أيضا:

وأكرم كريما إن أتاك لحاجة * لعاقبة إن العضاة تروح.
تروح الشجر: إذا انفطر بالنبت، يقول إن كان فقيرا فقد يستغنى، كما إن
الشجر الذي لا ورق عليه سيكتسي ورقا، ويقال: ركع الرجل، أي سقط.
وقال الشاعر:

حرق إذا ركع المطي من الوجى * لم يطو دون رفيقه ذا المرود
حتى يؤوب به قليلا فضله * حمد الرفيق نذاك أو لم يحمد.
وكما يشبهون الشيخ بالراكع فيكنون به عنه، كذلك يقولون يحجل في قيده
لتقارب خطوه، قال أبو الطمحان القيني:
حننتي حانياً الدهر حتى * كأني خاتل أدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رأني * - ولست مقيدا - إني بقيد.
ونحو هذا قولهم للكبير: بدت له الأرنب، وذلك إن من يختل الأرنب ليصيدها
يتمايل في مشيته، وأنشد ابن الأعرابي في النوادر:
وطالت بي الأيام حتى كأني * من الكبير العالي بدت لي أرنب.
ونحوه يقولون للكبير: قيد بفلان البعير، أي لا قوه ليده على أن يصرف
البعير تحته على حسب إرادته، فيقوده قائد يحمله حيث يريد.

(١) للسمؤل بن عادياء، ملحق ديوانه ٥٣.

ومن أمثالهم: لقد كنت وما يقاد بي البعير: يضرب لمن كان ذا قوة وعزم، ثم عجز وفتر.

ومن الكنايات عن شيب العنفة قولهم: قد عض على صوفه. ويكون عن المرأة التي كبر سنها فيقولون: امرأة قد جمعت الثياب، أي تلبس القناع والخمار والإزار، وليست كالفتاة التي تلبس ثوبا واحدا. ويقولون لمن يخضب: يسود وجه النذير، وقالوا في قوله تعالى: (وجاءكم النذير) (١): إنه الشيب. وقال الشاعر:

وقائلة لي أخضب فالغواني * تطير من ملاحظة القتير
فقلت لها المشيب نذير موتي * ولست مسودا وجه النذير.
وزاحم شاب شيخا في طريق فقال الشاب: كم ثمن القوس؟ يعيره بانحناء الظهر، فقال الشيخ: يا بن أخي: إن طال بك عمر فسوف تشتريها بلا ثمن. وأنشد لابن خلف:

تغيرني وخط المشيب بعارضي * ولولا الحجول البلق لم تعرف الدهم
حنى الشيب ظهري فاستمرت مريرتي * ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم.
ويقولون لمن رشا القاضي أو غيره: صب في قنديه زيتا، وأنشد:
وعند قضائنا خبث ومكر * وزرع حين تسقيه يسنبل
إذا ما صب في القنديل زيت * تحولت القضية للمقنديل
وكان أبو صالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشا، وكان كاتب أم جعفر.

(١) سورة فاطر ٣٧.

وهو سعدان بن يحيى كذلك، فقال لها الرشيد يوما: أما سمعت ما قيل في كاتبك؟
قالت: ما هو فأنشدها:

صب في قنديل سعدان * مع التسليم زيتا (١)
وقناديل بنيه * قبل أن تخفي الكميता.

قالت: فما قيل في كاتبك أشنع، وأنشدته:

قنديل سعدان علا ضوءه * فرخ لقنديل أبي صالح (٢)
تراه في مجلسه أحوضا * من لمحة الدرهم اللائح.
ويقولون لمن طلق ثلاثا: قد نحرها بمثلته.
ويقولون أيضا: أعطها نصف السنة.

ويقولون لمن يفخر بأبائه: هو عظامي، ولمن يفخر بنفسه هو عصامي، إشارة
إلى قول النابغة في عصام بن سهل حاجب النعمان:
نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما (٣)
* وجعلته ملكا هماما *

وأشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من آباءه ورهطه، وقال الشاعر:
إذا ما ألحى عاش بعظم ميت * فذاك العظم حي وهو ميت.
ونحو هذا إن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه وهو يجود
بنفسه فقال: ألا أوصى بك الأمير؟ فقال، إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي
هو الميت، ويقال: إن عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية: أغنني عن غيرك، قال:

(١) ثمار القلوب...

(٢) ثمار القلوب...

(٣) العقد الثمين، ملحق ديوانه ١٧٥.

حسبك ما أغناك به معاوية، قال: فهو إذن الحي وأنت الميت، ومثل قولهم: عظامي، قولهم: خارجي، أي يفخر بغير أوليه كانت له، قال كثير لعبد العزيز: أبا مروان لست بخارجي * وليس قديم مجدك بانتحال ويكونون عن العزيز وعن الدليل أيضا فيقولون: بيضة البلد، فمن يقولها للمدح يذهب إلى إن البيضة هي الحوزة والحمى، يقولون: فلان يحمى بيضته، أي يحمى حوزته وجماعته، ومن يقولها للذم يعنى إن الواحدة من بيض النعام إذا فسدت تركها أبواها في البلد وذهبا عنها، قال الشاعر في المدح: لكن قائلة من لا كفاء له * من كان يدعى أبوه بيضة البلد (١) وقال الآخر في الذم:

تأبى قضاة لم تعرف لكم نسبا * وابنا نزار فأنتم بيضة البلد (٢)
ويقولون للشئ الذي يكون في الدهر مرة واحدة: هو بيضة الديك، قال بشار:

يا أطيّب الناس ريقا غير مختبر * إلا شهادة أطراف المساويك (١)
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة * ثنى ولا تجعلها بيضة الديك
ويكونون عن الثقل بالقذى في الشراب، قال الأخطل يذكر الخمر والاجتماع عليها:

وليس قذاها بالذي قد يضيرها * ولا بذباب نزعها أيسر الامر (٤)
ولكن قذاها كل جلف مكلف * أتتنا به الأيام من حيث لا ندري

(١) من أبيات لامرأة من بنى عامر بن لؤي، ترثى عمر بن ود، اللسان (بيض).

(٢) اللسان (بيض) ونسبه إلى ابن الرقاع.

(٣) من أمالي القالي ١: ٢٢٨.

(٤) كنايات الجرجاني ١١١.

فذاك القذى وابن القذى وأخو القذى فإن له من زائر آخر الدهر
ويكون أيضا عنه بقدر اللباب، قال الشاعر:
يا ثقيلًا زاد في * الثقل على كل ثقيل (١)
أنت عندي قدح اللباب * في كف العليل
ويكون عنه أيضا بالقدح الأول لان القدح الأول، من الخمر تكرهه الطبيعة
وما بعده فدونه لاعتياده، قال الشاعر:
وأثقل من حزين باديا * وأبغض من قدح أول.
ويكون عنه بالكانون، قال الحطيئة يهجو أمه:
تنحى فاقعدي عنى بعيدا * أراح الله منك العالمينا (٢)
أغربالا إذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا!
قالوا: وأصله من كنت أي سترت، فكأنه إذا دخل على قوم وهم في حديث
ستروه عنه، وقيل: بل المراد شدة برده..
ويكون عن الثقل أيضا برحا البزر، قال الشاعر:
وأثقل من رحا بزر علينا * كأنك من بقايا قوم عاد (٣)
ويقولون لمن يحمدون جواره: جاره جار أبي داود، وهو كعب بن مامة الأيادي،
كان إذا جاوره رجل فمات وداه، وإن هلك عليه شاة أو بعير أخلف عليه، فجاوره
أبو داود الأيادي، فأحسن إليه، فضرب به المثل.
ومثله قولهم: هو جليس قعقاع بن شور، وكان قد قدم إلى معاوية فدخل
عليه، والمجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد، فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه، فلم

(١) كنايات الجرجاني ١١١.

(٢) ديوانه ٦١.

(٣) كنايات الجرجاني ١١١.

بيرح القعقاع من ذلك الموضوع يكلم معاوية ومعاوية يخاطبه حتى أمر له بمائة ألف درهم، فأحضرت إليه، فجعلت إلى جانبه، فلما قام قال للرجل القائم له من مكانه: ضمها إليك، فهي لك بقيامك لنا عن مجلسك، فقيل فيه:

و كنت جليس قعقاع بن شور* ولا يشقى بقعقاع جليس (١)
ضحوك السن إن نطقوا بخير* وعند الشر مطراق عبوس
أخذ قوله: (ولا يشقى بقعقاع جليس) من قول النبي صلى الله عليه وآله: (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

ويكونون عن السمين من الرجال بقولهم: هو جار الأمير، وضيع الأمير وأصله إن الغضبان بن القبعثري كان محبوسا في سجن الحجاج، فدعا به يوما فكلمه، فقال له: في جملة خطابه: أنت لسمين يا غضبان، فقال: القيد والرتعة، والخفض والدعة، ومن يكن ضيف الأمير يسمن.

ويكنى الفلاسفة عن السمين بأنه يعرض سور حبسه، وذلك أن أفلاطون رأى رجلا سمينا، فقال: يا هذا، ما أكثر عنايتك بتعريض سور حبسك! ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة (٢)، فقال: أرى عليك قطيفة محكمة. قال: نعم، ذاك عنوان نعمة الله عندي.

ويقولون للكذاب: هو قموص الحنجرة، وأيضا هو زلوق الكبد، وأيضا لا يوثق بسيل بلقعة. وأيضا أسير الهند لأنه يدعى إنه ابن الملك، وإن كان من أولاد السفلة.

ويكنى عنه أيضا بالشيخ الغريب، لأنه يحب ان يتزوج في الغربة فيدعى إنه ابن خمسين سنة، وهو ابن خمس وسبعين.

(١) كنايات الجرجاني ١١١.
(٢) الكدنة: كثرة الشحم واللحم.

ويقولون: هو فاختة البلد، من قول الشاعر:
أكذب من فاختة * تصيح فوق الكرب (١)
والطلع لم يبد لها: * هذا أوان الرطب
وقال آخر في المعنى:
حديث أبي حازم كله * كقول الفواخت: جاء الرطب (١)
وهن وإن كن يشبهنه * فلسن يدانينه في الكذب
ويكونون عن النمام بالزجاج، لأنه يشف على ما تحته، قال الشاعر:
أنم بما استودعته من زجاجة يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن.
ويكونون عنه بالنسيم، من قول الآخر:
وإنك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض.
ويقولون: إنه لصبح، وإنه لطيب، كله في النمام. ويقولون: ما زال يفتل له
في الذروة والغارب حتى أسمحت قرونته، وهي النفس، والذروة: أعلى السنام،
والغارب: مقدمه.
ويقولون في الكناية عن الجاهل: ما يدري أي طرفيه أطول، قالوا:
ذكره ولسانه.
وقالوا: هل نسب أبيه أفضل أم نسب أمه؟
ومثله: لا يعرف قطانه من لطانه، أي لا يعرف جبهته مما بين وركيه.
وقالوا: الحدة كنية الجهل، والاقتصاد كنية البخل، والاستقصاء كنية الظلم.

(١) كنايات الجرجاني ١١٢.

وقالوا للجائع: عضه الصفر، وعضه شجاع البطن.
وقال الهذلي:

أرد شجاع البطن قد تعلمينه * وأوثر غرثي من عيالك بالطعم (١)
مخافة أن أحيا برغم وذلة * وللموت خير من حياة على رغم
ويقولون: زوده زاد الضب، أي لم يزوده شيئاً، لان الضب لا يشرب الماء،
وإنما يتغذى بالريح والنسيم، ويأكل القليل من عشب الأرض.
وقال ابن المعتز:

يقول أكلنا لحم جدي وبطة * وعشر دجاجات شواء بالبان (٢)
وقد كذب الملعون ما كان زاده * سوى زاد ضب ييلع الريح عطشان.
وقال أبو الطيب:

لقد لعب البين المشت بها وبني * وزودني في السير ما زود الضبا (٣)
ويقولون للمختلفين من الناس: هم كنعم الصدقة، وهم كبعر الكبش، قال
عمرو بن لجأ:

وشعر كبعر الكبش ألف بينه * لسان دعى في القريض دخيل (٤)
وذلك لان بعر الكبش يقع متفرقا.

وقال بعض الشعراء لشاعر آخر: أنا أشعر منك لأنني أقول البيت وأخاه، وتقول
البيت وابن عمه، فأما قول جرير في ذي الرمة: إن شعره بعرضباء ونقط عروس، فقد
فسره الأصمعي فقال: يريد إن شعره حلو أول ما تسمعه، فإذا كرر أنشاده ضعف،
لان أبعاد الضباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت من الجثجات والشيخ

(١) لأبي خراش الهذلي، ديوان الهذليين ٢: ١٢٨.

(٢) كنايات الجرجاني ١١٥.

(٣) ديوانه ١: ٦٠.

(٤) كنايات الجرجاني ١١٧.

والقيصوم، فإذا أدمت شمها عدمت تلك الرائحة، ونقط العروس إذا غسلتها ذهبته.
ويقولون أيضا للمختلفين: أخفاف، والخيف: سواد إحدى العينين وزرق الأخرى
ويقولون فيهم أيضا: أولاد علات كالإخوة لأمهات شتى، والعلة: الضرة.
ويقولون فيهم خبز كتاب، لأنه يكون مختلفا، قال شاعر يهجو الحجاج:

بن يوسف

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر (١)
رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الأزهر

ومثله:

أما رأيت بنى سلم وجوهم * كأنها خبز كتاب وبقال (٢)
ويقال للمتساوين في الرداءة: كأسنان الحمار، قال الشاعر:
سواء كأسنان الحمار فلا ترى * لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا (٢)
وقال آخر:

شبابهم وشبيهم سواء * فهم في اللؤم أسنان الحمار (٣)
وأنشد المبرد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيء بالتساوي في الرداءة:
ولما إن رأيت بنى جوين * جلوسا ليس بينهم جليس (٣)
يئست من الذي أقبلت أبغي * لديهم إنني رجل يئوس
إذا ما قلت أيهم لأي * تشابهت المناكب والرؤوس.
قال: فقلوه: (ليس بينهم جليس) هجاء قبيح، يقول: لا ينتجع الناس معروفهم،

(١) سرح العيون ١٧٠ وكنایات الجرجاني ١١٨.

(٢) كنايةات الجرجاني ١٢١.

(٣) الكامل ١: ١٧٢، ونسبه إلى أعرابي من طيء.

فليس بينهم غيرهم. ويقولون في المتساويين في الرداءة أيضا: هما كحماري العبادي، قيل له، أي حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويقال في التساوي في الشر والخير: هم كأسنان المشط، ويقال: وقعا كركبتي البعير، وكرجلي النعامة. وقال ابن الأعرابي: كل طائر إذا كسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم، فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه: وإني وإياه كرجلي نعامة * على ما بنا من ذي غنى وفقير (١) وقال أبو سفيان بن حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وقد تنافرا إليه: أنتما كركبتي البعير، فلم ينفر واحدا منهما، فقالا: فأينا اليمنى؟ فقال: كل منكما يمنى.

وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب: أيهم أفضل؟ فقال: هم كالحلقة الواحدة. وسئل ابن دريد عن المبرد وثعلب، فأثنى عليهما، فقيل: فابن قتيبة؟ قال: ربوة بين جبلين، أي حمل ذكره بنباهتهما.

ويكنى عن الموت بالقطع عند المنجمين، وعن السعاية بالنصيحة عند العمال، وعن الجماع بالوطء عند الفقهاء، وعن السكر بطيب النفس عند الندماء، وعن السؤال بالزوار عند الأجواد، وعن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية.

ويقال للمتكلف بمصالح الناس: إنه وصى آدم على ولده، وقد قال شاعر في هذا الباب: فكان آدم عند قرب وفاته * أوصاك وهو وجود بالحبوباء ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الأبناء ويقولون: فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر، قال أبو تمام:

(١) كنايات الجرجاني ١١٩.

خليفة الخضر من يربع على وطن * أو بلده فظهور العيس أوطاني (١)
بغداد أهلي وبالشام الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغ بي أقصى خراسان.
ويقولون للشئ المختار المنتخب: هو ثمرة الغراب لأنه ينتفى خير الثمر.
ويقولون: سمن فلان في أديمة، كناية عمن لا ينتفع به، أي ما خرج منه
يرجع إليه، وأصله أن نحيا (٢) من السمن انشق في ظرف من الدقيق، فقليل ذلك،
قال الشاعر:

ترحل فما بغداد دار إقامة * ولا عند من أضحى ببغداد طائل (٢)
محل ملوك سمنهم في أديمهم * وكلهم من حلية المجد عاطل
فلا غرو ان شلت يد المجد والعلی * وقل سماح من رجال ونائل
إذا غضغض البحر الغطامط ماءه * فليس عجيبا أن تغيض الجداول
ويقولون لمن لا يفني بالعهد: فلان لا يحفظ أول المائدة، لان أولها: (يا أيها الذين
آمنوا أوفوا بالعقود) (٤).

ويقولون لمن كان حسن اللباس ولا طائل عنده: هو مشجب، والمشجب: خشبة
القصار التي يطرح الثياب عليها، قال ابن الحجاج:
لي سادة طائر السرور بهم * يطرده اليأس بالمقاليع (٥)
مشاجب للثياب كلهم * وهذه عادة المشاقيع
جائزتي عندهم إذا سمعوا * شعري هذا كلام مطبوع

(١) ديوانه ٣: ٣٠٨، ٣١٠.

(٢) كنايات الجرجاني ١٢٠، ونسبها إلى أبي العالية.

(٣) بحر غطامط: كثير الأمواج.

(٤) سورة المائدة ١.

(٥) كنايات الجرجاني ١٢١.

وإنهم يضحكون إن ضحكوا * منى وأبكى أنا من الجوع
وقال آخر:

إذا لبسوا دكن الخزوز وخضرها * وراحوا فقد راحت عليك المشاجب (١)
وروى إن كيسان غلام أبي عبيدة وفد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئا، فلما
وافى البصرة قيل له: كيف وجدته؟ قال: وجدته مشجبا من حيث ما أتيته وجدته.
ويكنون عن الطفيلي فيقولون: هو ذباب، لأنه يقع في القدور، قال الشاعر:
أتيتك زائرا لقضاء حق * فحال الستر دونك والحجاب (٢)
ولست بواقع في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب
وقال آخر:

وأنت أخو السلام وكيف أنتم * ولست أخا الملمات الشداد (٣)
وأطفل حين يجفى من ذباب * والزم حين يدعى من قراد
ويكنون عن الحرب بحب الشباب، قال الوزير المهلب:
يا صروف الدهر حسبي * أي ذنب كان ذنبي! (٣)
علة خصت وعمت * في حبيب ومحب
دب في كفيه يا من * حبه دب بقلبي
فهو يشكو حر حب * وشكاتي حر حب
ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة، وعن الطويل بخيط باطل. وكانت كنية
مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربا، قال فيه الشاعر:
لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى من يشاء ويمنع (٣)
وفي خيط باطل قولان: أحدهما إنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة

(١) لدعلج، ديوانه ٢٢.

(٢) كنايات الجرجاني ١٢٢، ونسبه لابن عيينة.

(٣) كنايات الجرجاني ١٢٢.

من البيت، وتسميه العامة غزل الشمس، والثاني إنه الخيط الذي يخرج من في العنكبوت، وتسميه العامة مخاط الشيطان.
وتقول العرب للملقو (١): لطيم الشيطان.
وكان لقب عمرو بن سعيد الأشدق، لأنه كان ملقوا.
وقال بعضهم لآخر: ما حدث؟ قال: قتل عبد الملك عمرا، فقال: قتل أبو الذبان لطيم الشيطان، (و كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون).
ويقولون للحزين المهموم: يعد الحصى، ويخط في الأرض، ويفت اليرمع (٢)، قال المجنون:

عشيه مالي حيلة غير إنني * بلقط الحصى والخط في الدار مولع (٣)
أخط وأمحو كل ما قد خططته * بدمعي والغربان حولي وقع
وهذا كالنادم يقرع السن، والبخيل ينكت الأرض بينانه، أو يعود عند الرد، قال الشاعر:

عبيد إخوانهم حتى إذا ركبوا * يوم الكريهة فالآساد في الأجم (٤)
يرضون في العسر والإيسار سائلهم * لا يقرعون على الأسنان من ندم
وقال آخر في نكت الأرض بالعيدان:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان
ويقولون للفارغ: فؤاد أم موسى.

(١) الملقو: المصاب بالقوة، وهو مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه.

(٢) اليرمع: الحجارة الرخوة.

(٣) ديوانه ١٨٨.

(٤) كنايات الجرجاني، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبي الصلت.

ويقولون للمثري من المال: منقرس، وذلك إن علة النقرس أكثر ما تعتري أهل
الثروة والتنعم.

حكى المبرد، قال: كان الحرمازي في ناحية عمرو بن مسعدة، وكان يجرى
عليه، فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام، وتخلف الحرمازي ببغداد، فأصابه
النقرس، فقال:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي * ومطلبه بالشام غير قريب (١)
ولا سيما من مفلس حلف نقرس * أما نقرس في مفلس بعجيب!
وقال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب:

تواضع النقرس حتى لقد * صار إلى رجل ابن زيدان
علة إنسان ولكنها * قد وجدت في غير إنسان
ويقولون للمتترف: رقيق النعل، وأصله قول النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباب (٢)
يعنى إنهم ملوك، والملك لا يخصف نعله وإنما يخصف نعله من يمشى. وقوله: (طيب
حجزاتهم)، أي هم إعفاء الفروج، أي يشدون حجزاتهم على عفه. وكذلك قولهم:
فلان مسط النعال، أي نعله طبقة واحدة غير مخصوف، قال المرار بن سعيد الفقعسي:
وجدت بنى خفاجة في عقيل * كرام الناس مسمطة النعال (٣)
وقريب من هذا قول النجاشي:

ولا يأكل الكلب السروق نعالنا * ولا ينتقى المخ الذي في الجماجم (٣)

(١) كنايات الجرجاني ١٢٥.

(٢) ديوانه ٣.

(٣) كنايات الجرجاني ١٢٥.

يريد أن نعالهم سبت، والسبت: جلود البقر المدبوغة بالقرظ، ولا تقربها الكلاب، وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ، لأنه إذا أصابه المطر دسّمه فصار زهماً.

ويقولون للسيد: لا يطاء على قدم، أي هو يتقدم الناس، ولا يتبع أحداً يطاءً على قدمه.

ويقولون قد اخضرت نعالهم، أي صاروا في خصب وسعة، قال الشاعر: يتايهون إذا اخضرت نعالهم* وفي الحفيظة إبرام مضاجير وإذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا: خلع الله نعليه، لأن المقعد لا يحتاج إلى نعل.

ويقولون أطفأ الله نوره، كناية عن العمى وعن الموت أيضاً، لأن من يموت فقد طفت ناره.

ويقولون: سقاه الله دم جوفه، دعاء عليه بأن يقتل ولده، ويضطر إلى أخذ ديتة إبلا فيشرب ألبانها.

ويقولون: رماه الله بليلة لا أخت لها، أي ليلة موته، لأن ليلة الموت لا أخت لها.

ويقولون: وقعوا في سلا جمل، أي في داهية لا يرى مثلها، لأن الجمل لا سلا له، وإنما السلا للناقة، وهي الجليدة التي تكون ملفوفة على ولدها.

ويقولون: صاروا في حولاء ناقة، إذ صاروا في خصب.

وكانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا: كأنها حولاء ناقة.

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى مجراهم: جفأة المحز،
قال الشاعر:

جفأة المحز لا يصييون مفصلا * ولا يأكلون اللحم إلا تخذما
يقول: هم ملوك، وأشباه الملوك لا حذق لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون
التجليد والسلخ، ولهم من يتولى ذلك عنهم، وإذا لم يحضرهم من يجزر الجزور
تكلفوا هم ذلك بأنفسهم، فلم يحسنوا حز المفصل كما يفعله الجزار، وقوله:
* ولا يأكلون اللحم إلا تخذما *

أي ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تخدموا قليلا قليلا، والخدم: القطع،
وأنشد الجاحظ في مثله:

وصلع الرؤوس عظام البطون * جفأة المحز غلاظ القصر.

لان ذلك كله أمارات الملوك، وقريب من ذلك قوله:

ليس براعي أبل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم (١)
ويقولون: فلان أملس، يكون عن لا خير فيه ولا شر، أي لا يثبت فيه
حمد ولا ذم.

ويقولون: ملحه على ركبته، أي هو سيئ الخلق، يغضبه أدنى شيء، قال

لا تلمها إنها من عصابة * ملحها موضوعة فوق الركب (٢)

ويقولون كناية عن مجوسي: هو ممن يخط على النمل، والنمل جمع نملة، وهي
قرحة بالانسان، كانت العرب تزعم أن المجوسي إذا كان من أخته وخط عليها برأت،
قال الشاعر:

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر * كرام وإنما لا نخط على النمل (٣)

(١) الكمل ٢١٨ (طبعة أوربا).

(٢) الجرجاني ١٢٧، ونسبه إلى مسكين.

(٣) اللسان (نمل).

ويقولون للصبي: قد قطفت ثمرته، أي ختن. وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ما زال عصياننا لله يردلنا * حتى دفعنا إلى يحيى ودينار (١)
ألا عليجين لم تقطف ثمارها * قد طالما سجدا للشمس والنار.
ويقولون: قدر حليلة، أي لا غليان فيها.

ويقولون لمن يصلى صلاة مختصرة: هو راجز الصلاة.
وقال أعرابي لرجل رآه يصلى صلاة خفيفة: صلاتك هذه رجز.
ويقولون: فلان عفيف الشفة، أي قليل السؤال، وفلان خفيف الشفة،
كثير السؤال.

وتكنى العرب عن المتيقظ بالقطامي، وهو الصقر.
ويكونون عن الشدة والمشقة بعرق القربة، يقولون: لقيت من فلان عرق
القربة، أي العرق الذي يحدث بك من حملها وثقلها، وذلك لأن أشد العمل كان
عندهم السقي وما ناسبه من معالجة الإبل.
وتكنى العرب عن الحشرات وهوام الأرض بجنود سعد، يعنون سعد الأخبية،
وذلك لأنه إذا طلع انتشرت في ظاهر الأرض، وخرج منها ما كان مستترا في باطنها،
قال الشاعر:

قد جاء سعد منذرا بحره * موعدة جنوده بشره (١)
ويكنى قوم عن السائلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف عليه السلام، لأنهم
يعتنون بحفظها دون غيرها، وقال عمارة يهجو محمد بن وهيب:
تشبهت بالأعراب أهل التعجرف * فدل على ما قلت قبح التكلف (١)

(١) كنايات الجرجاني ١٢٩، ١٣٠.

لسان عراقي إذا ما صرفته * إلى لغة الاعراب لم يتصرف
ولم تنس ما قد كان بالأمس حاكه * أبوك وعود الجف لم يتقصف
لئن كنت للشعار والنحو حافظا * لقد كان من حفاظ سورة يوسف
ويكنون عن اللقيط بتربية القاضي، وعن الرقيب بثاني الحبيب، لأنه يرى معه
أبدا، قال ابن الرومي:

موقف للرقيب لا أنساه * لست أختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد * جاء يجلو على من أهواه
لا أحب الرقيب إلا لأنني * لا أرى من أحب حتى أراه
ويكنون عن الوجه المليح بحجة المذنب، إشارة إلى قول الشاعر:
قد وجدنا غفلة من رقيب * فسرقتنا نظرة من حبيب
ورأينا ثم وجهها مليحا * فوجدنا حجة للذنوب
ويكنون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة، قال ابن الرومي:
مهلا أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق
لا قدست نعمى تسربلتها * كم حجه فيها لزنديق!
وقال ابن بسام في أبي الصقر أيضا:
يا حجة الله في الأرزاق والقسم * وعبرة لأولي الألباب والفهم
تراك أصبحت في نعماء سابغة * إلا وربك غضبان على النعم
فهذا ضد ذلك المقصد، لان ذاك جعله حجة على الزندقة، وهذا جعله حجة على
قدرة البارئ سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها، وإن النعم لا قدر لها عنده سبحانه،
حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزلته. وقال ابن الرومي:

وقينة أبرد من ثلجه * تبيت منها النفس في ضجه
كأنها من ننتها صخرة * لكنها في اللون أترجه
تفاوتت خلقتها فاغتدت * لكل من عطل محتجه
وقد يشابه ذلك قول أبي على البصير في ابن سعدان:
يا بن سعدان أجلح الرزق في * أمرك واستحسن القبيح بمره
نلت ما لم تكن تمنى إذا ما * أسرفت غاية الأمانى عشرة
ليس فيما أظن إلا لكيلا * ينكر المنكرون لله قدرة.
وللمفجع في قريب منه:
إن كنت خنتكم المودة غادرا * أو حلت عن سنن المحب الوامق
فمسخت في قبح ابن طلحة إنه * ما دل قط على كمال الخالق.
ويقولون: عرض فلان على الحاجة عرضا سابريا، أي خفيفا من غير استقصاء،
تشبيها له بالثوب السابري، والدرع السابرية، وهي الخفيفة.
ويحكى أن مرتدا مر على قوم يأكلون وهو راكب حمارا، فقالوا: انزل
إلينا، فقال: هذا عرض سابري، فقالوا: انزل يا بن الفاعلة. وهذا ظرف ولباقة.
ويقولون في ذلك: وعد سابري، أي لا يقرب به وفاء، وأصل السابري،
اللطيف الرقق.
وقال: المبرد سالت الجاحظ: من أشعر المولدين؟ فقال القائل:
كأن ثيابه اطلعن * من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسنا * إذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفثير * في أجفانها الحورا

ووجه سابري لو * تصوب مأؤه قطرا

يعنى العباس بن الأحنف (١).

وتقول العرب في معنى قول المحدثين: عرض عليه كذا عرضا سابريا: عرض عليه عرض عاله، أي عرض الماء على النعم العالة التي قد شربت شربا بعد شرب، وهو العلل، لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لا تبالغ فيه. ومن الكنايات الحسنة قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عبادة: أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي، فاستحسن منها ذلك، وقال: لأكثرنها، املاؤها لها بيتها خبزا وتمرا وسمنا وأقطا ودقيقا.

وشبيه بذلك ما روى أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على بردون مهزول، فقال له: ما أشد هزال دابتك! فقال: يدها مع أيدينا، ففطن لذلك ووصله. وقريب منه ما حكى أن المنصور قال: لانسان ما مالك؟ قال: ما أصون به وجهي، ولا أعود به على صديقي فقال: لقد تلطفت في المسألة، وأمر له بصلة. وجاء أعرابي إلى أبي العباس ثعلب وعنده أصحابه، فقال له: ما أراد القائل بقوله: الحمد لله الوهوب المنان * صار الثريد في رؤوس القضبان فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال: أجيبوه، فلم يكن عندهم جواب، وقال له نبطويه: الجواب منك يا سيدي أحسن، فقال: على إنكم لا تعلمونه! قالوا: لا نعلمه، فقال الأعرابي، قد سمعت ما قال القوم، فقال: ولا أنت أعزك الله تعلمه، فقال ثعلب: أراد إن السنبل قد أفرك، قال: صدقت فأين حق الفائدة؟ فأشار إليهم ثعلب،

(١) ديوانه ١٢٩.

فبروه، فقام قائلاً: بوركت من ثعلب، ما أعظم بركتك!
ويكنون عن الشيب بغبار العسكر، وبرغوة الشباب، قال الشاعر:
قالت أرى شيباً برأسك، قلت لا * هذا غبار من غبار العسكر
وقال آخر - وسماه غبار وقائع الدهر
غضبت ظلوم وأزمت هجري * وصبت ضمائرهما إلى الغدر
قالت: أرى شيباً فقلت لها: * هذا غبار وقائع الدهر.
ويقولون للسحاب: فحل الأرض.
وقالوا القلم أحد اللسانين، ورداءة الخط أحد الزمانتين.
قال: وقال الجاحظ: رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل: ارحموا
ذا الزمانتين، قلت: وما هما؟ قال: أنا أعمى وصوتي قبيح، وقد أشار شاعر إلى
هذا فقال:
اثنان إذا عدا * حقيق بهما الموت
فقير ما له زهد * وأعمى ما له صوت
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إياكم وخضراء الدمن)، فلما سئل عنها
قال (المرأة الحسناء في المنبت السوء).
وقال عليه السلام في صلح قوم من العرب: (إن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة)،
أي لا تكشف ما بيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم.
وقال عليه السلام: (الأنصار كرشني وعييتي)، أي موضع سرى.
وكرشي: جماعتي.

ويقال جاء فلان ربذ (١) العنان، أي منهزما.
وجاء ينفض مذرويه (٢)، أي يتوعد من غير حقيقة.
وجاء ينظر عن شماله، أي منهزما.
وتقول فلان عندي بالشمال، أي منزلته خسيصة. وفلان عندي باليمين، أي
بالمنزلة العليا، قال أبو نواس:
أقول لناقتي إذ بلغتني * لقد أصبحت عندي باليمين (٣)
فلم أجعلك للغربان نهبا * ولم أقل اشركي بدم الوتين
حرمت على الأزمة والولايا * وأعلاق الرحالة والوضين
وقال ابن ميادة:

أبيني أفي يمني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك!
وتقول العرب: التقى الثريان في الامرين يأتلفان ويتفقان، أو الرجلين، قال
أبو عبيدة والثرى: التراب الندى في بطن الوادي، فإذا جاء المطر وسح
في بطن الوادي حتى يلتقي نداءه والندى الذي في بطن الوادي يقال:
التقى الثريان.

ويقولون: هم في خير لا يطير غرابه، يريدون إنهم في خير كثير وخصب عظيم
فيقع الغراب فلا ينفر لكثرة الخصب.
وكذلك أمر لا ينادى وليده، أي أمر عظيم ينادى فيه الكبار دون الصغار.
وقيل المراد أن المرأة تشتغل عن وليدها فلا تناديه لعظم الخطب، ومن هذا قول
الشاعر يصف حربا عظيمة:

(١) في اللسان: (ربذ العنان، أي منفردا منهزما).
(٢) المذروان: الجانبان من كل شيء، وقد يطلقان على المنكبين.
(٣) ديوانه ٦٥.

إذا خرس الفحل وسط الحجور * وصاح الكلاب وعق الولد.
يريد أن الفحل إذا عاين الجيش والبارقة لم يلتفت لفت الحجور ولم يصهل، وتنبح
الكلاب أربابها، لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد، وتذهل المرأة عن ولدها رعبا، فجعل
ذلك عقوقا.

ويقولون: أصبح فلان على قرن أعفر، وهو الظبي إذا أرادوا أصبح على
خطر، وذلك لأن قرن الظبي ليس يصلح مكانا، فمن كان عليه فهو على خطر،
قال امرؤ القيس:

ولا مثل يوم بالعظالي قطعته * كأني وأصحابي على قرن أعفرا (١)
وقال أبو العلاء المعري:

* كأني فوق روق الظبي من حذر (٢) *

وأنشد ابن دريد في هذا المعنى:

وما خير عيش لا يزال كأنه * محلة يعسوب برأس سنان
يعنى من القلق وإنه غير مطمئن.

ويقولون: به داء الظبي، أي لا داء به، لأن الظبي صحيح لا يزال، والمرض قل
أن يعتريه، ويقولون: للمتلون المختلف الأحوال ظل الذئب، لأنه لا يزال مرة هكذا
ومرة هكذا

ويقولون: به داء الذئب، أي الجوع.

(١) ديوانه ٧٠ وروايته:

ولا مثل يوم في قدرا ن ظلته * كأني وأصحابي على قرن أعفرا

(٢) سفت الزند ١٣١، وصدرة: * في بلدة مثل ظهر الظبي بت لها *

وعهد فلان عهد الغراب، يعنون إنه غادر، قالوا: لان كل طائر يألف أنثاه
إلا الغراب، فإنه إذا باضت الأنثى تركها وصار إلى غيرها.
ويقولون: ذهب سمع الأرض وبصرها، أي حيث لا يدرى أين هو!
وتقولون: ألقى عصاه، إذا أقام واستقر، قال الشاعر:
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر (١)
ووقع القضيب من يد الحجاج وهو يخطب، فتطير بذلك حتى بان في وجهه، فقام
إليه رجل فقال: إنه ليس ما سبق وهم الأمير إليه، ولكنه قول القائل، وأنشده
البيت، فسرى عنه.
ويقال للمختلفين، طارت عصاهم شققا.
ويقال: فلان منقطع القبال (٢) أي لا رأى له.
وفلان عريض البطن، أي كثير الثروة.
وفلان رخي اللب، أي في سعة.
وفلان واقع الطائر، أي ساكن.
وفلان شديد الكاهل، أي منيع الجانب.
وفلان ينظر في أعقاب نجم مغرب، أي هو نادم آيس، قال الشاعر:
فأصبحت من ليلي الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب (٣)
وسقط في يده، أي أيقن بالهلكة.
وقد رددت يده إلى فيه، أي منعته من الكلام.
وبنو فلان يد على بني فلان، أي مجتمعون.

(١) اللسان (عصا).

(٢) القبال: زمام النعل.

(٣) للمحنون، ديوانه ٧٩.

وأعطاه كذا عن ظهر يد، أي ابتداء لا عن مكافأة.
ويقولون: جاء فلان ناشرا أذنيه، أي جاء طامعا.
ويقال هذه فرس غير محلقة، أي لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف إنها
كريمة، قال:

كميت غير محلقة ولكن * كلون الصرف عل به الأديم.
وتقول: حلب فلان الدهر أشطره، أي مرت عليه ضرابه خيره وشره.
وقرع فلان لأمر ظنوبه، أي جد فيه واجتهد.
وتقول: أبدى الشر نواجذه، أي ظهر.
وقد كشفت الحرب عن ساقها، وكشرت عن نابها.
وتقول: استنوق الجمل، يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره
يخلطه به.

وتقول لمن يهون بعد عز: استأتن العير.
وتقول للضعيف يقوى: استنسر البغاث.
ويقولون: شراب بأنقع، أي معاود للأمر، وقال الحجاج: يا أهل العراق،
إنكم شرابون بأنقع، أي معتادون الخير والشر. والأنقع: جمع نقع، وهو ما استنقع
من الغدران، وأصله في الطائر الحذر يرد المناقع في الفلوات حيث لا يبلغه قانص،
ولا ينصب له شرك

[حديث عن امرئ القيس]

ونختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، قال أبو الفرج: أخبرني (١) محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني ابن عمي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله، عن الهيثم بن عدي. قال: وحدثني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم، فسرنا عنده، فقال: ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح الله الأمير! أحدث حق أم حديث باطل؟ قال: بل حديث حق، فقلت: إن امرأ القيس كان آلى آلية (٢) ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية، ما ثمانية، وأربعة، واثنين، فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة: فأخلاف الناقة، وأما اثنتان فتديا المرأة، فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك، ثم بعث عبداً إلى المرأة، وأهدى إليها معه نحياً من سمن ونحياً (٣) من غسل وحلة من عصب، فنزل العبد على بعض المياه، ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف (٤) فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها

(١) الأغاني ٩: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) الأغاني: (بألية)

(٣) النحى: الزق.

(٤) خلوف: غيب.

هديتها، فقالت أعلم مولاك إن أبي ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، وإن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وإن أخي ذهب يراعى الشمس، وإن سماءكم انشقت، وإن وعاءيكم نضبا.

فقدم الغلام على مولاها، فأخبره فقال: أما قولها: إن أبي ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها: إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل (١) امرأة نساء. وأما قولها: إن أخي ذهب يراعى الشمس، فإن أخاها في سرح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فأصدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم إني ابن عمك، ونشرت الحلة وليستها وتجملت بها، فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء، فقال: أولى لك! ثم ساق مائة من الإبل، وخرج نحوها ومعه العبد يسقي الإبل، فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به العبد في البئر، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل، فأخبرهم إنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض - فسقوه فشرب، فقالت افرشوا له عند الفرث (٢) والدم، ففرشوا له، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك، فقال لها: سلي عما بدا لك، فقالت: مم تختلج شفتاك؟ قال: من تقبيلي إياك، فقالت: مم يختلج كشحك، قال: لالتزامي إياك، قالت: فمم يختلج فخذاك؟

(١) يقال: قبلت القابلة المرأة، إذا تلقت ولدها عند ولادته.

(٢) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

قال: لتوركي إياك، فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا.
قال: ومر قوم فاستخرجوا أمرا القيس من البئر، فرجع إلى حيه وساق مائة من الإبل،
وأقبل إلى امرأته فقيل لها، قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا!
ولكن انحروا له جزورا، وأطعموه من كرشها وذبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: وأين
الكبد والسنام والملحاء (١)، وأبي أن يأكل، فقالت: اسقوه لبنا حازرا، فأتى به، فأبى
إن يشربه، وقال: فأين الضريب (٢) والرثيئة؟ فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم،
ففرشوا له فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لي عند التلعة الحمراء، واضربوا لي عليها
خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سلي عما
سئت، فقالت: مم تختلج شفتاك؟ فقال: لشربي المشعشات، قالت: فمم يختلج
كشحاك؟ قال: للبسي الحبرات. قالت: فمم تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهومات
(٣)،

فقالت: هذا زوجي لعمرى، فعليكم به. فأهديت إليه الجارية.
فقال ابن هبيرة: حسبكم، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو،
ولن يأتي أحد منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لي بجائزة.

(١) اللحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.

(٢) والضريب: هو اللبن يحلب

من عدة لقاح، وفي الأغاني: (الصريف). وهو الحلب الحار ساعة يصرف من الضرع، والرثيئة:
اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته.

(٣) المطهومات: الخيل التامة الحسن.

(٤٧٦)

الأصل:

وقال عليه السلام في كلام له:

ووليهم وال فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه.

الشرح:

الجران: مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب.

وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة، يذكر فيها قربه من النبي

صلى الله عليه وآله واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه، حتى قال فيها:

فاختار المسلمون بعده بأرائهم رجلا منهم، فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف

وحد كانا فيه، وليهم بعده وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، على عسف

وعجرفية كانا فيه، ثم اختلفوا ثالثا لم يكن يملك من أمر نفسه شيئا، غلب عليه أهله

فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم، فلم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد

تارة ويقرب أخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاءوا بي مدب الدبا، يريدون بيعتي.

وتمام الخطبة معروف، فليطلب من الكتب الموضوععة لهذا الفن.

(٢١٨)

(٤٧٧)

الأصل:

وقال عليه السلام:

يأتي على الناس زمان عضوض، يعض الموسر فيه على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه: (ولا تنسوا الفضل بينكم)، ينهد فيه الأشرار، ويستذل الأخيار، ويباع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين.

الشرح:

زمان عضوض، أي كلب على الناس، كأنه يعضهم، وفعول للمبالغة، كالنفور العقوق، ويجوز أن يكون من قولهم بثر عضوض، أي بعيدة القعر ضيقه، وما كانت البثر عضوضا، فأعضت كقولهم: ما كانت جرورا فأجرت، وهي كالعضوض. وعض فلان على ما في يده أي بخل وأمسك. وينهد فيه الأشرار، ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم في الدنيا، ويستذل فيه أهل الخير والدين. ويكون فيه بيع على وجه الاضطرار والإلجاء، كمن بيعت (١) ضيعته، وهو ذليل ضعيف، من رب ضيعة مجاورة لها ذي ثروة وعز وجاه فيلجئه بمنعه الماء واستدلاله الأكرة والوكيل إلى أن يبيعها عليه، وذلك منهي عنه، لأنه حرام محض.

(١) ب: (بيع).

(٤٧٨)

الأصل:

وقال عليه السلام:

يهلك في رجلان: محب مفرط، وباهت مفتر.

قال الرضى رحمه الله تعالى: وهذا مثل قوله عليه السلام: يهلك في اثنان: محب غال، ومبغض قال.

الشرح:

قد تقدم شرح مثل هذا الكلام، وخلاصة هذا القول: إن الهالك فيه المفرط، والمفرط أما المفرط فالغلاة، ومن قال بتكفير أعيان الصحابة ونفاقهم أو فسقهم، وأما المفرط فمن استنقص به عليه السلام أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلا، ولهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز في هذه المسألة، لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة، قالوا: هو أفضل الخلق في الآخرة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو لله سبحانه وخالد في النار مع الكفار والمنافقين، إلا أن يكون ممن قد ثبتت توبته، ومات على تولىه وحبه.

فأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولوا الإمامة قبله فلو إنه أنكر إمامتهم

(٢٢٠)

وغضب عليهم، وسخط فعلهم، فضلا عن أن يشهر عليهم السيف، أو يدعو إلى نفسه، لقلنا: إنهم من الهالكين، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: (حربك حربي، وسلمك سلمى،، وإنه قال: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)، وقال له: (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)، ولكننا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيئهم، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه، إلا ترى إنه لما برئ من معاوية برئنا منه، ولما لعنه لعناه، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضا بضلالهم!

والحاصل إننا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه (١)، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا انه طعن فيهم، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به.

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، و بريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، و خزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة.

وكان الزبير من القائلين به في بدء الامر، ثم رجع، وكان من بنى أمية قوم يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز. وأنا أذكر هاهنا الخبر المروى المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأة آدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الأوساع (١)، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عز وجل: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٢)، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والاخر أبوها، وإن أباهما يا أمير المؤمنين زعم إن زوجها حلف بطلاقها إن علي بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه، وإنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرا، وهو يعلم إنها حرام عليه كأمه. وإن الزوج يقول له: كذبت وأثمت، لقد بر قسمي، وصدقت مقالتي، وإنها امرأتي على رغم أنفك، وغيظ قلبك، فاجتمعوا إلى يختصمون في ذلك، فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها إن عليا خير هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره، فليغضب من

(١) الأوساع: جمع وسع، وهو الطاقة.

(٢) سورة النساء ٨٣.

غضب، ولىرض من رضى، وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت الألسن
مجتمعة فالقلوب شتى، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرعهم
إلى ما فيه الفتنة، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وإنهما تعلقا بها، وأقسم
أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه
بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسن
الله توفيقك وأرشدك!

وكتب في أسفل الكتاب

إذا ما المشكلات وردن يوما * فحارت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعا عن نباها * فأنت لها أبا حفص أمين
لأنك قد حويت العلم طرا * وأحكمت التجارب والشؤون
وخلفك الاله على الرعايا * فحظك فيهم الحظ الثمين.

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش، ثم قال
لأبي المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجل زوجته ابنتي،
وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها، حتى إذا أملت خيرها، ورجوت صلاحه، حلف
بطلاقها كاذبا، ثم أراد الإقامة معها، فقال له عمر: يا شيخ، لعله لم يطلق امرأته،
فكيف حلف؟ قال الشيخ: سبحان الله، الذي حلف عليه لأبين حنثا وأوضح كذبا
من أن يختلج في صدري منه شك، مع سنى وعلمي، لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة
وإلا فامرأته طالق ثلاثا، فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حلفت؟ قال: نعم، فقيل:
إنه لما قال نعم، كاد المجلس يرتج بأهله، وبنو أمية ينظرون إليه شزرا، إلا إنهم
لم ينطقوا بشيء، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه وقال:

إذا ولى الحكومة بين قوم * أصاب الحق والتمس السدادا
وما خير الامام إذا تعدى * خلاف الحق واجتنب الرشادا.

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان الله! قولوا. فقال رجل من بنى أمية: هذا حكم في فرج، ولسنا نجترئ على القول فيه، وأنت عالم بالقول، مؤتمن لهم وعليهم، قل ما عندك، فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويطل حقا جائز على في مجلسي.

قال: لا أقول شيئا، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟ فاغتنمها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن جعلت قولي حكما، أو حكمي جائزا قلت، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي، وأبقى للمودة، قال: قل وقولك حكم، وحكمك ماض.
فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا، ونحن من لحمتك وأولى رحمتك، فقال عمر: اسكتوا، أعجزا ولو ما! عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له. قالوا: لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي، ولا حكمتنا كما حكمته، فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم، وحزم وعجزتم، وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر، لا أبا لكم! أتدرون ما مثلكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكن العقيلي يدري، ثم قال: ما تقول يا رجل، قال: نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الأول: دعيتم إلى أمر فلما عجزتم * تناوله من لا يداخله عجز
فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم * نداما وهل يغنى من القدر الحذر!
فقال عمر: أحسنت وأصبت، فقل ما سألتك عنه. قال: يا أمير المؤمنين،

بر قسمه، ولم تطلق امرأته، قال: وإني علمت ذاك؟ قال: نشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألم تعلم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها: يا بنية، ما علتك قالت: الوعك يا أبتاه - وكان على غائبا في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله - فقال لها: أتشتهين شيئا؟ قالت: نعم أشتهي عنبا، وأنا اعلم إنه عزيز، وليس وقت عنب، فقال صلى الله عليه وآله: ان الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة، فطرق على الباب، ودخل ومعه مكثل قد ألقى عليه طرف ردائه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما هذا يا علي؟ قال: عنب التمسته لفاطمة، فقال: الله أكبر الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي، ثم قال: كلي على اسم الله يا بنية، فأكلت، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلت وبرأت، فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته، يا رجل، خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه. ثم قال: يا بني عبد مناف، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا، ولا بنا عمى

في ديننا، ولكننا كما قال الأول:

تصيدت الدنيا رجالا بفخها * فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا
وأعماهم حب الغنى وأصمهم * فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا
قيل: فكأنما ألقم بنى أمية حجرا، ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران:

عليك سلام فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني قد فهمت كتابك، وورد الرجال والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج، وأبر قسمه، وأثبتته على نكاحه، فاستيقن ذلك، واعمل عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فاما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرني وزيد بن صوحان، وصعصعة أخيه وجندب (١) الخير، وعبيدة السلماني، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الامامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والايخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة، فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقا. فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الافراط والتفريط إن شاء الله.

(١) في د (وحبيب).

(٤٧٩)

الأصل:

وسئل عن التوحيد والعدل، فقال:
التوحيد ألا تتوهمه، والعدل ألا تتهمه.

الشرح:

هذان الركنان هما ركنا علم الكلام، وهما شعار أصحابنا المعتزلة، لنفيهم المعاني القديمة التي يثبتها الأشعري وأصحابه، ولتنزيههم البارئ سبحانه عن فعل القبيح.

ومعنى قوله: (ألا تتوهمه) أي ألا تتوهمه جسما أو صورة أو في جهة مخصوصة، أو مائلا لكل الجهات كما ذهب إليه قوم، أو نورا من الأنوار، أو قوة سارية في جميع العالم، كما قاله قوم، أو من جنس الاعراض التي تحل الحال أو تحل المحل، وليس بعرض كما قاله النصارى وغلاة الشيعة، أو تحله المعاني والاعراض، فمتى توهم على شئ من هذا فقد خولف التوحيد، وذلك لان كل جسم أو عرض أو حال في محل أو محل الحال، أو مختص بجهة، لا بد أن يكون منقسما في ذاته، لا سيما على قول من نفى الجزاء مطلقا، وكل منقسم فليس بواحد، وقد ثبت إنه واحد. وأضاف أصحابنا إلى التوحيد نفى المعاني القديمة، ونفى ثان في الإلهية، ونفى الرؤية، ونفى كونه مشتتيا أو نافرا أو ملتذا (١) أو ألما أو عالما بعلم محدث، أو قادرا بقدرة محدثة، أو حيا بحياة محدثة، أو نفى كونه عالما بالمستقبلات أبدا، أو نفى كونه عالما بكل معلوم أو قادرا

(١) في د (متلذذا).

على كل الأجناس وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يدخلها أصحابنا في الركن الأول، وهو التوحيد.

وأما الركن الثاني فهو ألا تتهمه، أي لا تتهمه في إنه أجبرك على القبيح، ويعاقبك عليه، حاشاه من ذلك! ولا تتهمه في إنه مكن الكذابين من المعجزات، فاضل بهم الناس، ولا تتهمه في إنه كلفك ما لا تطيقه، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكرها أصحابنا مفصلة في كتبهم كالعوض عن الألم، فإنه لا بد منه، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بد منه، وصدق وعده ووعيده، فإنه لا بد منه.

وجملة الامر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين. وهذا المواضع من الموضوع التي قد صرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه، وفي فرش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى.

(٤٨٠)

الأصل:

وقال عليه السلام: في دعاء استسقى به:

اللهم اسقنا ذلل السحائب دون صعابها.

قال الرضى رحمه الله تعالى:

وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك إنه عليه السلام شبه السحب

ذوات الرعود والبوارق، والرياح والصواعق، بالإبل الصعاب التي تقمص

برحالها (١)، وتتوقص بركبائها، وشبه السحائب الخالية من تلك الزوابع

بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة، وتفتعد مسمحة.

الشرح:

قد كفانا الرضى - رحمه الله - بشرحه هذه الكلمة مئونة الخوض في تفسيرها.

(١) في د (بصاحبها).

(٤٨١)

الأصل:

وقيل له عليه السلام: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين! فقال:
الخضاب زينة، ونحن قوم في مصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله.
الشرح:

[مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب]
قد تقدم لنا في الخضاب قول كاف، وأنا أستملح قول الصابي فيه:
خضاب تقاسمناه بيني وبينها* ولكن شأني فيه خالف شأنها
فيا قبحة إذ حل منى بمفرقي* ويا حسنه إذ حل منها بنانها
وسحقا له عن لمتى حين شأنها* وأهلا به في كفها حيث زانها
وقال أبو تمام:

لعب الشيب بالمفارق بل* جد فأبكي تماضرا ولعوبا (١)
خضبت خدها إلى لؤلؤ* العقد دما إن رأت شواتي خضيبا (٢)
كل داء يرجى الدواء* له إلا الفطيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى* حسناتي عند الحسان ذنوبا (٣)

(١) ديوانه ١: ١٦٦، وتماضر ولعوب من أسماء النساء.

(٢) الشواة: جلدة الرأس.

(٣) الثغام: نبت أبيض يشبه الشيب.

ولئن عبن ما رأين لقد * أنكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله إن في الشيب فضلا * جاورته الأبرار في الخلد شيئا
وقال:

فإن يكن المشيب طغى علينا * وأودى بالبشاشة والشباب
فإنني لست ادفعه بشئ * يكون عليه أثقل من خضاب
أردت بان ذاك وذا عذاب * فسلطت العذاب على العذاب.
ابن الرومي:

لم أخضب الشيب للغواني * أبغي به عندهم ودادا
لكن خضابي على شباب * لبست من بعده حدادا.
ومن مختار ما جاء من الشعر في الشيب وإن لم يكن فيه ذكر الخضاب قول
أبي تمام:

نسج المشيب له لفاعا مغدفا * يققا فقعن مذرويه ونصفا
نظر الزمان إليه قطع دونه * نظر الشقيق تحسرا وتلهفا
ما اسود حتى ابيض كالكرم الذي * لم يبد حتى جئ كيما يقطفا
لما تفوفت الخطوب سوادها * ببياضها عبثت به فتفوففا
ما كان يخطر قبل ذا في فكره * للبدر قبل تمامه أن يكسفا.
وقال أيضا:

غدا لهم مختطا بفودي خطة * طريق الردى منها إلى الموت مهيع (١)

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٤ .

هو الزور يجفني و المعاشر يجتوى * وذو الألف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع * ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع.
وقال أيضا:

شعلة في المفارق استودعتني * في صميم الأحشاء ثكلا صميما (١)
تستثير الهموم ما اكن منها * صعدا وهي تستثير الهموما
غره مرة ألا إنما كنت * أغر أيام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمى اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني * قبل هذا التحليم كنت حليما.
وقال الصابي: وذكر الخضاب

خضبت مشيبي للتلعلق بالصبا * وأوهمت من أهواه إنني لم أشب
فلما ادعى منى العذار شبيبة * إذا صلعي قد صاح من فوقه كذب
فكم طرة طارت ودانت ذوائب * وكم وجنة حالت وماء بها نضب
شواهد بالتزوير يحوين ربها * فهجرانه عند الأحبة قد وجب.
البحثري:

بان الشباب فلا عين ولا أثر * إلا بقية برد منه أسمال
قد كدت أخرجته عن منتهى عددي * يأسا وأسقطه إذ فات من بالي
سوء العواقب يأس قبله أمل * وأعضل الداء نكس بعد إبلال
والمرء طاعة أيام تنقله * تنقل الظل من حال إلى حال

(١) ديوانه ٣: ٢٢٣.

(٤٨٢)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة.

[نبد وحكايات حول العفة]

الشرح:

قد تقدم القول في العفة، وهي ضروب: عفة اليد، وعفة اللسان، وعفة الفرج، وهي العظمى، وقد جاء في الحديث المرفوع: (من عشق فكتم وعف وصبر فمات مات شهيداً ودخل الجنة).

وفي حكمة سليمان بن داود: إن الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده.

نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج، فشخص المنزول عليه لبعض حاجاته وقال لزوجته: يا ظمياء، أوصيك بضيفي هذا خيراً - وكانت من أحسن الناس - فلما عاد بعد شهر قال لها: كيف كان ضيفك؟ قالت: ما أشغله بالعمى عن كل شئ، وكان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها.

(٢٣٣)

وقال الشاعر:

إن أكن طامح اللحاظ فإني والذي يملك القلوب عفيف.
خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورأسها مكشوف، فرآها
رجل أجنبي فرجعت وحلقت شعرها، وكانت من أحسن النساء شعرا، فقيل لها في
ذلك، قالت: ما كنت لأدع على رأسي شعرا رآه من ليس لي بمحرم.
كان ابن سيرين يقول: ما غشيت امرأة قط في يقظة ولا نوم غير أم عبد الله
وإني لأرى المرأة في المنام وأعلم إنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها.
وقال بعضهم:

وإني لعف عن فكاهة جارتي * وإني لمشوء إلى اغتياها
إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها * صديقا ولم تأنس إلى كلابها
ولم أك طلابا أحاديث سرها * ولا عالما من أي حوك ثيابها
دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان، فقال: ما أرى فيك يا بثينة شيئا مما
كان يلهج به جميل! فقالت: إنه كان يرنو إلى بعينين ليستا في رأسك يا أمير المؤمنين،
قال: فكيف صادفته في عفته؟ قالت: كما وصف نفسه إذ قال:
لا والذي تسجد الجبابة له * ما لي بما ضم ثوبها خبر (١)
ولا بفيها ولا هممت به * ما كان إلا الحديث والنظر
وقال أبو سهل الساعدي: دخلت على جميل في مرض موته، فقال: يا أبا سهل،
رجل يلقي الله ولم يسفك دما حراما، ولم يشرب خمرا، ولم يأت فاحشة، أترجو له
الجنة؟ قلت: أي والله فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك، فذكرت له بثينة،

(١) ديوانه ٨٩، ٩٠.

فقال: إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، لا نالتي شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريية معها أو مع غيرها قط.
قال الشاعر:

قلت وقلت ترفقي فصلي * حبل امرئ بوصالكم صب
صادق إذا بعلي فقلت لها * الغدر شيء ليس من شعبي
ثنتان لا أصبو لوصلهما * عرس الصديق وجاره الجنب
أما الصديق فلست خائنه * والجار أوصاني به ربي.
يقال إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت
تري على وجهه من النور، فأبى وقال:
أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه
راود توبة بن الحمير ليلي الأخيلية مرة عن نفسها، فاشمأزت منه وقالت:
وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس إليها ما حبيت سبيل (١)
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل.
ابن ميادة:

موانع لا يعطين حبه خردل * وهن زوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ربية * كما كرهت صوت اللجام الشوامس
آخر:
بيض أوانس ما هممن بريية * كظباء مكة صيدهن حرام

(١) أمالي القالي ١ : ٨٨.

يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام
في الحديث المرفوع: (لا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك، فإنه لا يزني
فرجك ما حفظت عينيك، وإن استطعت ألا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل
ولن تستطيع ذلك إلا بإذن الله).

كان ابن المولى الشاعر المدني موصوفا بالعفة وطيب الإزار، فأنشد عبد الملك شعرا
له من جملته:

وأبكى فلا ليلي بكت من صباية * لباك ولا ليلي لذي البذل تبذل
وأخنع بالعتبي إذا كنت مذنبا * وإن أذبت كنت الذي أتوصل.
فقال عبد الملك: من ليلي هذه؟ إن كانت حرة لأزوجنكها، وإن كانت أمة
لأشترينها لك بالغة ما بلغت، فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ما كنت لأصعر وجه حر
أبدا في حرته ولا في أمته، وما ليلي التي أنست بها إلا قوسي هذه سميتها ليلي لان
الشاعر لا بد له من النسيب.

ابن الملوح المجنون:

كان على أنيابها الخمر مجه * بماء الندى من آخر الليل غابق (١)
وما ذفته إلا بعيني تفرسا * كما شيم من أعلى السحابة بارق.
هذا مثل بيت الحماسة:

بأعذب من فيها وما ذقت طعمه * ولكنني فيما ترى العين فارس (٢)
شاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة * إلا نهاني الحياء والكرم

(١) ديوانه ٢٠٣.

(٢) لأبي صغيرة البولاني، ديوان الحماسة ٣: ١٢٨١ - بشرح المرزوقي.

ولا إلى محرم مددت يدي * ولا مشت بي لريية قدم.
العباس بن الأحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر (١)
لا يضر السوء إن طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر.
قال بعضهم: رأيت امرأة مستقبلة البيت في الموسم، وهي في غاية الضر والنحافة
رافعة يديها تدعو، فقلت لها هل لك من حاجة؟ قالت: حاجتي أن تنادي في
الموقف بقولي:

تزود كل الناس زادا يقيمهم * وما لي زاد والسلام على نفسي
ففعلت، وإذا أنا بفتى منهوك، فقال: أنا الزاد، فمضيت به إليها، فما زادوا على النظر
والبكاء، ثم قالت له: انصرف مصاحباً، فقلت: ما علمت إن التقاء كما يقتصر فيه على
هذا، فقالت: أمسك يا فتى، أما علمت إن ركوب العار ودخول النار شديد.
قال بعضهم:

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر
قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه: اعشقوا تطرفوا، وعفوا تشرفوا.
وصف اعرابي امرأة طرقتها، فقال: ما زال القمر يرينها فلما غاب أرتنيه، فقيل:
فما كان بينكما؟ قال: ما أقرب ما أحل الله مما حرم، إشارة في غير باس، ودنو من غير
مساس، ولا وجع أشد من الذنوب.

(١) ديوانه ١٤٧.

كثير عزة:

وإني لأرضى منك يا عز بالذي * لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبالا أستطيع وبالمنى * وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
وبال نظرة العجلي وبالحول ينقضي * وأخره لا نلتقي وأوائله.
وقال بعض الظرفاء: كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى، ويقنعون بان يمضغ
أحدهم لبانا قد مضغته محبوبته، أو يستاك بسواكها، ويرون ذلك عظيما، واليوم
يطلب أحدهم الخلوة وإرخاء الستور، كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد
وأبا هريرة.

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب:

وإني ليرضيني المرور ببابها * وأقع منها بالوعيد وبالزجر.
قال يوسف بن الماجشون: أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن:
إذا قلت هاتي نولينى تبسمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت حولها * وعرفتها ما رخص الله في اللمم.
فضحك وقال: إن كان وضاح لفقيها في نفسه.
قال آخر:

فقلت بحق الله إلا أتيتنا * إذا كان لون الليل لون الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل وال وحارس
فبتنا مبيتا طيبا نستلذه * جميعا ولم أمدد لها كف لأمس.
مرت امرأة حسناء بقوم من بنى نمير مجتمعين في ناد لهم، فرمقوها بأبصارهم،
وقال قائل منهم: ما أكملها لولا إنها رسحاء (١)! فالتفت إليهم، وقالت: والله

(١) الرسحاء: القبيحة.

يا بني نمير، ما أطعم الله ولا الشاعر، قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) (١).

وقال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا (٢)
فأخجلتهم.

وقال أبو صخر الهذلي من شعر الحماسة:

لليلة منها تعود لنا * من غير ما رفت ولا أثم
أشهى إلى نفسي ولو برحت * مما ملكت ومن بني سهم.
آخر:

وما نلت منها محرما غير أنني * أقبل بساما من الثغر أفلجا
وألثم فاها آخذا بقرونها * وأترك حاجات النفوس تخرجا.
وأعف من هذا الشعر قول عبد بنى الحسحاس على فسقه:
لعمر أبيها ما صبوت ولا صبت * إلى وإنني من صبا لحليم
سوى قبله استغفر الله ذنبها * سأطعم مسكينا لها وأصوم.
وقال آخر:

ومجدولة جدل العناق كأنما * سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ضربت لها الميعاد ليست بكنة * ولا جارة يخشى على ذمامها
فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم * سوى خلة هيهات منك مرامها
فقلت معاذ الله أن أركب التي * تبيد ويبقى في المعاد أاثامها.

(١) سورة النور ٣٠.

(٢) لجرير، ديوانه ٧٥.

قوله: (ليست بكنة * ولا جارة يخشى على ذمامها)، مأخوذ من قول قيس بن الخطيم:

ومثلك قد أحبت ليست بكنة * ولا جارة ولا حليلة صاحب (١)
وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله: (ولا حليلة صاحب).

وأنشد ابن مندويه لبعضهم:

أنا زاني اللسان والطرف ألا * إن قلبي يعاف ذاك ويأبى
لا يراني الإله أشرب إلا * كل ما حل شربه لي وطابا.
آخر:

نلهو بهن كذا من غير فاحشة * لهو الصيام بتفاح البساتين
بشار بن برد:

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم * ما في التزام ولا في قبلة حرج (٢)
من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج.

البيت الآخر مثل قول القائل:

من راقب الناس مات هما * وفاز باللذة الجسور.
أبو الطيب المتنبي:

وترى الفتوة والمروة والأبوة * في كل مليحة ضراتها (٣)
هن الثلاث المانعاتي لذتي * في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
إنني على شغفي بما في خمرها * لأعف عما في سراويلاتها.

(١) ديوانه ٣٦.

(٢) ديوانه ٢: ٧٥، ٧٦.

(٣) ديوانه ١: ٢٢٧.

كان الصاحب رحمه الله يستهجن قوله: (عما في سراويلاتها)، ويقول: إن كثيرا من العهر أحسن من هذه العفة، ومعنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تراهن الملاح ضرائر لهن لأنهن يمتنعن عن الخلوة بالملاح والتمتع بهن. ثم قال: إن هذه الخلال هي التي تمنعه لا الخوف من تبعاتها، وقال قوم: هذا تهاون بالدين، ونوع من الالحاد. وعندي أن هذا مذهب للشعراء معروف، لا يريدون به التهاون بالدين، بل المبالغة في وصف سجاياهم وأخلاقهم بالطهارة، وإنهم يتركون القبيح لأنه قبيح، لا لورود الشرع به، وخوف العقاب منه، ويمكن أيضا أن يريد بتبعاتها تبعات الدنيا، أي لا أخاف من قوم هذه المحبوبة التي أنست بها، ولا أشفق من حربهم وكيدهم، فأما عفة اليد وعفة اللسان فهما باب آخر، وقد ذكرنا طرفا صالحا من ذلك في الاجزاء المتقدمة عند ذكرنا الورع.

وفي الحديث المرفوع: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذار ما به البأس).

وقال أبو بكر في مرض موته: إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأخذ لهم درهما ولا دينارا، وأكلنا من جريش الطعام، ولبسنا من خشن الثياب، وليس عندنا من فئ المسلمين إلا هذا الناضح، وهذا العبد الحبشي، وهذه القطيفة، فإذا قبضت فادفعوا ذلك إلى عمر ليجعله في بيت مال المسلمين، فلما مات حمل ذلك إلى عمر، فبكى كثيرا ثم قال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده!
قال سليمان بن داود: يا بني إسرائيل، أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما، لا تدخلوا أجوافكم إلا الطيب، ولا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب.

وقال بعض الحكماء: إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك وبين المحارم حائطا من حديد، فسوف يفتح عليك أبواب معرفته. و
مما يحكى من ورع حسان بن أبي سنان إن غلاما له كتب إليه من الأهواز:
إن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ما قدرت عليه من السكر، فإنك تجد
له ربحا كثيرا فيما بعد، فابتاع، وطلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف
درهم، فاستقال البيع من صاحبه، وقال: إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه،
فقال البائع: قد علمت الان مقدار الربح، وقد طيبته لك وأحللتك، فلم يطمئن قلبه،
وما زال حتى رده عليه.

يقال إن غنم الغارة اختلطت بغنم أهل الكوفة، فتورع أبو حنيفة أن
يأكل اللحم، وسأل كم تعيش الشاة؟ قالوا: سبع سنين، فترك أكل لحم الغنم
سبع سنين.

ويقال: إن المنصور حمل إليه بكرة فرمى بها إلى زاوية البيت، فلما مات جاء
بها ابنه حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة، وقال: إن أبي أوصاني
أن أرد هذه عليك، وقال: إنها كانت عندي كالوديعة، فاصرفها فيما أمرك الله
به، فقال أبو الحسن: رحم الله أبا حنيفة! لقد شح بدينه إذ سخت به
نفوس أقوام.

وقال سفيان الثوري: انظر درهمك من أين هو، وصل في الصف الأخير.
جابر، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لكعب بن عجرة: (لا يدخل الجنة
لحم نبت من السحت، النار أولى به).
الحسن: لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم سحقته ثم جعلته ذرورا،
ثم داويت به المرضى.

عائشة، قالت: يا رسول الله، من المؤمن؟ قال: من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما، قالت: يا رسول الله، أما إنهم لو كلفوا ذلك لتكلفوه، فقال لها: إنهم قد كلفوه، ولكنهم يعسفون الدنيا عسفا.

حذيفة بن اليمان يرفعه: إن قوما يجيئون يوم القيامة ولهم من الحسنات كأمثال الجبال، فيجعلها الله هباء منثورا، ثم يؤمر بهم إلى النار، فقليل: خلهم لنا يا رسول الله، قال: إنهم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون أهبه من الليل، ولكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه

(٢٤٣)

(٤٨٣)

الأصل:

وقال عليه السلام: القناعة مال لا ينفد

قال: وقد روى بعضهم هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

الشرح:

قد تقدم القول في هذا المعنى، وقد تكررت هذه اللفظة بذاتها في كلامه عليه السلام.

ومن جيد القول في القناعة قول الغزي:

أنا كالشعبان جلدي ملبسي * لست محتاجا إلى ثوب الجمال

فالخمول العز واليأس الغنى * والقنوع الملك، هذا ما بدا لي.

وقال أيضا

لا تعجبن لمن يهوى ويصعد في * دنياه فالخلق في أرجوحة القدر

وأقنع بما قل فالأوشال صافية * ولجة البحر لا تخلو من الكدر

(٢٤٤)

(٤٨٤)

الأصل:

وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها، في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج: استعمل العدل، واحذر العسف والحييف، فإن العسف يعود بالجلاء، والحييف يدعو إلى السيف.

الشرح:

قد سبق الكلام في العدل والجور.

وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف، أو لأنهم كانوا يظنون إن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج حملاً للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر، كأجرة العقار، وجوالي أهل الذمة، فكان ذلك يجحف بالناس ويدعو إلى عسفهم وحييفهم.

وقد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار، ولم يعلموا فرق ما بين السنيتين، ثم تنبه له قوم من أذكى الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة، ثم أهمل الناس الكبس، وانفرج ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفرجا كثيراً.

واستقصاء القول في ذلك لا يليق بهذا الموضوع، لأنه خارج عن فن الأدب الذي هو موضوع كتابنا هذا.

(٢٤٥)

(٤٨٥)

الأصل:

وقال عليه السلام: أشد الذنوب ما استخف بها صاحبها.

الشرح:

عظم المصيبة على حسب نعمة العاصي، ولهذا كان لطم الولد وجه الوالد كبيرا ليس كلطمة وجه غير الوالد.

ولما كان البارئ تعالى أعظم المنعمين، بل لا نعمة إلا وهي في الحقيقة من نعمه، ومنسوبة إليه، كانت مخالفته ومعصيته عظمه جدا، فلا ينبغي لأحد ان يعصيه في أمر وإن كان قليلا في ظنه، ثم يستقله ويستهيئ به، ويظهر الاستخفاف وقلة الاحتفال بمواقفته، فإنه يكون قد جمع إلى المعصية معصية أخرى، وهي الاستخفاف بقدر تلك المعصية التي لو أمعن النظر لعلم إنها عظيمة، ينبغي له لو كان رشيدا أن يبكي عليها الدم فضلا عن الدمع، فلهذا قال عليه السلام: (أشد الذنوب ما استخف بها صاحبها).

(٢٤٦)

(٤٨٦)

الأصل:

وقال عليه السلام:

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

الشرح:

تعليم العلم فرض كفاية، وفي الخبر المرفوع: (من علم علماً وكتمه أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار).

وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (تعلموا العلم فإن تعلمه خشية الله، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قرابة، لأنه معالم الحلال والحرام، وبيان سبيل الجنة، والمؤمنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجلس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء).

ورئى واصل بن عطاء يكتب من صبي حديثاً، فقيل له: مثلك يكتب من هذا! فقال: أما إنني أحفظ له منه، ولكنني أردت أن أذيقه كأس الرياسة، ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم.

(٢٤٧)

وقال الخليل: العلوم أفعال، والسؤال مفتاحها.
وقال بعضهم: كان أهل العلم يظنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه
ويبدلون لهم دنياهم، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضمنوا
عنهم بدنياهم.
وقال بعضهم: ابذل علمك لمن يطلبه، وادع إليه من لا يطلبه، وإلا كان مثلك
كمن أهديت له فاكهة فلم يطعمها ولم يطعمها حتى فسدت.

(٢٤٨)

(٤٨٧)

الأصل:

وقال عليه السلام:

شر الاخوان من تكلف له.

الشرح:

إنما كان كذلك لان الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط، وترك التكلف، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على إن ليس هناك إخاء صادق، ومن ليس بأخ صادق فهو من شر الاخوان.

وروى ابن نايقا في كتاب (ملح الممالحة)، قال: دخل الحسن بن سهل على المأمون، فقال له: كيف علمك بالمروءة؟ قال: ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه؟ قال: عليك بعمر بن مسعدة، قال: فوافيت عمرا وفي داره صناع، وهو جالس على آجرة ينظر إليهم، فقلت: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلمني المروءة، فدعا بأجرة فأجلسني عليها، وتحدثنا مليا، وقد امتلأت غيظا من تقصيره بي، ثم قال: يا غلام عندك شيء يؤكل؟ فقال: نعم، فقدم طبقا لطيفا، عليه رغيفان وثلاث سكرجات، في إحداهن خل، وفي الأخرى مرء، وفي الأخرى ملح، فأكلنا، وجاء الفراش فوضأنا، ثم قال: إذا شئت! فنهضت متحفظا، ولم أودعه، فقال لي: إن رأيت أن تعود إلى في يوم مثله! فلم أذكر للمأمون شيئا مما جرى، فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقياه

(٢٤٩)

سرت إليه فاستؤذن لي عليه، فتلقاني على باب الدار، فعانقني، وقبل بين عيني، وقدمني أمامه، ومشى خلفي حتى أقعدني في الدست، وجلس بين يدي، وقد فرشت الدار، وزينت بأنواع الزينة، وأقبل يحدثني ويتنادر معي إلى أن حضرت وقت الطعام، فأمر فقدمت أطباق الفاكهة، فأصبنا منها، ونصب الموائد، فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها وباردها، وحلوها وحامضها، ثم قال: أي الشراب أعجب إليك؟ فاقترحت عليه، وحضر الوصائف للخدمة، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفرش وكسوة، وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل، فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الروم والوصائف حتى سعوا بين يدي، وقال: عليك بهم فهم لك. ثم قال: إذا زارك أخوك فلا تتكلف له، واقتصر على ما يحضرك، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد، ولا تدعن ممكنا، كفعلنا إياك عند زيارتك إيانا، وفعلنا يوم دعوناك.

(٢٥٠)

(٤٨٨)

الأصل:

وقال عليه السلام في كلام له:
إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه.

الشرح:

ليس يعنى أن الاحتشام علة الفرقة، بل هو دلالة وإمارة على الفرقة لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضى الاحتشام لانبسط على عادته الأولى، فالانقباض إمارة المباشرة.

هذا آخر ما دونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى.
ونحن الان ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسبه قوم إليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روى عنه، وعزى إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء، ولكنه كالنظير لكلامه، والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة، رأينا ألا نخلي هذا الكتاب عنه، لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب (نهج البلاغة).

(٢٥١)

وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبيه له، لطول الكتاب وتباعد أطرافه، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة، فوجدناه ألف كلمة. فإن اعترضنا معترض وقال: فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له، فلماذا ذكرتموه، وهل ذلك إلا نوع من التطويل! أجبناه وقلنا: لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب الا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه، فالعذر هاهنا هو العذر هناك، وهو إن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة، فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام، وينصب في قلبه ويحتذي حذوه، ويتقبل منهجته، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظر عند الخوض في شرح نظيره. وهذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلالها ووضوحها، وإن أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله، وبالله التوفيق.

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

- ١ - كان كثيرا ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل: أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آيات تدل عليك، وشواهد تشهد بما إليه دعوت. كل ما يؤدي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية، موسوم بآثار نعمتك ومعالم تديبيرك. علوت بها عن خلقك. فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر، وكفاها رجم الاحتجاج، فهي مع معرفتها بك، وولها إليك، شاهدة بإنك لا تأخذك الأوهام، ولا تدركك العقول ولا الابصار. أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك، لا إله إلا أنت، واحدا أحدا، فردا صمدا، ونحن لك مسلمون.
- ٢ - إلهي، كفاني فخرا أن تكون لي ربا، وكفاني عزا أن أكون لك عبدا، أنت كما أريد، فاجعلني كما تريد.
- ٣ - ما خاف امرؤ عدل في حكمه، وأطعم من قوته، وذخر من دنيه لآخرته.
- ٤ - أفضل على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.
- ٥ - لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها، وفي الاجل عظيم ثوابها، بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السماوات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلا عن القيام بشكرها.
- ٦ - من علامات المأمون على دين الله بعد الاقرار والعمل، الحزم في أمره، والصدق في قوله، والعدل في حكمه، والشفقة على رعيته، لا تخرجه القدرة إلى خرق (١)، ولا اللين إلى ضعف، ولا تمنعه العزة من كرم عفو، ولا يدعو العفو إلى

إضاعة حق، ولا يدخله الاعطاء في سرف، ولا يتخطى به القصد (١) إلى بخل، ولا تأخذه نعم الله بيطر.

٧ - الفسق نجاسة في الهمة، وكلب في الطبيعة (٢).

٨ - قلوب الجهال تستفزها (٣) الأطماع، وترتهن بالأماني، وتتعلق بالخدائع. وكثرة الصمت زمام اللسان، وحسم (٤) الفطنة، وإماطة الخاطر (٥)، وعذاب الحس.

٩ - عداوة الضعفاء للأقوياء، والسفهاء للحلماء والأشرار للأخيار، طبع لا يستطيع تغييره.

١٠ - العقل في القلب، والرحمة في الكبد، والتنفس في الرئة.

١١ - إذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه وبين شهوته، وحجز بينه وبين قلبه، وإذا أراد به شرا وكله إلى نفسه.

١٢ - الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو.

١٣ - رحم الله عبدا اتقى ربه، وناصح نفسه وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به.

١٤ - مر بمقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة (٦)، من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط (٧)، ونحن لكم تبع (٨) نزوركم عما قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم.

(١) القصد: أمر بين الافراط والتفريط.

(٢) الطبع والطبيعة: السجية.

(٣) استفزه واستخفه: أخرجه عن دائرة الحزم وضبط الامر والاخذ فيه بالثقة.

(٤) الحسم: القطع، والفطنة: الذكاء وحدة الفهم.

(٥) إماطة الخاطر، الإماطة: الابعاد والإزالة، والخطاير ما يخطر بالبال من التعقلات.

(٦) أفقر المكان: خلا.

(٧) فرط القوم يفرطهم، تقدمهم إلى الورد، والفرط بالتحريك: المتقدم إلى الماء.

(٨) التبع: التابع.

الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا، أحياء وأمواتا (١). والحمد لله الذي منها خلقنا،
وعليها

ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يعيدنا. طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف،
وأعد للحساب!

١٥ - إنكم مخلوقون اقتدارا، ومربوبون اقتسارا (٢)، ومضمنون أجداثا (٣)،
وكائنون رفاتا (٤)، ومبعوثون أفرادا، ومديون حسابا. فرحم الله امرأ اقتترف فاعترف،
ووجل فعقل، وحاذر (٥) فبادر، وعمر فاعتبر، وحذر فازدجر، وأجاب فأجاب، وراجع
فتاب، واقتدى فاحتذى (٦)، وتأهب للمعاد، واستظهر بالزاد، ليوم رحيله، ووجه سبيله
ولحال حاجته، وموطن فاقتته، فقدم أمامه لدار مقامه، فمهدوا لأنفسكم على سلامه الأبدان
وفسحة الأعمار، فهل ينتظر أهل غضارة (٧) الشباب إلا حواني الهرم، وأهل بضاضة
الصحة إلا نوازل السقم، وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت، ومشاركة
الانتقال، وإشفاء الزوال، وحفز الأنين (٨) ورشح الجبين، وامتداد العرنين (٩)، وعلز
القلق (١٠)، وقيظ الرمق (١١)، وشدة المضض، وغصص الجرض (١٢).
١٦ - ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى،
والعدل في الغضب والرضا.

(١) قوله: (كفاتا أحياء وأمواتا)، أي جعل الأرض مجمع لنا في حياتنا ومماتنا، الكفاة بالكسر:
الموضع يكفت فيه الشيء، أي يضم ويجمع، والأرض كفات لنا.

(٢) قسره: قهره.

(٣) الحدث: القبر.

(٤) رفاتا، رفته: كسره ودقه، والرفات الحطام.

(٥) الحذر: الاحتراز.

(٦) د: (اهتدى).

(٧) الغضارة: النعمة والسعة والخصب.

(٨) الحفز: الحث والإعجال.

(٩) العرنين: الانف، فإنه يمتد عند الموت.

(١٠) العلز: القلق والخفة.

(١١) القيظ بالقاف: شدة الحر: وبالفاء: الموت. والرمق: بقية الحياة.

(١٢) الغصة: ما اعترض في الحلق: والجرض: الريق.

- ١٧ - إياكم والفحش، فان الله لا يحب الفحش، وأياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، هو الذي سفك دماء الرجال، وهو الذي قطع أرحامها، فاجتنبوه.
- ١٨ - إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم كان علمه الناس فانتفعوا به، وولد صالح يدعو له.
- ١٩ - إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً.
- ٢٠ - سأله رجل، فقال: بماذا أسوء عدوى؟ فقال: بأن تكون على غاية الفضائل، لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فارة، أو كلب صيود، فهو لان تذكر بالجميل وينسب إليك أشد مساءة.
- ٢١ - إذا قذفت بشيء فلا تتهاون به وإن كان كذبا، بل تحرز من طرق القذف جهدك، فإن القول وإن لم يثبت يوجب ريبة وشكا.
- ٢٢ - عدم الأدب سبب كل شر.
- ٢٣ - الجهل بالفضائل عدل الموت.
- ٢٤ - ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلا!
- ٢٥ - من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه.
- ٢٦ - احمد من يغلظ عليك ويعظك، لا من يزكك ويتملقك.
- ٢٧ - اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف، ولا تختار أن تكون غالبا وأنت ظالم.
- ٢٨ - لا تهضمن محاسنك بالفخر والتكبر.
- ٢٩ - لا تنفك المدنية من شر، حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكمته.

- ٣٠ - إذا أردت أن تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد.
- ٣١ - من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، وذهبت كرامته، وأفضل إيمان العبد أن يعلم إن الله معه حيث كان.
- ٣٢ - كن ورعا تكن من أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، ولا تكثرن الضحك، فإن كثرت تميت القلب، وأخرس لسانك، واجلس في بيتك، وابك على خطيئتك.
- ٣٣ - إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعمّا عمل فيما علم!
- ٣٤ - في التجارب علم مستأنف، والاعتبار يفيدك الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك، لأخيك مثل الذي عليه لك.
- ٣٥ - الغضب يثير كامن الحقد، ومن عرف الأيام لم يغفل الاستعداد، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول.
- ٣٦ - اسكت واستر تسلم. وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق!
- ٣٧ - أكبر الفخر ألا تفخر.
- ٣٨ - ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها!
- ٣٩ - لا تنازع جاهلا، ولا تشايح مائقا (١)، ولا تعاد مسلطا.
- ٤٠ - الموت راحة للشيخ الفاني من العمل، وللشباب السقيم من السقم، وللغلام (٢)

(١) الموق: الحمق.

(٢) د: (الغلام).

- الناشئ من استقبال الكد والجمع لغيره، ولمن ركب (١) الدين لغرمائه، وللمطلوب بالوتر، وهو في جملة الامر أمنية كل ملهوف مجهود.
- ٤١ - ما كنت كاتمته عدوك من سر، فلا تطلعن عليه صديقك، واعرف قدرك يستعمل أمرك، وكفى ما مضى مخبراً عما بقي!
- ٤٢ - لا تعدن عده تحقرها قلة الثقة بنفسك، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً.
- ٤٣ - اتق العواقب عالماً بان للأعمال جزاء وأجراً، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها.
- ٤٤ - من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي، ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل، ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة، فإن الصبر قوة من قوى العقل، وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر.
- ٤٥ - الخطأ في إعطاء من لا يتغنى ومنع من يتغنى واحداً.
- ٤٦ - العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض.
- ٤٧ - أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وقائل كلمة الزور ومن يمد بحبلها في الاثم سواء.
- ٤٨ - الخصومة تمحق الدين.
- ٤٩ - الجهاد ثلاثة: جهاد باليد، وجهاد باللسان، وجهاد بالقلب، فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك، ثم يصير إلى القلب، فإن كان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً فكس فجعل أعلاه أسفله (٢).

(١) أي أعلاه.

(٢) انظر القضاءي ٢٦٥.

- ٥٠ - ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه.
- ٥١ - الحاجة مسألة، والدعاء زيادة، والحمد شكر، والندم توبة.
- ٥٢ - لن وأحلم تنبل (١)، ولا تكن معجبا فتمقت وتمتهن.
- ٥٣ - ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلا تكلفوا إنارة المصابيح ليصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم.
- ٥٤ - الفقر هو أصل حسن سياسة الناس، وذلك إنه إذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس، وبعضهم يساس، وكان من يساس لا يستقيم أن يساس من غير أن يكون فقيرا محتاجا، فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم حسن السياسة.
- ٥٥ - لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون ان تسمع كلامه (٢)، وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه، فإن وجدت ما في نفسه أكثر، فحينئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك.
- ٥٦ - إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس، فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها.
- ٥٧ - إذا كان الإباء هم السبب في الحياة، فمعلمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها.
- ٥٨ - وشكا إليه رجل تعذر الرزق، فقال: مه، لا تجاهد الرزق جهاد المغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة، والاحمال

(١) النبل: الشرف والفضيلة.

(٢) د: (قوله).

- في الطلب من العفة، وليست العفة دافعة رزقا، ولا الحرص جالبا فضلا، لان الرزق مقسوم، وفي شدة الحرص اكتساب المآثم.
- ٥٩ - إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه.
- ٦٠ - العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه، فتعلم الأهم فالأهم.
- ٦١ - من رضى بما قسم له استراح قلبه وبدنه (١).
- ٦٢ - أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه وفرجه.
- ٦٣ - ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤالها (٢)، فيشغلكم عن ذكر الله.
- ٦٤ - ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم.
- ٦٥ - إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت، فاستعينوا بالله واصبروا، فإن الأرض لله يورثها من يشاء.
- ٦٦ - قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر وعمر خير منك، فقال: أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما.
- ٦٧ - أوثق سلم يتسلق (٣) عليه إلى الله تعالى أن يكون خيرا.
- ٦٨ - ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا، وكان يمكن أن يغتصبه (٤) غيره منه، ولا يبقى بعد موته له، لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائما عند مالكة، ولا يمكن أن يؤخذ منه، ويبقى له بعد موته، وذلك هو الحكمة.
- ٦٩ - الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال (٥).

(١) د: (نفسه).

(٢) ا: (سؤالها).

(٣) تسلق الشيء: علاه.

(٤) د: (يقبضه).

(٥) المنن: اصطناع المعروف في أعناق الناس.

- ٧٠ - يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.
- ٧١ - أحزم الناس من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.
- ٧٢ - من لم يصلح خلائقه، لم ينفع الناس تأديبه.
- ٧٣ - من اتبع هواه ضل، ومن حاد ساد، وخمود الذكر أجمل من ذميم الذكر (١).
- ٧٤ - لهب الشوق أخف محملا من مقاساة الملالة.
- ٧٥ - بالرفق تنال الحاجة، وبحسن التأنى تسهل المطالب.
- ٧٦ - عزيمة الصبر تطفئ نار الهوى، ونفى العجب يؤمن به كيد الحساد.
- ٧٧ - ما شئ أحق بطول سجن من لسان.
- ٧٨ - لا نذر في معصية، ولا يمين في قطيعة.
- ٧٩ - لكل شئ ثمرة، وثمره المعروف تعجيل السراح (٢).
- ٨٠ - إياكم والكسل، فإنه من كسل لم يؤد لله حقا.
- ٨١ - احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلوه إلا في الخير.
- ٨٢ - أحسنوا صحبة النعم فإنها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.
- ٨٣ - أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله عز وجل، يهن عليكم المصاب (٣).

(١) د: (الفكر).

(٢) أي تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر: خير البر عاجله.

(٣) د: (تهن عليكم المصائب).

٨٤ بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة (١) لذاتها ومنع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها - تكون المثوبات والعقوبات، والحازم من ملك هواه، فكان بملكه له قاهرا، ولما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجرا، فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت (٢) به، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة، والأطماع الكاذبة، والأمانى المتلاشبية، وكما إن البصر إذا اعتل (٣) رأى أشباحا وخيالات لا حقيقة لها، كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات، رأت الآراء الكاذبة، فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا، فان القلوب بيده يصرفها كيف شاء (٤).

٨٥ - لا تؤاخذ الفاجر، فإنه يزين لك فعله، ويود لو إنك مثله، ويحسن لك أقبح خصاله، ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص، ولا الأحق فإنه يجهد لك نفسه ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فضررك، سكوته خير لك من نطقه، وبعده خير لك من قربه، وموته خير لك من حياته، ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء، ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك، حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق.

٨٦ - ما استقصى كريم قط، قال تعالى في وصف نبيه: (عرف بعضه وأعرض عن بعض) (٥).

٨٧ - رب كلمة يخترعها حلیم مخافة ما هو شر منها، وكفى بالحلم ناصرا.

٨٨ - من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا، ولا عن النار مهربا، من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

(١) ب: (مسافحة).

(٢) شغفت: رغبت وأرغمت.

(٣) اعتل: أصابته العلة.

(٤) ب: (كيفما شاء).

(٥) سورة التحريم: ٣.

٨٩ - من استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر.

٩٠ - غاية الأدب أن يستحي الانسان من نفسه.

٩١ - البلاغة النصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ومن البصر (١) بالحجة أن تدع الافصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الافصاح أوعر طريقة، وكانت الكناية أبلغ في الدرك وأحق بالظفر.

٩٢ - إياك والشهوات، وليكن مما تستعين به على كفها علمك بإنها ملهية لعقلك، مهجنة (٢) لرأيك، شائنة لغرضك، شاغلة لك عن معازم أمورك، مشتدة بها التبعة عليك في آخرتك. إنما الشهوات لعب، فإذا حضر اللعب غاب الجدد، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجدد، فإذا (٣) نازعتك نفسك إلى اللهو واللذات، فاعلم إنها قد نزعت بك إلى شر منزع، وأرادت بك أفضح الفضوح، فغالبا مغالبة ذلك، وامتنع منها امتناع ذلك، وليكن مرجعك منها إلى الحق، فإنك مهما تترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل، ومهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ، فلا تدهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير.

وليس شيء مما أوتيت فاضلا عما يصلحك، وليس لعمرك وإن طال فضل عما ينو بك من الحق اللازم لك، ولا بما لك وإن كثر فضل عما يجب عليك فيه، ولا بقوتك وإن تمت فضل عن أداء حق الله عليك، ولا برأيك وإن حزم فضل عما لا تعذر بالخطأ فيه، فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمرا في غير نفع، أو تضيع لك مالا في غير حق، أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة، أو تعدل لك رأيا في غير رشد.

(١) كذا في د، وفي ا، ب: (النصر) تحريف.

(٢) مهجنة: مقبحة.

(٣) د: (وإن).

فالحفظ الحفظ لما أوتيت، فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة.

وعليك بما أضعته منه أشد الرزية، ولا سيما العمر الذي كل منفذ سواه مستخلف. وكل ذاهب بعده مرتجع.

فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة العلماء ودرس كتبهم، فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك، ونظرك فيه بالغة منك، غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة، وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي وخامة العاقبة، وقديما قيل: أسعد الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده، فإذا كان هواه في غير رشده. فقد شقي بما أدرك منه. وقديما قيل: عود نفسك الجميل، فباعتيادك إياه يعود لذيدا.

٩٣ - وكل ثلاث بثلاث: الرزق بالحرق، والحرمان بالعقل، والبلاء بالمنطق، ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شيء.

٩٤ - ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك: عبدك، وزوجتك، وابنك. وقد روينا هذه الكلمة لعمر فيما تقدم (١).

٩٥ - للمنافقين علامات يعرفون بها: تحييتهم لعنة، وطعامهم تهمة، وغنيمتهم غلول، لا يعرفون المساجد إلا هجرا، ولا يأتون الصلاة الا دبرا (٢)، مستكبرون لا يألون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب (٣) بالنهار.

(١) ا: (قدمناه).

(٢) دبرا، أي في آخر وقتها.

(٣) في اللسان: وفي الحديث في ذكر المنافقين (خشب بالليل، صخب بالنهار، أراد أنهم ينامون كأنهم خشب مطروحة).

- ٩٦ - الحسد حزن لازم، وعقل هائم، ونفس دائم، والنعمة على المحسود نعمة، وهي على الحاسد نقمة.
- ٩٧ - يا حملة العلم، أتحمولونه! فإنما العلم لمن علم ثم عمل، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم، لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقتا، فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه.
- ٩٨ - تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا، تعلموا العلم ولو لغير الله، فإنه سيصير لله. العلم ذكر لا يحبه إلا ذكر من الرجال.
- ٩٩ - ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه حلم، ومن حلم زانه صدق، ومن صدق زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى. إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض، والجزاء بالفرض، والاحذ بالفضل، والوفاء بالعهد، والإنجاز للوعد. ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف، وأبعد مما يرجو.
- ١٠٠ - إذا جرت المقادير بالمكارة سبقت الآفة إلى العقل فحيرته، وأطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس.
- ١٠١ - لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم.
- ١٠٢ - لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.
- ١٠٣ - لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل، إنما يسألون عن جودة صنعه.
- ١٠٤ - ليس كل ذي عين يبصر، ولا كل ذي أذن يسمع، فتصدقوا على أولى العقول الزممة (١)، والألباب الحائرة، بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم، ثم تلا: (إن الذين

(١) الزمارة: العاهة.

يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك
يلعنهم اللاعنون) (١).

١٠٥ - من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له: خذ حذرک من حلول
المقدور فإنک غير معذور، وليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين، فإن
طالبهما واحد، وليس عن الطلب براقد، وهو الموت، فاعمل لما أمامک من الهول،
ودع عنک زخرف القول.

١٠٦ - سئل عن القدر فقال: أقصر أم أطيل؟ قيل: بل تقصر، فقال: جل الله
أن يريد الفحشاء، وعز عن أن يكون له في الملك إلا ما يشاء.

١٠٧ - من علم أنه يفارق الأحباب، ويسكن التراب، ويواجه الحساب، ويستغنى
عما ترك، ويفتقر إلى ما قدم، كان حرياً بقصر الأمل، وطول العمل.

١٠٨ - المؤمن لا تختله كثرة المصائب، وتواتر النوائب عن التسليم لربه والرضا
بقضائه، كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه.

١٠٩ - ما مات من أحيا علماً، ولا افتقر من ملك فهماً.

١١٠ - العلم صبغ النفس، وليس يفوق صبغ الشئ حتى ينظف من
كل دنس.

١١١ - اعلم إن الذي مدحك بما ليس فيك، إنما هو مخاطب غيرك، وثوابه
وجزأؤه قد سقطا عنک.

١١٢ - إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة، وإحسانك إلى النذل يبعثه
على معاودة المسألة.

(١) سورة البقرة ١٥٩.

١١٣ - الأشرار يتبعون مساوى الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة.

١١٤ - موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلة.

١١٥ - ينبغي لمن ولى أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود.

١١٦ - إذا قوى الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر.

١١٧ - ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب، والأناة فيما يرتئيه (١) من رأى، وتعجيل مكافأة المحسن بالاحسان، فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالاحسان طاعة الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي وحمد العاقبة ووضوح الصواب.

١١٨ - من حق العالم على المتعلم ألا يكتر عليه السؤال، ولا يعنته في الجواب، ولا يلح عليه إذا كسل، ولا يفشي له سرا، ولا يغتاب عنده أحدا، ولا يطلب عثرته، فإذا زل تأنيت أوبته (٢)، وقبلت معذرتة، وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه، وألا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها. ولا تضجرن من صحبته، فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة. وخصه بالتحية، واحفظ شاهده وغائبه، وليكن ذلك كله لله عز وجل، فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه. وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع.

(١) يرتئيه، افتعال من الرأي، أي فيما يفكر فيه غ وفي د: (يربيه).

(٢) زل: عثر. وأوبته، أي رجوعه إلى الحق.

١١٩ - وصول معدم خير من جاف (١) مكثراً، ومن أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده.

١٢٠ - لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجا ولا اعتماراً، ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم، وصح ورعهم وكمل يقينهم، ففاقوا غيرهم بالحظوة ورفيع المنزلة.

١٢١ - ما من عبد إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له، فإذا جاء القدر خلاه وإياه.

١٢٢ - إن الله سبحانه أدب نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (٢)، فلما علم إنه قد تأدب، قال له: (وإنك لعلی خلق عظیم) (٣)، فلما استحکم له من رسوله ما أحب قال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٤).

١٢٣ - كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف، فقلت أنا: خير المعروف ستره، وقال العباس: خيره تصغيره، وقال عمر: خيره تعجيله، فخرج علينا رسول الله، فقال: فيم أنتم؟ فذكرنا له، فقال: خيره أن يكون هذا كله فيه.

١٢٤ - العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

١٢٥ - إذا خبت الزمان كسدت الفضائل وضرت، ونفقت الرذائل ونفعت، وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر.

١٢٦ - انظر إلى المتنصح (٥) إليك، فإن دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل

(١) الوصول، فعول، من الصلة، وهي العطية والجافي ضد الوصول.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

(٣) سورة القلم ٤٠.

(٤) سورة الأعراف ١٩٩.

(٥) المتنصح: المتشبه بالنصحاء.

- نصيحته وتحرز منه، وأن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه.
- ١٢٧ - أعداء الرجل قد يكونوا أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها وينخاف شماتتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه.
- ١٢٨ - المرأة التي ينظر الانسان فيها إلى أخلاقه هي الناس، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم، ومساويه من أعدائه فيهم.
- ١٢٩ - انظر وجهك كل وقت في المرأة، فإن كان حسنا فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحا وتشينه به، وإن كان قبيحا فاستقبح أن تجمع بين قبحين.
- ١٣٠ - موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء.
- ١٣١ - ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب.
- ١٣٢ - كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم.
- ١٣٣ - عاديت من ماريت.
- ١٣٤ - لا تصرم (١) أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب.
- ١٣٥ - خير المقال ما صدقه الفعال.
- ١٣٦ - إذا لم ترزق غنى فلا تحرم من تقوى.
- ١٣٧ - من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى.
- ١٣٨ - دع الكذب تكرما إن لم تدعه تأثما.
- ١٣٩ - الدنيا طواحة طراحة فضاحة، آسية جراحة.
- ١٤٠ - الدنيا جمة المصائب، مرة المشارب، لا تمتع صاحبها بصاحب.
- ١٤١ - المعتذر من غير ذنب، يوجب على نفسه الذنب.

(١) لا تصرم: لا تقطع، أي لا تهجره لمجرد التهمة، غير متيقن تقصيره.

- ١٤٢ - من كسل لم يؤد حقا.
- ١٤٣ - كثرة الجدل تورث الشك.
- ١٤٤ - خير القلوب أوعاها.
- ١٤٥ - الحياء لباس سابغ، وحجاب مانع، وستر من المساوىء واق، وحليف للدين، وموجب للمحبة، وعين كائلة تذود عن الفساد، وتنهى عن الفحشاء، والعجلة في الأمور مكسبة للمذلة، وزمام للندامة، وسلب للمروءة، وشين للحجى، ودليل على ضعف العقيدة.
- ١٤٦ - إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه.
- ١٤٧ - لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرا وأنت لا تعلم.
- ١٤٨ - موت الصالح راحة لنفسه، وموت الطالح راحة للناس.
- ١٤٩ - ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء.
- ١٥٠ - إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافحك به، فتعذر نفسه في الإساءة إليك، وتشرع له طريقا إلى ما يحبه فيك، لكن اجتهد في التزهد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها، فإنك تسوءه من غير أن توجده حجة عليك.
- ١٥١ - إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره، فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره، وخيره وشره.
- ١٥٢ - يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك.
- ١٥٣ - زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل، لان الجائر مفسد، والعادل مصلح، وإفساد الشئ أشرع من إصلاحه.

- ١٥٤ - إذا خدمت رئيسا فلا تلبس مثل ثوبه، ولا تركب مثل مركوبه، ولا تستخدم كخدمه، فعساك تسلم منه.
- ١٥٥ - لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك، ولا الجهال فيستثقلوك، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول، ويكتفم عليك ما يسمع، فإن لعلمك عليك حقا، كما إن عليك في مالك حقا: بذله لمستحقه، ومنعه عن غير مستحقه.
- ١٥٦ - اليقين فوق الايمان، والصبر فوق اليقين، ومن أفرط رجاءه غلبت الأماني على قلبه واستعبده.
- ١٥٧ - إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره، ويقبح أثره.
- ١٥٨ - يا بن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده.
- ١٥٩ - من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.
- ١٦٠ - من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها.
- ١٦١ - العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بما سولته له نفسه.
- ١٦٢ - من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب.
- ١٦٣ - كفى ما مضى مخبرا عما بقي، وكفى عبرا لذوي الأبواب ما جربوا.
- ١٦٤ - أمر لا تدري متى يغشاك، ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك!

- ١٦٥ - ليس في البرق الخاطف مستمتع (١) لمن يخوض في الظلمة.
- ١٦٦ - إذا أعجبتك ما يتواصفه الناس من محاسنك، فانظر فيما بطن من مساويك، ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك.
- ١٦٧ - من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك.
- ١٦٨ - إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوهم الناس إنه سمين، فيظن الناس ذلك فيه وهو يستر ما يلقي من الألم التابع للورم.
- ١٦٩ - إذا قويت نفس الانسان انقطع إلى الرأي، وإذا ضعفت انقطع إلى البخت.
- ١٧٠ - الرغبة إلى الكريم تحركه على البذل، وإلى الخسيس تغريه بالمنع.
- ١٧١ - خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس، ويتهمون المخبر بها، ويأثرون (٣) الفضائل، ويتعصبون لأهلها، ويستعرضون مآثر الرؤساء، وأفضالهم عليهم، ويطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها وحسن الرعاية لها.
- ١٧٢ - لكل شيء قوت، وأنتم قوت الهوام، ومن مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها.
- ١٧٣ - من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه لا

(١) مستمتع: موضع متعة.
(٢) الخسيس: اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق.
(٣) يأثرون الفضائل: يستأثرون بها.

- ١٧٤ ومن دعائه: اللهم إن كنا قد قصرنا عن بلوغ طاعتك فقد تمسكنا من طاعتك بأحبها إليك، لا إله إلا أنت جاءت بالحق من عندك.
- ١٧٥ - أصابت الدنيا من أمنها وأصاب الدنيا من حذرها.
- ١٧٦ - ووقف على قوم أصيبوا بمصيبة، فقال: إن تجزعوا فحق الرحم بلغتكم، وإن تصبروا فحق الله أديتم.
- ١٧٧ - مكارم الأخلاق عشر خصال: السخاء، والحياء، والصدق، وأداء الأمانة، والتواضع، والغيرة، والشجاعة، والحلم، والصبر، والشكر.
- ١٧٨ - من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك.
- ١٧٩ - الخير النفس تكون الحركة في الخير عليه سهلة متيسرة، والحركة في الاضرار عسرة بطيئة، والشرير بالضد من ذلك.
- ١٨٠ - البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الاحسان.
- ١٨١ - مثل الانسان الحصيف (١) مثل الجسم الصلب الكثيف، يسخن بطيئا، وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان.
- ١٨٢ - ثلاثة يرحمون: عاقل يجرى عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوى، وكريم قوم احتاج إلى لئيم.
- ١٨٣ - من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر، إن سلم بجسمه من الغرق لم، يسلم بقلبه من الفرق (٢).

(١) الحصيف: المتمكن من نفسه، المستحکم عقله.

(٢) الفرق: الخوف.

- ١٨٤ - لا تقبلن في استعمال عمالك وأمرائك شفاعاة إلا شفاعاة الكفاية والأمانة.
- ١٨٥ - إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة، لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك ودخل في مودتك.
- ١٨٦ - العدل صورة واحدة، والجور صور كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحرى العدل، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها، وإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض (١) وتعهد، والخطأ لا يحتاج إلى شىء من ذلك.
- ١٨٧ - لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث: ذنب يغفر، أو خير يعجل، أو شر يؤجل.
- ١٨٨ - لا ينتصف ثلاثة: من ثلاثة بر من فاجر، وعامل من جاهل، وكريم من لئيم.
- ١٨٩ - أشرف الملوك من لم يخالطه البطر. ولم يحل عن الحق، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعباً، وخير الأخلاق أعونها على التقى والورع.
- ١٩٠ - أربع القليل منهن كثير: النار، والعداوة، والمرض، والفقير.
- ١٩١ - أربعة من الشقاء: جار السوء، وولد السوء، وامرأة السوء، والمنزل الضيق.
- ١٩٢ - أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان الصدقة، وبر الوالدين، والاكتثار من قول لا إله إلا الله.

(١) ارتياض: مران.

١٩٣ لا تصحب الجاهل، فإن فيه خصالا فاعرفوه بها: يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويعطى في غير موضع الاعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوه، ويفشي سره إلى كل أحد.

١٩٤ - إياك ومواقف الاعتذار، فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئا.

١٩٥ - الصراط ميدان يكثر فيه العثار، فالسالم ناج، والعاثر.

١٩٦ - لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ - إن لله عبادا في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم:

اليقين وأنواره لامعة على وجوههم. قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم (١)، تجرى دموعهم على حدودهم، يجارون (٢) إلى الله سبحانه بأدعيتهم، قد حلا في أفواههم،

وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيد الخلوة به، قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم

المقام الأعلى في مقعد صدق عنده، وأما نهارهم فحلمااء علماء، بررة، أتقياء، كالقдах ينظر إليهم

الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، أو يقول: قد حولطوا، ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل.

١٩٨ - عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت، فقال: ما لك لا تقول! قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

١٩٩ - بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة، وأكثر الخلق ثروة وبذلا،

وأعظم الخلق في الخلق طاعة، وأوفى الخلق كيذا وتكثرا (٣)، بليت بالزبير، لم يرد وجهه قط،

(١) صافون أقدامهم، كناية عن كونهم مصليين.

(٢) جأر الرجل إلى الله: تضرع.

(٣) ا: (وتكبرا).

وبيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين دينارا وفرسا على أن يقاتلني، وبعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا واتبعها الناس، وبطلحة لا يدرك غوره (١)، ولا يطال مكره.

٢٠٠ - بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير، فعاد فقال: يا أمير المؤمنين، جئتك بالخبيبة، فقال: كلا! أصبت خيرا وأجرت، ثم قال: إن من العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما على، أما والله إنهما ليعلمان إنني لست بدون واحد منهما، اللهم عليك بهما.

٢٠١ - الرزق مقسوم، والأيام دول والناس شرع (٢) سواء، آدم أبوهم، وحواء أمهم.

٢٠٢ - قوت الأجسام الغذاء، وقوت العقول الحكمة، فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل.

٢٠٣ - الصبر على مشقة العباد (٣) يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر.

٢٠٤ - الروح حياة البدن والعقل حياة الروح.

٢٠٥ - حقيق بالانسان (٤) أن يخشى الله بالغيب، ويحرس نفسه من العيب، ويزداد خيرا مع الشيب.

٢٠٦ - أفضل الولاية من بقي بالعدل ذكره، واستمده من يأتي بعده.

٢٠٧ - قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة، ولا تستعمل الفعل حيث ينجع (٥) القول.

(١) يقال: بئر لا يدرك غورها، إذا كانت عميقة جدا، والمراد هنا أنه لا يعرف ما في أطواء نفسه.

(٢) شرع، أي متساوون.

(٣) د: (العبادة).

(٤) ب: (الاحسان): تحريف.

(٥) ينجع: بنفع.

- ٢٠٨ - البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله، والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله.
- ٢٠٩ - فضل العقل على الهوى، لان العقل يملكك الزمان، والهوى يستعبدك للزمان.
- ٢١٠ - كل ما حملت عليه الحر احتمله، وآه زيادة في شرفه، إلا ما حطه جزءا (١) من حرته، فإنه يأباه ولا يجيب إليه.
- ٢١١ - إذا منعك اللئيم البر مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل السخي لك إياه مع الاستخفاف بك.
- ٢١٢ - الملك كالنهر العظيم، تستمد منه الجداول، فإن كان عذبا عذبت، وإن كان ملحا ملحت.
- ٢١٣ - الفرق بين السخاء والتبذير إن السخي يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه، ويضعه بحيث يحسن وضعه، وتزكو عارفته، والمبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب، ولا حق القاصد، ولا مقدار ما أولى، ويستنزفه (٢) لذلك خطره من خطراته، والتصدي لإطراء مطر له بينهما بون بعيد.
- ٢١٤ - لا تلاج الغضبان، فإنك تقلقه (٣) باللجاج، ولا ترده إلى الصواب.
- ٢١٥ - لا تفرح بسقطة غيرك، فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام بك.
- ٢١٦ - قليل العلم إذا قر في القلب كالطل يصيب الأرض المطمئنة فتعشب.
- ٢١٧ - مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب، وطعمها

(١) ب: (جزاء).

(٢) استنزفه: أخرجه.

(٣) تقلقه: تحركه.

طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كممثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مرو لا ريح لها.
٢١٨ - المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكت تفكر، وإذا تكلم ذكر، وإذا استغنى شكر، وإذا أصابته شدة صبر، فهو قريب الرضا، بعيد السخط، يرضيه عن الله اليسير، ولا يسخطه البلاء الكثير، قوته لا تبلغ به، ونيته تبلغ، مغموسة في الخير يده، ينوى كثيرا من الخير، ويعمل بطائفة منه، ويتلهف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به!

والمنافق إذا نظر لها، وإذا سكت سها، وإذا تكلم لغا، وإذا أصابه شدة شكا، فهو قريب السخط بعيد الرضا، يسخطه على الله اليسير، ولا يرضيه الكثير، قوته تبلغ ونيته لا تبلغ، مغموسة في الشر يده، ينوى كثيرا من الشر، ويعمل بطائفة منه فيتلهف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به، وكيف لم يعمل به! على لسان المؤمن نور يسطع، وعلى لسان المنافق شيطان ينطق.

٢١٩ - سوء الظن يدوي (١) القلوب، ويتهم المأمون، ويوحش المستأنس، ويغير مودة الاخوان.

٢٢٠ - إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق.

٢٢١ - قيل له: إن درعك صدر لا ظهر لها، إنا نخاف ان تؤتى من قبل ظهرك، فقال:

إذا وليت فلا واءلت (٢).

٢٢٢ - أشد الأشياء الانسان، لان أشدها - فيما يرى - الجبل، والحديد

(١) يدوي: يصيبه بالداء. والدوي: المرض، وأدويته: أمرضته.

(٢) واءل: خلص ونجا.

ينحت الجبل، والنار تأكل الحديد، والماء يطفى النار، والسحاب يحمل الماء، والريح يفرق السحاب، والانسان يتقى من الريح.

٢٢٣ - إنما الناس في نفس معدود، وأمل ممدود، وأجل محدود، فلا بد للأجل أن يتناهى، وللنفس أن يحصى، وللأمل أن ينقضي، ثم قرأ: (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين) (١).

٢٢٤ - اللهم لا تجعل الدنيا لي سجنًا، ولا فراقها علي حزنًا، أعوذ بك من دنيا تحرمني الآخرة، ومن أمل يحرمني العمل، ومن حياة تحرمني خير الممات.

٢٢٥ - تعطروا بالاستغفار لا تفضحكهم رائحة الذنوب.

٢٢٦ - للنكبات غايات تنتهي إليها، ودواؤها الصبر عيها وترك الحيلة في إزالتها، فإن الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزيادتها.

٢٢٧ - لا يرضى عنك الحاسد حتى يموت أحدكما.

٢٢٨ - لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس!

٢٢٩ - كتب إلى عامل له: اعمل بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق.

٢٣٠ - نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن، فقال: يا بني نزه سمعك عنه، فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك.

٢٣١ - احذروا الكلام في مجالس الخوف، فإن الخوف يذهل العقل الذي منه

نستمد، ويشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي نروم نصرته. واحذر الغضب ممن

يحملك عليه، فإنه مميت للخواطر (٢)، مانع من التثبت. واحذر من تبغضه فإن بغضك له يدعوك إلى الضجر به، وقليل الغضب كثير في أذى النفس والعقل، والضجر مضيق

(١) سورة الانفطار ١١٠، ١١.

(٢) الخواطر جمع خاطر، وهو ما يخطر ببالك.

للصدر، مضعف لقوى العقل، واحذر المحافل التي لا أنصاف لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الاقبال والاستماع، ولا أدب لهم يمنعهم من جور الحكم لك وعليك، واحذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشديد قوله (١) وحقته، فإن ذلك يهيج العصبية، والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام، ويذهب بهجة المعاني. واحذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يضجرك، واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ، ورب صغير غلب كبير!

٢٣٢ - لا تقبل الرياسة على أهل مدينتك، فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل.

٢٣٣ - لا تهزأ بخطأ غيرك، فإن المنطق لا يملكه، واقلل من الخطأ الذي أنت فيه بقدر الصبر، واجعل العقل والحق إماميك تنل البغية بهما.

٢٣٤ - الرأي يريك غاية الأمر مبدأه.

٢٣٥ - الخير من الناس من قدر على أن يصرف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشرور، والشرير من لم يكن كذلك.

٢٣٦ - السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل، ويجود بها لمن دونه، ويرعاها من خاصته وعامته، حتى تكثر في أيامه، ويتحسن بها من لم تكن فيه.

٢٣٧ - للكريم رباطان: أحدهما الرعاية لصديقه وذوي الحرمة به، والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه.

٢٣٨ - إذا تحركت صورة الشر ولم تظهر ولدت الفرع، فإذا ظهرت ولدت الألم، وإذا تحركت صورة الخير ولم تظهر ولدت الفرع، فإذا ظهرت ولدت اللذة.

(١) قوله: (وتشديد قوله) أي تحصينها وصونها عن تطرق الخلل إليها، وأصل التشديد طلاء الحائط بالحص والطين لئلا يبقى به تقب.

٢٣٩ الفرق بين الاقتصاد والبخل، ان الاقتصاد تمسك الانسان بما في يده خوفا على حرите وجاهه من المسألة، فهو يضع الشئ موضعه، ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه، ويصل صغير بره بعظيم بشره، ولا يستكثر من المودات خوفا من فرط الاجحاف به، والبخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه، ويمنع أيضا اليسير من استحق الكثير، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثير من الذلة.

٢٤٠ - لا تحتقرن صغيرا يمكن ان يكبر، ولا قليلا يمكن أن يكثر.
٢٤١ - ما زلت مظلوما منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا، ولقد كنت أظلم قبل ظهور الاسلام، ولقد كان أخي عقيل يذنب أخي جعفر فيضربني.

٢٤٢ - لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى تزهري (١) تلك القضايا إلى الله عز وجل وتقول: يا رب، إن عليا قضى بين خلقك بقضائك.

٢٤٣ - مر بدار بالكوفة في مراد تبني فوقعت منها شظية (٢) على صلته فأدمتها، فقال: ما يومى من مراد بواحد! اللهم لا ترفعها، قالوا: فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء (٣) بين الغنم ذوات القرون.

٢٤٤ - أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه إنك اتخذته عدوا.

٢٤٥ - الخيرة في ترك الطيرة.

٢٤٦ - قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيل أين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني.

٢٤٧ - شفيع المذنب اقراره، وتوبته اعتذاره.

(١) تزهري: تضىء وتتألاً.

(٢) الشظية: الفلقة من العصا.

(٣) شاة جماء: لا قرون لها.

٢٤٨ قصم ظهري رجلا: جاهل متنسك (١) وعالم متهتك.

٢٤٩ - ألا أخبركم بذات نفسي، أما الحسن ففتى من الفتیان، وصاحب جفنة وخوان، ولو التقت حلقتا البطان (٢) لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفور، وأما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو وظل باطل، وأما أنا والحسين فنحن منكم وأنتم منا.

٢٥٠ - قال في المنبرية: صار ثمنها تسعا على البديهة (٣) وهذا من العجائب.

٢٥١ - جاء الأشعث إليه وهو على المنبر، فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قربك - يعني العجم - فركض المنبر برجله، حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث! ليقولن أمير المؤمنين عليه السلام في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضيافة! يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار (٤)، ويهجر قوماً للذكر، أفتأمروني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

٢٥٢ - كان إذا رأى ابن ملجم يقول: أريد حياته (٥)... البيت فيقال له: فاقتله، فيقول، كيف أقتل قاتلي!

٢٥٣ - إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك، وما قدر عبادة أقابل بها نعمك، وإني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك، كما استغرقت أعمالي في نعمك.

-
- (١) المتنسك: متكلف النسك والتقوى.
- (٢) التقت حلقتا البطان: مثل، والبطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير، فإذا التقت حلقتاه دل على اضطراب العقد وانحلالها.
- (٣) المنبرية: إشارة إلى مسألة من مسائل الميراث.
- (٤) الضيافة: الرجل الفخم الذي لا غناء عنده، وجمعه ضيافة.
- (٥) يشير إلى قول عمر بن معد يكرب: أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد.

- ٢٥٤ - إذا غضب الكريم فألن له الكلام، وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا.
- ٢٥٥ - غضب العاقل في فعله، وغضب الجاهل في قوله.
- ٢٥٦ - رأى رجلا يحدث منكر الحديث، فقال: يا هذا، أنصف أذنك من فمك، فإنما جعل الأذنان اثنتين، والفم واحدا، لتسمع أكثر مما تقول.
- ٢٥٧ - إياك وكثرة الاعتذار، فإن الكذب كثيرا ما يخالط المعاذير.
- ٢٥٨ - اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك.
- ٢٥٩ - سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس.
- ٢٦٠ - مروا الاحداث بالمراء والجدال، والكهول بالفكر، والشيوخ بالصمت.
- ٢٦١ - عود نفسك الصبر على جليس السوء، فليس يكاد يخطئك.
- ٢٦٢ - يا بنى إن الشر تاركك إن تركته.
- ٢٦٣ لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة: إلى الكذوب، فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ولا إلى أحق، فإنه يريد أن ينفك فيضرك، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته.
- ٢٦٤ - إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة (٢).
- ٢٦٥ - احذروا صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.
- ٢٦٦ - سرك دمك فلا تجرينه إلا في أوداجك.
- ٢٦٧ - وسئل عن الفرق بين الغم والخوف، فقال: الخوف مجاهدة الامر المخوف قبل وقوعه، والغم ما يلحق الانسان من وقوعه.

(١) الحمق: ضعف العقل.

(٢) مجلس قلعة، إذا كان صاحبه يحتاج إلى قيام.

- ٢٦٨ - المعروف كنز فانظر عند من تودعه.
- ٢٦٩ - إذا أرسلت لبعر فلا تأت بتمر فيؤكل تمرك وتعنف على خلافك (١).
- ٢٧٠ - إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يخلك.
- ٢٧١ - إذا أردت أن تصادق رجلا فانظر: من عدوه؟
- ٢٧٢ - الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، والانبساط محلبة لقرين السوء، فكن بين المنقبض والمسترسل، فإن خير الأمور أوساطها.
- ٢٧٣ - أنا عبد الله، وأخو رسول الله، لا يقولها بعدي إلا كذاب.
- ٢٧٤ - أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فهزها، وقال: ما أول نعمة أنعم الله بها عليك؟ قلت: إن خلقتني حيا، وأقدرني، وأكمل حواسي ومشاعري وقواي، قال: ثم ماذا؟ قلت: أن جعلني ذكرا، ولم يجعلني أنثى، قال: والثالثة: قلت: إن هداني للإسلام، قال: والرابعة؟ قلت: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (٢).
- ٢٧٥ - اللهم إني أسألك إخبارات المختبين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، والعزيمة في كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.
- ٢٧٦ - لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية: هل فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وبتوقير أخويك، واتباع أمرهما، وألا تبرم أمرا دونهما، ثم قال لهما: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما إن أباكما كان يحبه فأحباها.
- ٢٧٧ - أما هذا الأعور - يعنى الأشعث - فإن الله لم يرفع شرفا إلا حسده، ولا أظهر فضلا إلا عابه وهو يمنى نفسه ويخدعها، يخاف ويرجو، فهو بينهما لا يثق

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب، وأثبتها من ا، د.

(٢) سورة النحل ١٨.

بواحد منهما، وقد من الله عليه بأن جعله جباناً، ولو كان شجاعاً لقتله الحق،
وأما هذا الأكتف عند الجاهلية - يعنى جرير بن عبد الله البجلي - فهو يرى كل
أحد دونه، ويستصغر كل أحد ويحتقره، قد ملئ ناراً، وهو مع ذلك يطلب رئاسة،
ويروم إمارة، وهذا الأعور يغويه ويطغيه، إن حدثه كذبه، وإن قام دونه
نكص عنه، فهما كالشيطان إذ قال للانسان: أكفر فلما كفر قال: إني برئ
منك إني أخاف الله رب العالمين.

٢٧٨ - بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة.

٢٧٩ - الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من
اللسان لم تجاوز الاذان.

٢٨٠ - الكرم حسن الفطنة، واللؤم سوء التغافل.

٢٨١ - أسوأ الناس حالاً من اتسعت معرفته، وبعدت همته،
وضاقت قدرته (١).

٢٨٢ - أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار.

٢٨٣ - عادة النوكى (٢) الجلوس فوق القدر، والمجئ في غير الوقت.

٢٨٤ - العافية الملك الخفي.

٢٨٥ - سوء حمل الغنى يورث مقتاً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.

٢٨٦ - لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز، ولا يسامح نفسه في
التفريط لنكبة دخلت على حازم.

٢٨٧ - ليس من حسن التوكل ان يقال العاشر عشرة، ثم يركبها ثانية.

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب، وأثبتها من ا، د.

(٢) النوك: الحمق.

- ٢٨٨ سوء القالة في الانسان إذا كان كذبا نظير الموت لفساد دنياه، فإن كان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته.
- ٢٨٩ - ترضى الكرام بالكلام، وتصاد اللئام بالمال، وتستصلح السفلة بالهوان.
- ٢٩٠ - لا يزال المرء مستمرا ما لم يعثر، فإذا عثر مرة لج به العثار ولو كان في جدد.
- ٢٩١ - المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها، والمتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها، ولا قطر غيرها.
- ٢٩٢ - لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء الا ثلاثة: مستبصر في دين، أو غيران على حرمة، أو ممتعض من ذل.
- ٢٩٣ - مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له.
- ٢٩٤ - قيل له: أي الأمور أعجل عقوبة، وأسرع لصاحبها صرعة؟ فقال: ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجازاة النعم بالتقصير، واستطالة الغنى على الفقير.
- ٢٩٥ - الجماع للمحن جماع، وللخيرات مناع، حياء يرتفع، وعورات تجتمع، أشبه شئ بالجنون، ولذلك حجب عن العيون، نتيجه ولد فتون، إن عاش كد، وإن مات هد.
- ٢٩٦ - ما شئ أهون من ورع، وإذا رابك أمر فدعه.
- ٢٩٧ - إذا أتى على يوم لا أزداد فيه عملا يقربني إلى الله، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم.
- ٢٩٨ - أشرف الأشياء العلم، والله تعالى عالم يحب كل عالم.

- ٢٩٩ - ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم! بل أي شيء فات من أدرك العلم!
- ٣٠٠ - لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر.
- ٣٠١ - سمع رجلا يدعو لصاحبه، فقال: لا أراك الله مكروها، فقال: إنما دعوت له بالموت، لأن من عاش في الدنيا لا بد أن يرى المكروه.
- ٣٠٢ - من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه.
- ٣٠٣ - السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره.
- ٣٠٤ - ذو الهمة وإن حط نفسه يأبى إلا علوا، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعا.
- ٣٠٥ - الدين غل الله في أرضه، إذا أراد أن يذل عبدا جعله في عنقه.
- ٣٠٦ - العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلا، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا.
- ٣٠٧ - الحركة لقاح الجد العظيم.
- ٣٠٨ - ثلاثة لا يستحي من الختم عليها: المال لنفى التهمة، والجوهر لنفاسته، والدواء للاحتياط من العدو.
- ٣٠٩ - إذا أيسرت فكل الرجال رجالك، وإذا أعسرت أنكرك أهلك.
- ٣١٠ - من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال، فإنه لو خص به العقلاء لمات

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا.

- الجهال جوعا، ولكنه جعل في أيدي الجهال، ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم.
- ٣١١ - ما رد أحد أحدا عن حاجة إلا وتبين العز في قفاه، والذل في وجهه.
- ٣١٢ - ابتداء الصنيعة نافلة، وربها (١) فريضة.
- ٣١٣ - الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمج الدواء، ويطن الدواء.
- ٣١٤ - الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.
- ٣١٥ - التواضع إحدى مصايد الشرف.
- ٣١٦ - تواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عنه عند سقطته.
- ٣١٧ - رب صلف أدى إلى تلف.
- ٣١٨ - سوء الخلق يعدى، وذاك إنه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك بمثله.
- ٣١٩ - المروءة التامة مباينة العامة.
- ٣٢٠ - أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه، وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه.
- ٣٢١ - السفلة إذا تعلموا تكبروا، وإذا تمولوا استطالوا، والعلية إذا تعلموا تواضعوا، وإذا افتقروا صالوا.
- ٣٢٢ - ثلاث لا يستصلح فسادهن بحيلة أصلا: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء وركاكة الملوكة.
- ٣٢٣ - السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه.

(١) ربها: أي جمعها.

- ٣٢٤ العزلة توفر العرض وتستتر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة.
- ٣٢٥ - ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة.
- ٣٢٦ - خير الناس من لم تجربته.
- ٣٢٧ - الكريم لا يلين على قسر، ولا يقسو على يسر.
- ٣٢٨ - المرأة إذا أحببتك آذتك، وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك، فحبها أذى، وبغضها داء بلا دواء.
- ٣٢٩ - المرأة تكتنم الحب أربعين سنة، ولا تكتنم البغض ساعة واحدة.
- ٣٣٠ - الممتحن كالمختنق، كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا.
- ٣٣١ - كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفيل بك.
- ٣٣٢ - أجل ما ينزل من السماء التوفيق، وأجل ما يصعد من الأرض الاخلاص.
- ٣٣٣ - اثنان يهون عليهما كل شيء: عالم عرف العواقب، وجاهل يجهل ما هو فيه.
- ٣٣٤ - شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة.
- ٣٣٥ - ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له.
- ٣٣٦ - المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء، لا إذا شاءت.
- ٣٣٧ - أبصر الناس لعوار الناس المعور.
- ٣٣٨ - العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة.

- ٣٣٩ - من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- ٣٤٠ - من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.
- ٣٤١ - لو تكاشفتكم لما تدافنتم.
- ٣٤٢ - شيطان كل إنسان نفسه.
- ٣٤٣ - إن لم تعلم من أين جئت، لم تعلم إلى أين تذهب!
- ٣٤٤ - غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها.
- ٣٤٥ - الكمال في خمس: إلا يعيب الرجل أحدا بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية، وألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم، وأن ينفق الفضل من ماله، ويمسك الفضل من قوله.
- ٣٤٦ - صديق البخيل من لم يجربه.
- ٣٤٧ - من الخيط الضعيف يقتل الجبل الحصيف (١)، ومن مقدحة (٢) صغيرة تحترق مدينة كبيرة، ومن لبنة لبنة (٣) تبنى قرية حصينة.
- ٣٤٨ - محب الدراهم معذور وإن أدنته من الدنيا، لأنها صانته عن أبناء الدنيا.

(١) الحصيف: المحكم.
(٢) المقدحة: ما يقدح بها النار.
(٣) اللبنة: التي يبنى بها.

٣٤٩ عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح! وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب!

٣٥٠ - ثلاث موبقات: الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته، والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه.

٣٥١ - الفطام عن الحطام شديد (١).

٣٥٢ - إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف، وإذا أدبرت أدبرت على البراق.

٣٥٣ - أصاب متأمل أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد.

٣٥٤ - ستة لا تخطئهم الكتابة: فقير حديث عهد بغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، ومخالط أهل الأدب وليس بأديب.

٣٥٥ - طلبت الراحة لنفسى فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعنيني، وتوحشت في القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء، وشهدت الزحوف (٢) ولقيت الاقران، فلم أر قرناً أغلب من المرأة، ونظرت إلى كل ما يذل العزيز ويكسره، فلم أر شيئاً أذل له ولا أكسر من الفاقة.

٣٥٦ - أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل.

٣٥٧ - المسترشد موقى، والمحترس ملقى.

٣٥٨ - الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع.

(١) ب: (شد).

(٢) زحف إليه: خف ومشى، والزحف: الجيش يمشى إلى العدو.

- ٣٥٩ - ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز، وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم.
- ٣٦٠ - ما الحيلة فيما أعني (١) إلا الكف عنه، ولا الرأي فيما ينال إلا اليأس منه.
- ٣٦١ - الأحق إذا حدث ذهل، وإذا حدث عجل، وإذا حمل على القبيح فعل.
- ٣٦٢ - إثبات الحجّة على الجاهل سهل، ولكن إقراره بها صعب.
- ٣٦٣ - كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور، كذلك يمتحن الانسان بمنطقه فيعرف ما عنده.
- ٣٦٤ - احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل، لان الصبر على الفقر قناعة، والصبر على الذل ضراعة (٢).
- ٣٦٥ - الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها.
- ٣٦٦ - السفر ميزان الأخلاق.
- ٣٦٧ - العقل ملك والحصل رعيته، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها.
- ٣٦٨ - الكذاب يخيف نفسه وهو آمن.
- ٣٦٩ - لولا ثلاث لم يسئل سيف: سلك أدق من سلك، ووجه أصبح من وجه، ولقمة أسوغ من لقمة.
- ٣٧٠ - قد يحسن الامتنان بالنعمة وذلك عند كفرانها، ولولا إن بني إسرائيل

(١) ا: (أعيا).

(٢) ضرع إليه ضراعة: ذل وخضع.

كفروا النعمة لما قال الله لهم: (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) (١).

٣٧١ - إذا تناهى الغم انقطع الدمع.

٣٧٢ - إذا ولى صديقك ولاية فأصبتة على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء.

٣٧٣ - أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف.

٣٧٤ - الحرص محرمة (٢) والجبن مقتلة، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت: أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر، أم من قتل مدبراً! وانظر: أمن يطلب بالاجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص!

٣٧٥ - إذا كان العقل تسعه أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدم به صاحبه على الأمور، فإن العاقل أبدا متوان مترقب متخوف.

٣٧٦ - عمل الرجل بما يعلم إنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف، وترك العمل بما يعلم إنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين، وإقدامه على ما لا يدرى أصواب هو أم خطأ لجاج واللجاج آفة العقل.

٣٧٧ - ضعف العقل أمان من الغم.

٣٧٨ - لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت، ولا طعاما حتى يستمرئه، ولا صديقا حتى يستقرضه، وليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

٣٧٩ - لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب.

٣٨٠ - الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة، فمن تركها وادعى الايمان كذبه فعلة، وكان عليه شاهد من نفسه.

(١) سورة البقرة ١٢٢.

(٢) أي سبب للحرمان.

- ٣٨١ - من خاف الله خافه كل شيء.
- ٣٨٢ - من النقص أن يكون شفيحك شيئاً خارجاً عن ذاتك وصفاتك.
- ٣٨٣ - ويلى على العبد اللثيم عبد بنى ربيعة! نزع به (١) عرق الشرك العبشمي إلى مساءتي، وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة أولى له، والله ليريني في موقف يسوءه ثم لا يجد هناك فلانا وفلانا - يعنى سالما مولى حذيفة.
- ٣٨٤ - أنا قاتل الاقران، ومجدل الشجعان، أنا الذي فقأت عين الشرك، وثللت عرشه، غير ممتن على الله بجهادي، ولا مدل إليه بطاعتي، ولكن أحدث بنعمة ربي.
- ٣٨٥ - الصوم عبادة بين العبد وخالقه، لا يطلع عليها غيره، وكذلك لا يجازى عنها غيره.
- ٣٨٦ - طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس! طوبى لمن لا يعرف الناس! ولا يعرفه الناس طوبى لمن كان حيا كميته، وموجودا كمعدوم، قد كفى جاره خيره وشره، لا يسأل عن الناس، ولا يسأل الناس عنه.
- ٣٨٧ - ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز له من الصدق.
- ٣٨٨ - لا يكن فقرك كفرا، وغناك طغيانا.
- ٣٨٩ - ثمرة القناعة الراحة، وثمره التواضع المحبة.
- ٣٩٠ - الكريم يلين إذا استعطف، واللثيم يقسو إذا لوطف.
- ٣٩١ - أنكى لعدوك ألا تريه إنك اتخذته عدوا.
- ٣٩٢ - عذابان لا يأبه الناس لهما: السفر البعيد، والبناء الكثير.

(١) نزع به عرق الشر: جذبه إليه.

(٢) عبشمي، نسبة إلى عبد شمس.

- ٣٩٣ - ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم: تاجر البحر، وصاحب السلطان،
والمرتشي في الحكم.
- ٣٩٤ - أعجز الناس من قصر في طلب الصديق، وأعجز منه من وجده
فضيعة (١).
- ٣٩٥ - أشد المشاق وعد كذاب لحريص.
- ٣٩٦ - العادات قاهرات، فمن اعتاد شيئاً في سره وخلوته فضحه في
جهره وعلانيته.
- ٣٩٧ - الأخ البار مغيض الاسرار.
- ٣٩٨ - عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية.
- ٣٩٩ - قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة.
- ٤٠٠ - ركوب الخيل عز، وركوب البراذين لذة، وركوب البغال مهزلة،
وركوب الحمير مذلة.
- ٤٠١ - العقل يظهر بالمعاملة، وشيم الرجال تعرف بالولاية.
- ٤٠٢ - قال له قائل: علمني الحلم، فقال: هو الذل، فاصطبر عليه
إن استطعت.
- ٤٠٣ - قلت: إن فلانا أفاد مالا عظيماً، فهل أفاد أياما ينفقه فيها!
- ٤٠٤ - عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه.
- ٤٠٥ - المريض يعاد - والصحيح يزار.
- ٤٠٦ - الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً، مدح الانسان نفسه.

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا.

٤٠٧ - الشيء الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق.
٤٠٨ - أوسع ما يكون الكريم مغفرة، إذا ضاقت بالذنب المعذرة.
٤٠٩ - ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت.
٤١٠ - التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه.
٤١١ - إذا رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه.

٤١٢ - إساءة المحسن أن يمنعك جدواه، وإحسان المسئ أن يكف عنك أذاه.

٤١٣ - اللهم إني استعديك على قريش، فإنهم أضمرؤا لرسولك صلى الله عليه وآله ضروبا من الشر والغدر، فعجزوا عنها، وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي، والدائرة على. اللهم احفظ حسنا وحسينا، ولا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حيا، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد.

٤١٤ - قال له قائل: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم، وأنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه؟ أمرها قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، أن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حيا على صرف الامر عن أهل بيته بعد موته، ولولا أن قريشا جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلما إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا،

ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعا، وبازلها (١) بكرا، ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة (٢)، فحسن في عيونها من الاسلام ما كان سمحا، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا، وقالت: لولا إنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الامراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن حمل ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذاك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سببا للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم إنني لم أرد الامرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك.

٤١٥ - البر ما سكنت إليه نفسك، واطمأن إليه قلبك، والاثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك.

٤١٦ - الزكاة نقص في الصورة، وزيادة في المعنى.

٤١٧ - ليس الصوم الامساك عن المأكل والمشرب، الصوم الامساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه.

(١) البازل: الذي فطرنا به.

(٢) المخمصة: الجوع.

- ٤١٨ - إذا كان الراعي ذئبا، فالشاة من يحفظها!
- ٤١٩ - كل شيء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا، فإنها تطيعك إذا أغضبتها.
- ٤٢٠ - رب مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه.
- ٤٢١ - إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا.
- ٤٢٢ - شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب، ينقيه ولكن يخلقه.
- ٤٢٣ - الحسد خلق دنيء، ومن دناءته إنه موكل بالأقرب فالأقرب.
- ٤٢٤ - لو كان أحد مكثفيا من العلم لا كتفى نبي الله موسى، وقد سمعتم قوله: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) (١).
- ٤٢٥ - استغفر الله مما أملك، واستصلحه فيما لا أملك.
- ٤٢٦ - إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث تكره.
- ٤٢٧ - الولد العاق كالإصبع الزائدة، إن تركت شانت، وإن قطعت آلمت.
- ٤٢٨ - خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا.
- ٤٢٩ - الصديق نسيب الروح، والأخ نسيب الجسم.
- ٤٣٠ - جزية المؤمن كراء منزله، وعذابه سوء خلق زوجته.
- ٤٣١ - الوعد وجه والإنجاز محاسنه.
- ٤٣٢ - أنعم الناس عيشا من عاش في عيشة غيره.
- ٤٣٣ لا تشاتمن أحدا، ولا تردن سائلا، إما هو كريم تسد خلته، أو لئيم تشتري عرضك منه.

(١) سورة الكهف ٦٦.

- ٤٣٤ - النمام سهم قاتل.
- ٤٣٥ - ثلاثة أشياء لا دوام لها: المال في يد المبدّر، وسحابة الصيف، وغضب العاشق.
- ٤٣٦ - الزاهد في الدينار والدرهم أعز من الدينار والدرهم.
- ٤٣٧ - رب حرب أحييت بلفظة، ورب ود غرس بلحظة.
- ٤٣٨ - إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر، فإن ولد له فقد كسر به.
- ٤٣٩ - صلاح كل ذي نعمة في خلاف ما فسد عليه.
- ٤٤٠ - أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف، ورضى بالكفاف (١)، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.
- ٤٤١ - التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد.
- ٤٤٢ - ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه، أما الجاهل فلا يعرف المعروف ولا يشكر عليه، وأما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت، وأما السفيه فيقول: إنما أعطاني فرقا من لساني.
- ٤٤٣ - خير العيش ما لا يطغيك، ولا يلهميك.
- ٤٤٤ - ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر.
- ٤٤٥ - إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله.
- ٤٤٦ - خير الدنيا والآخرة في حصلتين: الغنى والتقوى: وشر الدنيا والآخرة في حصلتين: الفقر والفجور.
- ٤٤٧ - ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي طعاما لم يدع إليه،

(١) الكفاف: القليل.

والمتمآمر على رب البيت في بيته، وطالب المعروف من غير أهله، والداخل بين اثنين لم يدخله، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن جرب المجرب.

٤٤٨ - أنفس الأعلاق (١) عقل قرن إليه حظ.

٤٤٩ - اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة.

٤٥٠ - احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى، وذلة الفقر مانعة من الصبر، كما إن عز الغنى مانع من كرم الانصاف، إلا لمن كان في غريزته فضل قوة، وأعراق تنازعه إلى بعد الهمة.

٤٥١ - أبعد الناس سفرا من كان في طلب صديق يرضاه.

٤٥٢ - استشارة الأعداء من باب الخذلان.

٤٥٣ - الجاهل يعرف بست خصال: الغضب من غير شئ، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها، وألا يعرف صديقه من عدوه، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد.

٤٥٤ - سوء العادة كمين لا يؤمن.

٤٥٥ - العادة طبيعة ثانية غالبية.

٤٥٦ - التجني وافد القطيعة.

٤٥٧ - صديقك من نهاك، وعدوك من أغراك.

٤٥٨ - يا عجبا من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد!

٤٥٩ - من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرى في أعدائه ما يسره.

٤٦٠ - الضغائن تورث كما تورث الأموال.

(١) الأعلاق: الأشياء النفيسة القيمة.

- ٤٦١ - رب عزيز أذله خرقه، وذليل أعزه خلقه.
- ٤٦٢ - لا يصلح اللئيم لأحد، ولا يستقيم إلا من فرق أو حاجة، فإذا استغنى أو ذهب خوفه عاد إليه جوهره.
- ٤٦٣ - ثلاثة في المجلس وليسوا فيه: الحاقن، والضيق الخف، والسئ الظن بأهله.
- ٤٦٤ - وسئل: ما أبقى الأشياء في نفوس الناس؟ فقال: أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب، وأما في نفوس السفهاء فالحقد.
- ٤٦٥ - إذا انقضى ملك قوم خيبتوا في آرائهم.
- ٤٦٦ - الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف.
- ٤٦٧ - الحزن سوء استكانة، والغضب لؤم قدرة.
- ٤٦٨ - كل ما يؤكل ينتن، وكل ما يوهب يأرج.
- ٤٦٩ - الطرش في الكرام، والهوج في الطوال، والكيس في القصار، والنبيل في الربعة، وحسن الخلق في الحول، والكبر في العور، والبهت في العميان، والذكاء في الخرس.
- ٤٧٠ - ألام الناس من سعى بانسان ضعيف إلى سلطان جائر.
- ٤٧١ - أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز.
- ٤٧٢ - الغدر ذل حاضر، والغيبة لؤم باطن.
- ٤٧٣ - القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الاثم.
- ٤٧٤ - لا كثير مع إسراف، ولا قليل مع احتراف، ولا ذنب مع اعتراف.

- ٤٧٥ - المتعبد على غير فقه كحمار الرحا يدور ولا يبرح.
- ٤٧٦ - المحروم من طال نصبه، وكان لغيره مكسبة.
- ٤٧٧ - في الاعتبار غنى عن الاختبار.
- ٤٧٨ - وغيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله.
- ٤٧٩ - أذل الناس معتذر إلى اللئيم.
- ٤٨٠ - أشجع الناس أثبتهم عقلا في بدهة الخوف.
- ٤٨١ - المعتذر منتصر، والمعاتب مغاضب.
- ٤٨٢ - المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب ولم يفترس، وكالسيف الذي يخاف وهو مغمد، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا ولم يعقر.
- ٤٨٣ - عليكم بالأدب، فإن كنتم ملوكا برزتم، وإن كنتم وسطا فقتم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم.
- ٤٨٤ - الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.
- ٤٨٥ - لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين: إما في الغاية القصوى من مطالب الدنيا، وإما في الغاية القصوى من الترك لها.
- ٤٨٦ - من أفضل اعمال البر الجود في العسر، والصدق في الغضب، والعفو عند القدرة.
- ٤٨٧ - إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته، وكلفهم من الشكر بقدر قدرتهم.
- ٤٨٨ - العيش في ثلاث: صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك، وزوجة تسرك إذا دخلت عليها وتحفظ غيبك إذا غبت عنها، وغلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد.

- ٤٨٩ - تحتاج القراية إلى مودة ولا تحتاج المودة إلى قراية.
٤٩٠ - الصابر على مخالطة الأشرار وصحبتهم، كراكب البحر إن سلم بيدنه من التلف، لم يسلم بقلبه من الحذر.
٤٩١ - لأخيك عليك إذا حزبه أمر أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك، وتبذل له النصر إذا عصاك.
٤٩٢ - الغيبة ربيع اللئام.
٤٩٣ - أطول الناس نصبا الحريص إذا طمع، والحقود إذا منع.
٤٩٤ - الشريف دون حقه يقتل ويعطى نافلة فوق الحق عليه.
٤٩٥ - اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك، فكما لا تحب أن يذهب ما تنفق ضياعا، فلا تذهب عمرك ضياعا.
٤٩٦ - من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه، فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه.
٤٩٧ - لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك.
٤٩٨ - لا يؤمنك من شر جاهل قراية ولا جوار، فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها.
٤٩٩ - كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك.
٥٠٠ - عليك بسوء الظن، فإن أصاب فالحزم وإلا فالسلامة.
٥٠١ - رضا الناس غاية لا تدرك، فتحر الخير بجهدك، ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل.

- ٥٠٢ - لا تماكس في البيع والشراء، فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك.
- ٥٠٣ - الدين رق فلا تبذل رقبك لمن لا يعرف حقبك.
- ٥٠٤ - احذر كل الحذر أن يخذعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل، ويورثك الهوينى بالإحالة على القدر، فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل، وبالتسليم للقضاء بعد الاعذار، فقال: (خذوا حذر كم (١))، (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (٢))، وقال النبي صلى الله عليه وآله: (اعقلها وتوكل).
- ٥٠٥ - لا تصحب في السفر غنيا، فإنك إن ساويته في الانفاق أضربك، وإن تفضل عليك استذللك.
- ٥٠٦ - إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر، فإنه لا يفكر إلا في خير، وإذا سألت لئima حاجة فغافسه (٣) فإنه إذا (٤) فكر عاد إلى طبعه.
- ٥٠٧ - ما أقبح بالصبيح الوجه أن يكون جاهلا، كدار حسنة البناء وساكنها شر، وكجنة يعمرها بوم، أو صرمة يحرسها ذئب.
- ٥٠٨ - قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنسانا، وقد أمكنه أن يكون ملكا، وأن يرضى لنفسه بقنية معارة و حياة مستردة، وله أن يتخذ قنية مخلدة و حياة مؤبدة.
- ٥٠٩ - الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة، وهي أربعة أنواع: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر.

(١) سورة النساء ٧١.

(٢) سورة البقرة ٩٥.

(٣) غافسه: أي أخذه على غرة.

(٤) ب: (إن فكر).

- ٥١٠ - ما خاب من استخار.
- ٥١١ - الدين قد كشف عن غطاء قلبه، يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلا رآه فيه.
- ٥١٢ - من غرس النخل أكل الرطب، ومن غرس الصنصاف والعليق عدم ثمرته، وذهبت ضياعاً خدمته.
- ٥١٣ - إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداه الجهل والشر، فإن الصائغ لا يتهيأ له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده.
- ٥١٤ - الصبر مفتاح الفرج.
- ٥١٥ - غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل.
- ٥١٦ - ستعرف الحال على حقيقتها، ولكن حيث لا تستطيع أن تذاكر أحداً بها.
- ٥١٧ - السعادة التامة بالعلم، والسعادة الناقصة بالزهد، والعبادة من غير علم ولا زهادة تعب الجسد.
- ٥١٨ - الآمال مطايا، وربما حسرت، ونقبت أخفافها.
- ٥١٩ - حب الرياسة شاغل عن حب الله سبحانه.
- ٥٢٠ - يا أبا عبيدة، طال عليك العهد فنسيت، أم نافست فأنسيت؟ لقد سمعتها ووعيتها فهلا رعتها!
- ٥٢١ - قال: لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة: معذرة ورب الكعبة، ولكن بعد ماذا! هيهات عقلت معالقتها، وصر الجندب.
- ٥٢٢ - أول من جرأ الناس علينا سعد بن عبادة، فتح باباً ولجة

- غيره، وأضرم نارا كان لهبها عليه، وضوءها لأعدائه.
- ٥٢٣ - ما لنا ولقريش! يخضمون الدنيا باسمنا، ويطأون على رقابنا، فيا لله وللعجب!
من اسم جليل لمسمى ذليل!
- ٥٢٤ - الخير كله في السيف، وما قام هذا الدين إلا بالسيف، أتعلمون ما معنى قوله تعالى: (وأنزّلنا الحديد فيه بأس شديد)؟ هذا هو السيف.
- ٥٢٥ - لم يفت من لم يمت.
- ٥٢٦ - من فسدت بطاتته كان كمن غص بالماء، فإنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصته.
- ٥٢٧ - من ضمن بعرضه فليدع المرء.
- ٥٢٨ - من أيقظ فتنة فهو آكلها.
- ٥٢٩ - من أثرى كرم على أهله، ومن أملق هان على ولده.
- ٥٣٠ - من أمل أحدا هابه، ومن جهل شيئا عابه.
- ٥٣١ - أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء أثره.
- ٥٣٢ - أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك، فإن لم يكن فمن كثرت أياديك عنده.
- ٥٣٣ - من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضره.
- ٥٣٤ - من زاد عقله نقص حظه، وما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب به عليه من رزقه.
- ٥٣٥ - من عمل بالعدل فيمن دونه، رزق العدل ممن فوقه.

- ٥٣٦ - من طلب عزا بظلم وباطل أورثه الله ذلا بإنصاف وحق.
- ٥٣٧ - من وطئته الأعين، وطئته الأرجل.
- ٥٣٨ - ينادى مناد يوم القيامة: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم العافون عن الناس، ثم تلا: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله).
- ٥٣٩ - اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله.
- ٥٤٠ - كأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل.
- ٥٤١ - قال لمريض أبل من مرضه: إن الله ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره.
- ٥٤٢ - الدار دار من لا دار له، وبها يفرح من لا عقل له، فأنزلوها منزلتها.
- ٥٤٣ - لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته، فإنك إن ظفرت به لم تحمد، وإن ظفر بك لم تعذر، والضعيف المحترس من العدو القوى أقرب إلى السلامة من القوى المغتر بالضعيف.
- ٥٤٤ - لا تصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك.
- ٥٤٥ - لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك.
- ٥٤٦ - الصاحب كالرقعة في الثوب، فاتخذه مشاكلا.
- ٥٤٧ - إياك وكثرة الاخوان، فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك.
- ٥٤٨ - دع اليمين لله إجلالا، وللناس إجمالا.
- ٥٤٩ - العادات قاهرات، فمن اعتاد شيئا في سره فضحه في علانيته.
- ٥٥٠ - إذا كان لك صديق ولم تحمد إخاءه ومودته، فلا تظهر ذلك للناس، فإنما هو بمنزلة السيف الكليل في منزل الرجل، يهرب به عدوه، ولا يعلم العدو أصارم هو أم كليل!

- ٥٥١ - دَعِ الذَّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدْعَكَ.
- ٥٥٢ - إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَانظُرْ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ.
- ٥٥٣ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّهُ زِينٌ لِلْغَنِيِّ وَعَوْنٌ لِلْفَقِيرِ، وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّهُ يُطَلَّبُ بِهِ وَلَكِنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْقِنَاعَةِ.
- ٥٥٤ - لَا تَرْضَيْنَ قَوْلَ أَحَدٍ حَتَّى تَرْضَى فِعْلَهُ، وَلَا تَرْضَ فِعْلَهُ حَتَّى تَرْضَى عَقْلَهُ، وَلَا تَرْضَ عَقْلَهُ حَتَّى تَرْضَى حَيَاءَهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ وَلَوْثٍ، فَإِنْ قَوِيَ الْحَيَاءُ عِنْدَهُ قَوِيَ الْكَرَمُ، وَإِنْ ضَعُفَ الْحَيَاءُ قَوِيَ اللَّوْثُ.
- ٥٥٥ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ حِظًّا، فَلَا يَذِمُّ الزَّمَانُ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَذِمَّ بِكُمْ.
- ٥٥٦ - اجْعَلْ سِرْكَ إِلَى وَاحِدٍ، وَمَشُورَتَكَ إِلَى أَلْفٍ.
- ٥٥٧ - إِنْ أَلَلَّ اللَّهُ خَلْقَ النِّسَاءِ مِنْ عِيٍّ وَعَوْرَةٍ، فَدَاوُوا عَيْنَهُنَّ بِالسَّكُوتِ، وَاسْتَرُوا الْعَوْرَةَ بِالْبَيُوتِ.
- ٥٥٨ - لَا تَعْدَنَّ عِدَّةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا، وَلَا يَغْرُنْكَ الْمَرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرَ وَعَرَا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جِزَاءً فَاتِقَ الْعَوَاقِبِ، وَإِنْ لِلْأُمُورِ بَغَاتٌ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ.
- ٥٥٩ - لَا تَجَاهِدِ الطَّلِبَ جِهَادَ الْمَغَالِبِ، وَلَا تَتَكَلَّ عَلَى الْقَدْرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ، فَإِنْ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السَّنَةِ، وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلِبِ مِنَ الْعَفَةِ، وَلَيْسَتْ الْعَفَةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقًا، وَلَا الْحَرَصُ بِجَالِبِ فَضْلًا.
- ٥٦٠ - مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ نَفْسُهُ، فَلَا يَلُومُنْ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ.

- ٥٦١ - من رجي الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه.
- ٥٦٢ - من انتجعك مؤملا فقد أسلفك حسن الظن.
- ٥٦٣ - إذا شئت أن تطاع فاسأل ما يستطيع.
- ٥٦٤ - من أعذر كمن أنجح.
- ٥٦٥ - من كانت الدنيا همه كثر في القيامة غمه.
- ٥٦٦ - من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب.
- ٥٦٧ - من ركب العجلة لم يأمن الكبوة.
- ٥٦٨ - من لم يثق لم يوثق به.
- ٥٦٩ - من أفاده الدهر أفاد منه (١)
- ٥٧٠ - من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة.
- ٥٧١ - من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة.
- ٥٧٢ - تأمل ما تتحدث به، فإنما تملئ على كاتبيك صحيفة يوصلانها إلى ربك، فانظر على من تملئ، وإلى من تكتب.
- ٥٧٣ - أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك، وعظم نفسك عن التعظم، وتطول ولا تتناول.
- ٥٧٤ - عاملوا الأحرار بالكرامة المحضنة، والأوساط بالرغبة والرغبة، والسفلة بالهوان.
- ٥٧٥ - كن للعدو المكاتم أشد حذرا منك للعدو المبارز.
- ٥٧٦ - احفظ شيئك ممن تستحي أن تسأله عن مثل ذلك الشيء إذا ضاع لك.

(١) أفاد: أي استفاد.

- ٥٧٧ - إذا كنت في مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم.
- ٥٧٨ - لا تستصغرون حدثا (١) من قريش، ولا صغيرا من الكتاب، ولا صعلوكا من الفرسان. ولا تصادقن ذميا ولا خصيا ولا مؤثنا، فلا ثبات لموداتهم.
- ٥٧٩ - لا تدخل في مشورتك بخيلا فيقصر بفعلك، ولا جبانا فيخوفك ما لا تخاف، ولا حريصا فيعدك ما لا يرجى، فإن الجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة، يجمعها سوء الظن بالله تعالى.
- ٥٨٠ - لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن.
- ٥٨١ - اعص هواك والنساء وافعل ما بدا لك.
- ٥٨٢ - ما كنت كاتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك.
- ٥٨٣ - كل من الطعام ما تشتهي، والبس من الثياب ما يشتهي الناس.
- ٥٨٤ - ولتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يباع.
- ٥٨٥ - من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه، فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه.
- ٥٨٦ - ابذل لصديقك مالك، ولمعرفتك رفقك ومحضرك، وللعامية بشرك وتحنك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد.
- ٥٨٧ - جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء، فإن العقل يقع على العقل.
- ٥٨٨ - كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك، وبحذرک أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حرب المتهور، وغنيمة المتحذر.
- ٥٨٩ - النعم وحشية فقيدها بالمعروف.

(١) حدثا، أي صغير السن.

- ٥٩٠ - إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقى الله فاصنعها إلى من يتقى العار.
- ٥٩١ - لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض.
- ٥٩٢ - إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب.
- ٥٩٣ - ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده.
- ٥٩٤ - إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب، وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن، وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل، ولا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لبالها، وأرخصي لحالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تعد بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع لغيرها، ولا تطل الخلوة معهن فيملنك وتملهن، واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك ذلك باقتدار، خير من أن يهجمن منك على انكسار. وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم.
- ٥٩٥ - إذا أردت أن تختتم على كتاب، فأعد النظر فيه، فإنما تختم على عقلك.
- ٥٩٦ - إن يوما أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد.
- ٥٩٧ - كم من مبرد له الماء والحميم يغلى له.
- ٥٩٨ - الصلاة صابون الخطايا.
- ٥٩٩ - إن امرأ عرف حقيقة الأمر، وزهد فيه لأحمق، وإن امرأ جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل.

- ٦٠٠ - إذا قال أحدكم: والله، فليُنظر ما يضيف إليها.
- ٦٠١ - رأيك لا يتسع لكل شيء، ففرغه للمهم من أمورك، ومالك لا يغني الناس كلهم فاحصص به أهل الحق، وكرامتك لا تطيق بذلها في العامة، فتوخ بها أهل الفضل، وليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك، فأحسن القسمة بين عملك ودعتك.
- ٦٠٢ - أحي المعروف بإماتته.
- ٦٠٣ - اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه، وينسى أياديته عندكم.
- ٦٠٤ - جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.
- ٦٠٥ - إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.
- ٦٠٦ - لا تثقن كل الثقة بأخيك، فإن سرعة الاسترسال لا تقال.
- ٦٠٧ - انتقم من الحرص بالقناعة، كما تنتقم من العدو بالقصاص.
- ٦٠٨ - إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليطل لسانك بالشكر.
- ٦٠٩ - من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك.
- ٦١٠ - الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان.
- ٦١١ - لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف، كم من راغب أصبح مرغوبا إليه، ومتبوع أمسى تابعا.
- ٦١٢ - إن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال.
- ٦١٣ - كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مالا.
- ٦١٤ - لا تكونن المحدث من لا يسمع منه، والداخل في سر اثنين لم يدخله

فيه، ولا الآتي وليمة لم يدع إليها، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه، ولا طالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتحمق في الدالة، ولا المتعرض للخير من عند العدو.

٦١٥ - اطبع الطين ما دام رطبا، واغرس العود ما دام لدنا.

٦١٦ - خف الله حتى كأنك لم تطعه، وارج الله حتى كأنك لم تعصه.

٦١٧ - لا تبلغ في سلامك على الاخوان حد النفاق، ولا تقصرهم عن درجة الاستحقاق.

٦١٨ - انصح لكل مستشير، ولا تستشير إلا الناصح اللبيب.

٦١٩ - ما أقبح بك أن ينادى غدا: يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم، ثم ينادى ثانيا: يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم. ما أراك يا مسكين الا تقوم مع أهل كل خطيئة!

٦٢٠ - ما أصاب أحد ذنبا ليلا إلا أصبح وعليه مذلته.

٦٢١ - الاستغفار يحت الذنوب حت الورق، ثم تلا قوله تعالى: (ومن يعمل

سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيفا) (١).

٦٢٢ - أيها المستكثر من الذنوب، إن أباك اخرج من الجنة بذنوب واحد.

٦٢٣ - إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.

٦٢٤ - لقاء أهل الخير عمارة القلوب.

٦٢٥ - أنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعضد من المنكب، وكالذراع

(١) سورة النساء ١١٠.

من العضد، وكالكف من الذراع، رباني صغيراً، وأخاني كبيراً، ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري، وإنه أوصى إلي دون أصحابه وأهل بيته، ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال: أفعل، ثم قام فصلى، فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه، فإذا هو قائل: اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي، فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: أوأحد أكرم منك عليه فاستشفع به إليه.

٦٢٦ - والله ما قلعت باب خبير، ودكدكت (١) حصن يهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية.

٦٢٧ - يا بن عوف، كيف رأيت صنيعك مع عثمان! رب واثق خجل، ومن لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاماً.

٦٢٨ - لو رأيت ما في ميزانك لختمت علي لسانك.

٦٢٩ - ليس الحلم ما كان حال الرضا، بل الحلم ما كان حال الغضب.

٦٣٠ - ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول: (لا إله إلا الله)، كلمه التقوى.

٦٣١ - لا تحملوا ذنوبكم وخطاياكم علي الله، وتذروا أنفسكم والشيطان.

٦٣٢ - إن أخوف ما أخاف علي هذه الأمة من الدجال، أئمة مضلون وهم رؤساء أهل البدع.

٦٣٣ - إذا زللت فارجع، وإذا ندمت فاقلع، وإذا أسأت فاندم، وإذا مننت فاكتم، وإذا منعت فأجمل، ومن يسلف المعروف يكن ربحه الحمد.

(١) دكدك الحصن: هذه.

- ٦٣٤ - استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته.
- ٦٣٥ - لا تطلبين من نفسك العام ما وعدتك عاما أول.
- ٦٣٦ - أطول الناس عمرا من أكثر علمه، فتأدب به من بعده، أو أكثر معرفته فشراف به عقبه.
- ٦٣٧ - استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه.
- ٦٣٨ - لا دين لمن لا نية له، ولا مال لمن لا تدبير له، ولا عيش لمن لا رفق له.
- ٦٣٩ - من اشتغل بتفقد اللفظة، وطلب السجعة (١)، نسي الحجة.
- ٦٤٠ - الدنيا مطية المؤمن، عليها يرتحل إلى ربه، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم.
- ٦٤١ - من رأى إنه مسيء فهو محسن، ومن رأى إنه محسن فهو مسيء.
- ٦٤٢ - سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك.
- ٦٤٣ - اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس، فإن بيد الله قضاءها.
- ٦٤٤ - عذب حسادك بالاحسان إليهم.
- ٦٤٥ - اظهر الفاقة من خمول الهمة.
- ٦٤٦ - يا عالم قد قام عليك حجة العلم، فاستيقظ من رقدتك.
- ٦٤٧ - الرفق يقل حد المخالفة.
- ٦٤٨ - أرجح الناس عقلا، وأكملهم فضلا، من صحب أيامه بالموادعة، وإخوانه بالمسالمة، وقبل من الزمان عفوه.

(١) أي من طلب تزيين الكلام.

- ٦٤٩ - الوجوه إذا كثر تقابلها، اعتصر بعضها ماء بعض.
- ٦٥٠ - أداء الأمانة مفتاح الرزق.
- ٦٥١ - حصن علمك من العجب، ووقارك من الكبر، وعطاءك من السرف، وصرامتك من العجلة، وعقوبتك من الافراط، وعفوك من تعطيل الحدود، وصمتك من العي، واستماعك من سوء الفهم، واستئناسك من البذاء، وخلواتك من الإضاعة، وغراماتك من اللجاجة وروغانك من الاستسلام، وحذراتك من الجبن.
- ٦٥٢ - لا تجد للموتور المحقود أمانا من أذاه أوثق من البعد عنه، والاحتراس منه.
- ٦٥٣ - احذر من أصحابك ومخالطيك الكثير المسألة، الخشن البحث، اللطيف الاستدراج، الذي يحفظ أول كلامك على آخره، ويعتبر ما أخرت بما قدمت، ولا تظهرن له المخافة فيرى إنك قد تحرزت وتحفظت. واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فخالط هذا مخالطة الامن، وتحفظ منه تحفظ الخائف، فإن البحث يظهر الخفي، ويبيدي المستور الكامن.
- ٦٥٤ - من سره الغنى بلا سلطان، والكثرة بلا عشيرة، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته، فإنه واجد ذلك كله.
- ٦٥٥ - الشيب أعمار الموت.
- ٦٥٦ - من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائسا.
- ٦٥٧ - لله تعالى كل لحظه ثلاثة عساكر: فعسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة.

- ٦٥٨ - اللهم ارحمني رحمه الغفران، إن لم ترحمني رحمة الرضا.
- ٦٥٩ - إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن، إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة، وإن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة.
- ٦٦٠ - العلم سلطان، من وجدته صال به، ومن لم يجده صيل عليه.
- ٦٦١ - يا بن آدم إنما أنت أيام مجموعة، فإذا مضى يوم مضى بعضك.
- ٦٦٢ - حيث تكون الحكمة تكون خشية الله، وحيث تكون خشيته تكون رحمته.
- ٦٦٣ - اللهم إني أرى لدى من فضلك ما لم أسألك، فعلمت إن لديك من الرحمة ما لا أعلم فصغرت قيمة مطلبي فيما عاينت، وقصرت غاية أملى عندما رجوت، فإن ألحفت في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك، وإن قصرت في دعائي فبما عودت من ابتدائك.
- ٦٦٤ - من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه.
- ٦٦٥ - يقول الله تعالى: يا بن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلا من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء.
- ٦٦٦ - الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف، لأنك تخافه لذنبك، وترجوه لجوده، فالخوف لك والرجاء له.
- ٦٦٧ - أسألك بعزة الوجدانية، وكرم الإلهية، ألا تقطع عني برك بعد مماتي، كما لم تزل تراني أيام حياتي، أنت الذي تجيب من دعاك، ولا تخيب من رجائك، ضل من يدعو إلا إياك، فإنك لا تحجب من أذاك، وتفضل علي من

عصاك، ولا يفوتك من ناواك، ولا يعجزك من عاداك، كل في قدرتك، وكل يأكل رزقك.

٦٦٨ - لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلا، فإن الحياء في العينين.

٦٦٩ - من ازداد علما فليحذر من توكيد الحجة عليه.

٦٧٠ - العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم، ويحبهم ليشاركهم بمحبته،

وإن قصر عن مثل عملهم، والجاهل يذم الدنيا ولا يسخو بإخراج أقلها، يمدح الجود، ويخلل بالبذل، يتمنى التوبة بطول الأمل، ولا يعجلها لخوف حلول الأجل

، يرجو ثواب عمل لم يعمل به، ويفر من الناس ليطلب، ويخفى شخصه

ليشتهر، ويذم نفسه ليمدح، وينهى عن مدحه وهو يحب ألا ينتهى من الثناء عليه.

٦٧١ - الانس بالعلم من نبيل الهمة.

٦٧٢ - اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصن وجهي عن مسألة غيرك.

٦٧٣ - من الناس من ينقصك إذا زدته، ويهون عليك إذا خاصصته، ليس

لرضاه موضع تعرفه، ولا لسخطه مكان تحذره، فإذا لقيت أولئك فابذل لهم

موضع المودة العامة، واحرمهم موضع الخاصة، ليكون ما بذلت لهم من ذلك

حائلا دون شرهم، وما حرمتهم من هذا قاطعا لحرمتهم.

٦٧٤ - من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات: يلقي الغطاء على قلبه،

والنعاس على عينه، والكسل على بدنه.

٦٧٥ - ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان.

٦٧٦ - يقطع البليغ عن المسألة أمران: ذل الطلب، وخوف الرد.

٦٧٧ - المؤمن محدث.

- ٦٧٨ - قل أن ينطق لسان الدعوى إلا ويخرسه كعام (١) الامتحان.
- ٦٧٩ - انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه، وما عند غيرك فلا تأخذه إلا بحقه.
- ٦٨٠ - إذا صافاك عدوك رياء منه فتلق ذلك بأوكد مودة، فإنه إن ألف ذلك واعتاده خلصت لك مودته.
- ٦٨١ - لا تألف المسألة فيألفك المنع.
- ٦٨٢ - لا تسأل الحوائج غير أهلها، ولا تسألها في غير حينها، ولا تسأل ما لست له مستحقا فتكون للحرمان مستوجبا.
- ٦٨٣ - إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك.
- ٦٨٤ - لا تعدن من إخوانك من أخاك في أيام مقدرتك للمقدرة، واعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث: يكون صديقا يوم حاجته إليك، ومعرضا يوم غناء عنك، وعدوا يوم حاجتك إليه.
- ٦٨٥ - لا تسرن بكثرة الاخوان ما لم يكونوا أحيارا، فإن الاخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع، وكثيرها بوار.
- ٦٨٦ - كفاك خيانة أن تكون أمينا للخونة.
- ٦٨٧ - لا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيتك سرك مكانه، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيتك ساءك مكانه.
- ٦٨٨ - يا بن آدم، ليس بك غناء عن نصيبك من الدنيا: وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر.

(١) الكعام: ما يشد به فم البعير.

- ٦٨٩ - معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت ضرت صاحبها والعامه.
- ٦٩٠ - يجب على العاقل ان يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء.
- ٦٩١ - أعسر العيوب صلاحا العجب واللجاجة.
- ٦٩٢ - لكل نعمة مفتاح ومغلاق، فمفتاحها الصبر، ومغلاقها الكسل.
- ٦٩٣ - الحزن والغضب أميران تابعان لوقوع الامر بخلاف ما تحب، ألا إن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزنا، وإن أتاك ممن دونك نتج عليك غضبا.
- ٦٩٤ - أول المعروف مستخف، وآخره مستثقل، تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي، وآخره للرأي دون الهوى، ولذلك قيل: رب الصنيعة أشد من الابتداء بها.
- ٦٩٥ - لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء فمتى يستغنى المرء عن يده أو رجله! ولكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم.
- ٦٩٦ - احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه، ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له، فإن ذلك مما يحقدهما عليك.
- ٦٩٧ - ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.
- ٦٩٨ - لا تؤاخ شاعرا فإنه يمدحك بثمان، ويهجوك مجانا.
- ٦٩٩ - لا تنزل حوائجك بجيد اللسان، ولا بمتسرع إلى الضمان.

- ٧٠٠ - كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.
- ٧٠١ - إذا شككت في مودة انسان فاسأل قلبك عنه.
- ٧٠٢ - العقل لم يجن على صاحبه قط، والعلم من غير عقل يجنى على صاحبه.
- ٧٠٣ - يا بن آدم، هل تنتظر إلا هرما حائلا (١)، أو مرضا شاغلا، أو موتا نازلا!
- ٧٠٤ - ابنك يأكلك صغيرا ويرثك كبيرا، وابنتك تأكل من وعائك، وترث من أعدائك، وابن عمك عدوك وعدو عدوك، وزوجتك إذا قلت لها قومي قامت.
- ٧٠٥ - إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة، وعليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام، وإياكم والمن فإنه مهدمة للصنيعة، منبهة للضعينة.
- ٧٠٦ - من لم يرج إلا ما يستوجبه أدرك حاجته.
- ٧٠٧ - بلغ من خدع الناس، أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الاحياء، والثناء على الغائب استمالة للشاهد.
- ٧٠٨ - من احتاج إليك ثقل عليك، ومن لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ومن لم يصلحه الطالبي أصلحه الكاوي.
- ٧٠٩ - من أكثر من شيء عرف به، ومن زنى زنى به، ومن طلب عظيما خاطر بعظمته، ومن أحب أن يصرم (٢) أخاه فليقرضه ثم ليتقاضه (٣)، ومن أحبك لشيء ملك عند انقضائه، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

(١) حائلا، أي مانعا يمنعه من أداء عمله.

(٢) يقطع مودته.

(٣) يطلب منه ما اقترض.

- ٧١٠ - من بلغ السبعين اشتكى من غير علة.
- ٧١١ - في المال ثلاث خصال مذمومة: إما أن يكتسب من غير حلة، أو يمنع إنفاقه في حقه، أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى.
- ٧١٢ - يباعدك من غضب الله ألا تغضب.
- ٧١٣ - لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك، فإنك إن فعلت فقد غيرت، وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك.
- ٧١٤ - أشد من البلاء شماتة الأعداء.
- ٧١٥ - ليس يزننى فرجك إن غضضت طرفك.
- ٧١٦ - كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا.
- ٧١٧ - الهدية تفتقأ عين الحكيم.
- ٧١٨ - ليكن أصدقاؤك كثيرا، واجعل شرك منهم إلى واحد.
- ٧١٩ - يا عبيد الدنيا، كيف تخالف فروعكم أصولكم، وعقولكم أهواءكم، قولكم شفاء يبرئ الداء، وعملكم داء لا يقبل الدواء، ولستم كالكرمة التي حسن ورقها، وطاب ثمرها، وسهل مرتقاها، ولكنكم كالشجرة التي قل ورقها، وكثر شوكتها، وخبث ثمرها، وصعب مرتقاها. جعلتم العلم تحت أقدامكم، والدنيا فوق رؤوسكم، فالعلم عندكم مزال (١) ممتهن، والدنيا لا يستطيع تناولها، فقد منعتكم كل أحد من الوصول إليها، فلا أحرار كرام أنتم، ولا عبيد أتقياء، ويحكم يا أجراء السوء! أما الاجر فتأخذون، وأما العمل فلا تعملون، إن عملتم فللعمل تفسدون، وسوف تلقون ما تفعلون، يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم، وفي أجره الذي أخذتم. يا غرماء السوء، تبدأون بالهدية قبل قضاء

(١) الإذالة: الإهانة.

الدين، تتطوعون بالنوافل ولا تؤدون الفرائض، إن رب الدين لا يرضى بالهدية حتى يقضى دينه.

٧٢٠ - الدنيا مزرعة إبليس، وأهلها أكرة حراثون له فيها.

٧٢١ - وا عجا ممن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بغير عمل، ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل!

٧٢٢ - لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

٧٢٣ - كثرة الطعام تميمت القلب كما تميمت كثرة الماء الزرع.

٧٢٤ - ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع.

٧٢٥ - إذا أردت أن تصادق رجلا فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه.

٧٢٦ - إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الاسلام، ثم اجلس - يعنى السلام - فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غيره فخلهم وانهض.

٧٢٧ - الأوطار تكسب الأوزار، فافرض وطرك، واغضض بصرك.

٧٢٨ - إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك، فيريد أن تتنحى عن مجلسك، فيكون ذلك نقصا عليك وشينا.

٧٢٩ - ارحم الفقراء لقله صبرهم، والأغنياء لقله شكرهم، وارحم الجميع لطول غفلتهم.

- ٧٣٠ - العالم مصباح الله في الأرض، فمن أراد الله به خيرا اقتبس منه.
- ٧٣١ - لا يهونن عليك من قبح منظره ورث لباسه، فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب ويجازي بالاعمال.
- ٧٣٢ - من كذب ذهب بماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم.
- ٧٣٣ - كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله، ينظر إلى الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء، ثم غض الدهر مني، فقرن بي فلان وفلان، ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت: وا ذفراه (١)! ثم لم يرض الدهر لي بذلك، حتى أرذلني، فجعلني نظيرا لابن هند وابن النابغة! لقد استنتت الفصال حتى القرعى.
- ٧٣٤ - أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إلى أن الأمة ستغدر بك من بعدي.
- ٧٣٥ - لامته فاطمة على قعوده وأطالت تعنيفه، وهو ساكت حتى أذن المؤذن، فلما بلغ إلى قوله: (أشهد أن محمدا رسول الله)، قال لها: أتحيين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا؟ قالت: لا، قال: فهو ما أقول لك.
- ٧٣٦ - قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك، وإلا فالصق كلكلك بالأرض، فلما تفرقوا عنى جررت على المكروه ذيلي، وأغضيت على القذى جفني، وألصقت بالأرض كلكلي.
- ٧٣٧ - الدنيا حلم والآخرة يقظة، ونحن بينهما أضغاث أحلام.

(١) الذفر: الرائحة الخبيثة.

- ٧٣٨ - لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال، استعانوا بالكبير
ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل.
- ٧٣٩ - لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن، والصدق مع الشجاعة،
والراحة مع اليأس، والتعب مع الطمع، والحرمان مع الحرص، والذل
مع الدين.
- ٧٤٠ - المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة.
- ٧٤١ - كثرة مال الميت تسلى ورثته عنه.
- ٧٤٢ - من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله.
- ٧٤٣ - من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به، أو حقد عليه.
- ٧٤٤ - كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب والواعد إلى الاخلاف.
- ٧٤٥ - عار النصيحة يكدر لذتها.
- ٧٤٦ - أول الغضب جنون، وآخره ندم.
- ٧٤٧ - انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل، ولا جاهلا فيخون.
- ٧٤٨ - لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا تتبعه بعد
القطيعة وقية فيه، فتسد طريقه عن الرجوع إليك، ولعل التجارب أن ترده
عليك وتصلحه لك.
- ٧٤٩ - من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل.
- ٧٥٠ - الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا.
- ٧٥١ - الميت يقل الحسد له، ويكثر الكذب عليه.
- ٧٥٢ - إذا نزلت بك النعمة فاجعل قرأها الشكر.

- ٧٥٣ - الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في حظه.
- ٧٥٤ - الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود.
- ٧٥٥ - أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه.
- ٧٥٦ - لا تتبع الذنب العقوبة واجعل بينهما وقتا للاعتذار.
- ٧٥٧ - أذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك.
- ٧٥٨ - لا يحملنك الحنق على اقرار الاثم فتشفي غيظك وتسقم دينك.
- ٧٥٩ - الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى.
- ٧٦٠ - كان الحاسد إنما خلق ليغتاظ.
- ٧٦١ - عقل الكاتب في قلمه.
- ٧٦٢ - اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها.
- ٧٦٣ - اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالأقتار، فأسترزق طالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك، وابتلى بحمد من أعطاني، وافتتن بدم من منعني، وأنت من وراء ذلك ولي الاعطاء والمنع، إنك على كل شئ قدير.
- ٧٦٤ - كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته في وستظهره في ولدى من بعدي، ما لي ولقريش! إنما وترتهم (١) بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين!
- ٧٦٥ - عجا لسعد وابن عمر! يزعمان إنني أحارب على الدنيا، أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب على الدنيا! فإن زعما أن رسول الله صلى الله عليه وآله حارب لتكسير الأصنام، وعبادة الرحمن، فإنما حاربت لدفع الضلال والنهي عن

(١) وترتهم: أحدثت عندهم وترا.

- الفحشاء والفساد، أفضلي يزن بحب الدنيا! والله لو تمثلت لي بشرا سويا
لضربتها بالسيف.
- ٧٦٦ - اللهم أنت خلقتني كما شئت، فارحمني كيف شئت، ووفقني لطاعتك،
حتى تكون ثقتي كلها بك، وخوفي كله منك.
- ٧٦٧ - لا تسبن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.
- ٧٦٨ - من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما قرها.
- ٧٦٩ - لا تطمع في كل ما تسمع.
- ٧٧٠ - من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه.
- ٧٧١ - الجود الذي يستطيع أن يتناول به كل أحد، هو أن ينوى الخير
لكل أحد.
- ٧٧٢ - من صحب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدوا ممن صحبه
بالغش والخيانة.
- ٧٧٣ - من عاب سفله فقد رفعه، ومن عاب كريما فقد وضع نفسه.
- ٧٧٤ - الموالى ينصرون، وبنو العم يحسدون.
- ٧٧٥ - الصدق عز، والكذب مذلة، ومن عرف بالصدق جاز كذبه، ومن
عرف بالكذب لم يجز صدقه.
- ٧٧٦ - إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك.
- ٧٧٧ - نحن نريد إلا نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت.
- ٧٧٨ - أنزل الصديق منزلة العدو في رفع المؤنة عنه، وأنزل العدو منزلة
الصديق في تحمل المؤنة له.

- ٧٧٩ - أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه.
- ٧٨٠ - الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل، كلما ازداد ريا
ازداد مرارة.
- ٧٨١ - إياكم وحمية الأوغاد، فإنهم يرون العفو ضيما.
- ٧٨٢ - الكريم لا يستقصى في محاكاة المعتذر، خوفا أن يجرى من لا يجد
مخرجا من ذنبه.
- ٧٨٣ - العفو عن المقر لا عن المصر.
- ٧٨٤ - ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه.
- ٧٨٥ - من جاد بماله فقد جاد بنفسه، فإن لم يكن جاد بها بعينها فقد
جاد بقوامها.
- ٧٨٦ - الدين ميسم الكرام، وطالما وقر الكرام بالدين!
- ٧٨٧ - الماضي قبلك هو الباقي بعدك، والتهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية
بعاجل المصاب.
- ٧٨٨ - مما تكتسب به المحبة أن تكون عالما كجاهل، وواعظا كموعوظ.
- ٧٨٩ - لا تحمدن الصبي إذا كان سخيا، فإنه لا يعرف فضيلة السخاء، وإنما
يعطى ما في يده ضعفا.
- ٧٩٠ - خير الاخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت
إليه لم ينقصك منها.
- ٧٩١ - عجبا للسلطان، كيف يحسن، وهو إذا أساء وجد من
يزكيه ويمدحه!

- ٧٩٢ - إذا صادقت إنسانا وجب عليك أن تكون صديق صديقه، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه، لأن هذا إنما يجب على خادمه وليس يجب على على مماثل له.
- ٧٩٣ - ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعاضدين.
- ٧٩٤ - من سعادة الحدث إلا يتم له فضيلة في رذيلة.
- ٧٩٥ - إذا منعت من شيء قد التمسته، فليكن غيظك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعك.
- ٧٩٦ - الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت، والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر.
- ٧٩٧ - ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة.
- ٧٩٨ - إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برك، ولكن اترك منه شيئا تزيده إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته.
- ٧٩٩ - الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه.
- ٨٠٠ - الحسود ظالم، ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه، فلما قصر عليك بعث إليك تأسفه.
- ٨٠١ - أعم الأشياء نفعا موت الأشرار.
- ٨٠٢ - الشيء المعزى للناس عن مصائبهم علم العلماء إنها نفعاء اضطرارية وتأسى العامة بعضها ببعض.
- ٨٠٣ - العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان.

- ٨٠٤ - يا عجباً للناس قد مكنهم الله من الاقتداء به، فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم!
- ٨٠٥ - سلوا القلوب عن المودات، فإنها شهود لا تقبل الرشا.
- ٨٠٦ - إنما يحزن الحسدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط، بل ولما ينال الناس من الخير.
- ٨٠٧ - العشق جهد عارض صادف قلباً فارغاً.
- ٨٠٨ - تعرف حساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه، وإخباره عما لا يسأل عنه.
- ٨٠٩ - لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد، فإنك لا تعرف ما يعرض في غد.
- ٨١٠ - أن تتعب في البر، فإن التعب يزول والبر يبقى.
- ٨١١ - أجهل الجهال من عشر بحجر مرتين.
- ٨١٢ - كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب، وكفاك ناهياً عنه خوفك من تكذيبك حال إخبارك.
- ٨١٣ - العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً.
- ٨١٤ - لا تتكلوا على البخت فربما لم يكن وربما كان وزال، ولا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله، يقال للناقص: هذا ابن فلان الفاضل، فيتضاعف غمه وعاره، ولكن عليكم بالعلم والأدب، فإن العالم يكرم وإن لم ينتسب، ويكرم وإن كان فقيراً، ويكرم وإن كان حدثاً.

- ٨١٥ - خير ما عوشر به الملك قلة الخلاف وتخفيف المؤنة، وأصعب الأشياء على الانسان أن يعرف نفسه، وأن يكتم سره.
- ٨١٦ - العدل أفضل من الشجاعة، لان الناس لو استعملوا العدل عموما في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة.
- ٨١٧ - أولى الأشياء أن يتعلمها الاحداث الأشياء التي إذا صاروا رجالا احتاجوا إليها.
- ٨١٨ - لا ترغب في اقتناء الأموال، وكيف ترغب فيما ينال بالبخت لا بالاستحقاق، ويأمر البخل والشره بحفظه والجود والزهد بإخراجه!
- ٨١٩ - إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعا من ذنبه، لئلا يحمله الاخراج على المكابرة.
- ٨٢٠ - ما انتقم الانسان من عدوه بأعظم من أن يزداد من الفضائل.
- ٨٢١ - إنما لم تجتمع الحكمة والمال، لعزة وجود الكمال.
- ٨٢٢ - يمنع الجاهل أن يجد ألم الحمق المستقر في قلبه ما يمنع السكران أن يجد مس الشوكة في يده.
- ٨٢٣ - القنية (١) مخدومة، ومن خدم غير نفسه فليس بحر.
- ٨٢٤ - لا تطلب الحياة لتأكل، بل اطلب الاكل لتحيا.
- ٨٢٥ - إذا رأيت العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها، وتمنت أمثالها، فإذا رأيت مصارعها بدا لها.
- ٨٢٦ - الشئ الذي لا يستغنى عنه أحد هو التوفيق.

(١) ما يقتنيه الانسان.

- ٨٢٧ - ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح، ولا العمل إلا بما يحل،
ولا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة.
- ٨٢٨ - الوحدة خير من رفيق السوء.
- ٨٢٩ لكل شئ صناعة، وحسن الاختبار صناعة العقل.
- ٨٣٠ - من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه.
- ٨٣١ - البغي آخر مدة الملوك.
- ٨٣٢ - لأن يكون الحر عبدا لعبيده خير من أن يكون عبدا لشهواته.
- ٨٣٣ - من أمضى يومه في غير حق قضاءه، أو فرض أداه، أو مجد بناءه،
أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه.
- ٨٣٤ - أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء، منها إنه يسمى حسنا وحسينا:
ولدى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرسوله: قل للشانئ ابن الشانئ، لو لم
يكونا ولديه لكان أبترا، كما زعمه أبوك!
- ٨٣٥ - قال معاوية لما قتل عمار واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص
كانت لهم: (تقتله الفئة الباغية): إنما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرضه للقتل، فقال:
أمير المؤمنين عليه السلام فرسول الله صلى الله عليه وآله إذن قاتل حمزه!
- ٨٣٦ - هذا يدي - يعنى محمد بن الحنفية - وهذان عيناى - يعنى حسنا
وحسينا - وما زال الانسان يذب بيده عن عينيه، قالها لمن قال له: إنك تعرض
محمدا للقتل، وتقذف به في نحور الأعداء دون أخويه.
- ٨٣٧ - شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ورزقت خيره وبره،
خذ إليك أبا الأملاك، قالها لعبد الله بن العباس لما ولد ابنه علي بن عبد الله.

- ٨٣٨ - ما يسرني إني كفيت أمر الدنيا كله، لأنني أكره عادة العجز.
- ٨٣٩ - اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصيين، واجتماع المال عند البخلاء أحد الحديدين.
- ٨٤٠ - من عمل عمل أبيه كفى نصف التعب.
- ٨٤١ - المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبراً، وقرط الكلب دراً، وألبس الحمار وشياً، والقم الأفعى شهداً.
- ٨٤٢ - الحازم إذا أشكل عليه (١) الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة، فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها، ولذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل، ثم يضرب بعضه ببعض حتى يخلص إليه الصواب.
- ٨٤٣ - الاشراف يعاقبون بالهجران لا بالحرمان.
- ٨٤٤ - الشح أضر على الانسان من الفقر، لان الفقير إذا وجد اتسع، والشحيح لا يتسع وإن وجد.
- ٨٤٥ - أحب الناس إلى العاقل أن يكون عاقلاً عدوه، لأنه إذا كان عاقلاً كان منه في عافية.
- ٨٤٦ - عليك بمجالسة أصحاب التجارب، فإنها تقوم عليهم بأغلى الغلاء، وتأخذها منهم بأرخص الرخص.
- ٨٤٧ - من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل العطفية.
- ٨٤٨ - لا تنكحوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا لأموالهن

(١) أشكل عليه الرأي: استبهم.

- فعسى أموالهن أن تطغيهن، وانكحوهن على الدين، ولامة سوداء خرماء (١) ذات دين أفضل.
- ٨٤٩ - أفضل العبادة الامساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة.
- ٨٥٠ - ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر.
- ٨٥١ - من عدم فضيلة الصدق في منطقته فقد فجع بأكرم أخلاقه.
- ٨٥٢ - ليس يضرك أن ترى صديقك عند عدوك، فإنه إن لم ينفعك لم يضرك.
- ٨٥٣ - قل أن ترى أحدا تكبر على من دونه إلا وبذلك المقدار وجود بالذلل لمن فوقه.
- ٨٥٤ - من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت، فإنها تهون عليه، ومن ضاق به أمر فليذكر القبر فإنه يتسع.
- ٨٥٥ - خير الشعر ما كان مثلاً، وخير الأمثال ما لم يكن شعراً.
- ٨٥٦ - الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضع، فإن نابتك نائبة، وحالت بك حال لقيتهم، وقد أمنت ذلة التنصل إليهم والتواضع.
- ٨٥٧ - إن الله يحب أن يعفى عن زلة السرى.
- ٨٥٨ - من طال لسانه وحسن بيانه، فليترك التحدث بغرائب ما سمع، فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه، ومن عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها، وإلا حملتهم المنافسة على تكفيره.
- ٨٥٩ - ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك، ولا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك.

(١) الخرماء: المقطوعة طرف الأنف أو المثقوبة الاذن.

- ٨٦٠ - ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك. ولا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك، ولا يسلم لك من اعتقد إنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك.
- ٨٦١ - خف الضعيف إذا كان تحت راية الانصاف أكثر من خوفك القوى تحت راية الجور، فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر، وجرحه لا يندمل (١).
- ٨٦٢ - إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم، وإظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة وجبرية.
- ٨٦٣ - أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك إنك أعرف بالرياسة منه.
- ٨٦٤ - عداوة العاقلين أشد العداوات وأنكاهها، فإنها لا تقع إلا بعد الاعذار والانداز، وبعد أن يئس إصلاح ما بينهما.
- ٨٦٥ - لا تخدم من رئيسا كنت تعرفه بالخمول، وسمت به الحال، ويعرف منك إنك تعرف قديمه، فإنه وإن سر بمكانك من خدمته، إلا إنه يعلم العين التي تراه بها، فينقبض عنك بحسب ذلك.
- ٨٦٦ - إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبده ببداية الشبان، فإنهم أحد أذهانا، وأسرع حدسا، ثم رده بعد ذلك إلى رأى الكهول والشيوخ ليستعقبوه، ويحسنوا، الاختيار له، فإن تجربتهم أكثر.
- ٨٦٧ - الانسان في سعيه وتصرفاته كالعائم في اللجة، فهو يكافح الجرية في أدباره، ويجرى معها في إقباله.
- ٨٦٨ - ينبغي للعاقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق، ومجانبة الهذر،

(١) اندمل الجرح: تماثل للشفاء.

فإن العلقه (١) تأخذ بهدوئها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها وفرط صياحها.

٨٦٩ - أقوى ما يكون التصنع في أوائله، وأقوى ما يكون التطبع في أواخره.

٨٧٠ - غاية المروءة أن يستحيى الانسان من نفسه، وذلك إنه ليس العلة في الحياء من الشيخ كبر سنه ولا بياض لحيته، وإنما علة الحياء منه عقله، فينبغي إن كان هذا الجوهر فينا أن نستحي منه ولا نحضره قبيحا.

٨٧١ - من ساس رعية حرم عليه السكر عقلا، لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.

٨٧٢ - لا تتاعن مملوكا قوى الشهوة، فإن له مولى غيرك، ولا غضوبا فإنه يؤذيك في استخدامك له، ولا قوى الرأي فإنه يستعمل الحيلة عليك، لكن اطلب من العبيد من كان قوى الجسم حسن الطاعة، شديد الحياء.

٨٧٣ - لا تعادوا الدول المقبلة، وتشربوا قلوبكم بغضها، فتدبروا بإقبالها.

٨٧٤ - الغريب كالفرس الذي زایل شربه، وفارق أرضه، فهو ذاو لا يتقد وذابل لا يثمر.

٨٧٥ - السفر قطعة من العذاب، والرفيق السوء قطعة من النار.

٨٧٦ - كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عند قوم من الناس، إلا الأمانة فإنها نافقة عند أصناف الناس يفضل بها من كانت فيه، حتى إن الآنية إذا لم تنشف

(١) العلقه: دوية في الماء تمص الدم.

- وبقى ما يودع فيها على حاله لم ينقص - كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أو ينشف.
- ٨٧٧ - اصبر على سلطانك في حاجاتك، فلست أكبر شغله، ولا بك قوام أمره.
- ٨٧٨ - قوة الاستشعار من ضعف اليقين.
- ٨٧٩ - إذا أحسست من رأيك بإكداد، ومن تصورك بفساد، فأتهم نفسك بمجالستك لعامي الطبع، أو لسئ الفكر، وتدارك إصلاح مزاج تخيلك بمكاثرة أهل الحكمة، ومجالسة ذوي السداد، فإن مفاوضتهم تريح الرأي المكدود، وترد ضالة الصواب المفقود.
- ٨٨٠ - من جلس في ظل الملق، لم يستقر به موضعه، لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع، وعرفه الناس بالخدیعة.
- ٨٨١ - كثير من الحاجات تقضى برما لا كرما.
- ٨٨٢ - أصحاب السلطان في المثل كقوم رقوا جبلا ثم سقطوا منه، فأقربهم إلى الهلكة والتلف أبعدهم كان في المرتقى.
- ٨٨٣ - لا تضع شرك عند من لا سر له عندك.
- ٨٨٤ - سعة الأخلاق كيمياء الأرزاق.
- ٨٨٥ - العلم أفضل الكنوز وأجملها، خفيف المحمل، عظيم الجدوى، في الملا جمال، وفي الوحدة أنس.
- ٨٨٦ - السباب مزاح النوكى، ولا بأس بالمفاكهة، يروح بها الانسان عن نفسه، ويخرج عن حد العبوس.

- ٨٨٧ - ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية، والرسول، والكتاب.
- ٨٨٨ - التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة.
- ٨٨٩ - أنت مخير في الاحسان إلى من تحسن إليه، ومرتهن بدوام الاحسان إلى من أحسنت إليه، لأنك إن قطعتَه فقد أهدرتَه، وإن أهدرتَه فلم فعلته!
- ٨٩٠ - الناس من خوف الذل في ذل.
- ٨٩١ - إذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا، وإذا كان الايجاز مقصرا كان الاكثار واجبا.
- ٨٩٢ - بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد.
- ٨٩٣، الخلق عيال الله، وأحب الناس إلى الله أشفقهم على عياله.
- ٨٩٤ - تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك.
- ٨٩٥ - العاقل بخشونة العيش مع العقلاء، آنس منه بلين العيش مع السفهاء.
- ٨٩٦ - الانقباض بين المنبسطين ثقل، والانبساط بين المنقبضين سخف (١).
- ٨٩٧ - السخاء والجود بالطعام لا بالمال، ومن وهب ألفا وشح بصحفة طعام فليس بجواد.
- ٨٩٨ - إن بقيت لم يبق الهم. ٨٩٩ - لا يقوم عز الغضب بذلة الاعتذار.
- ٩٠٠ - الشفيح جناح الطالب.
- ٩٠١ - الامل رفيق مؤنس، إن لم يبلغك فقد استمتعت به.
- ٩٠٢ - إعادة الاعتذار تذكير بالذنب.

(١) السخف: ضعف العقل ورقته.

- ٩٠٣ - الصبر في العواقب شاف أو مريح.
- ٩٠٤ - من طال عمره، رأى في أعدائه ما يسره.
- ٩٠٥ - لا نعمة في الدنيا أعظم من طول العمر، وصحة الجسد.
- ٩٠٦ - الناس رجالان: إما مؤجل بفقد أحبائه، أو معجل بفقد نفسه.
- ٩٠٧ - العقل غريزة تربيها التجارب.
- ٩٠٨ - النصح بين الملا تقريع.
- ٩٠٩ - لا تنكح خاطب شرك.
- ٩١٠ - من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع الغنم الكثير.
- ٩١١ - الدار الضيقة العمى الأصغر.
- ٩١٢ - النمام جسر الشر.
- ٩١٣ - لا تشن وجه العفو بالتقريع.
- ٩١٤ - كثرة النصح تهجم بك على كثرة الظنة.
- ٩١٥ - لكل ساقطة لاقطة.
- ٩١٦ - ستساق إلى ما أنت لاق.
- ٩١٧ - عاداك من لاحاك.
- ٩١٨ - جدك لا كدك.
- ٩١٩ - تذكر قبل الورد الصدر، والحذر لا يغنى من القدر، والصبر من أسباب الظفر.
- ٩٢٠ - عار النساء باق يلحق الأبناء بعد الآباء.
- ٩٢١ - أعجل العقوبة عقوبة البغي والغدر واليمين الكاذبة، ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يغفر.

- ٩٢٢ - لا ترد بأس العدو القوى وغضبه بمثل الخضوع والذل، كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثائه معها كيفما مالت.
- ٩٢٣ - قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك، ولا تفرط في مقاربتك فتذل نفسك وناصرك، وتأمل حال الخشبة المنصوبة في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها، وإن أفرطت في الإمالة نقص الظل.
- ٩٢٤ - إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء.
- ٩٢٥ - العجز نائم، والحزم يقظان.
- ٩٢٦ - من تجرأ لك تجرأ عليك.
- ٩٢٧ - ما عفا عن الذنب من قرع به.
- ٩٢٨ - عبد الشهوة أذل من عبد الرق.
- ٩٢٩ - ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه ممتنعه.
- ٩٣٠ - الناس رجلان: واحد لا يكتفى، وطالب لا يجد.
- ٩٣١ - كلما كثر خزان الاسرار، زادت ضياعا.
- ٩٣٢ - كثرة الآراء مفسدة، كالقدر لا تطيب إذ كثر طباخوها.
- ٩٣٣ - من اشتاق خدم، ومن خدم اتصل، ومن اتصل وصل، ومن وصل عرف.
- ٩٣٤ عجباً لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة، وهلا شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة!
- ٩٣٥ - كل الناس أمروا بأن يقولوا: لا إله إلا الله، إلا رسول الله، فإنه رفع قدره عن ذلك، وقيل له: فاعلم أنه لا إله إلا الله، فأمر بالعلم لا بالقول.

- ٩٣٦ - كل مصطنع عارفة فإنما يصنع إلى نفسه، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت به إلى نفسك وتممت به لذتك، ووقيت به عرضك.
- ٩٣٧ - ولدك ريحانتك سبعا، وخادمك سبعا، ثم هو عدوك أو صديقك.
- ٩٣٨ - من قبل معروفك فقد باعك مروءته.
- ٩٣٩ - إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن.
- ٩٤٠ - من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا.
- ٩٤١ - من كثر حقه قل عتابه.
- ٩٤٢ - الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهمل بالحادثة عن الحيلة لدفعها.
- ٩٤٣ - كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا فيها.
- ٩٤٤ - من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم، ولولا من يقبل الجود لم يكن من يجود.
- ٩٤٥ - اخوان السوء كشجرة النار، يحرق بعضها بعضها.
- ٩٤٦ - زلة العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق.
- ٩٤٧ - أهون الأعداء كيذا أظهرهم لعداوتهم.
- ٩٤٨ - أبق لرضاك من غضبك، وإذا طرت فقع قريبا.
- ٩٤٩ - لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه، فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه في حال سكونه، فكيف يسلم مع اختلاف رياحه واضطراب أمواجه!
- ٩٥٠ - إذا خلى عنان العقل، ولم يحبس على هوى نفس، أو عادة دين، أو عصبية لسلف، ورد بصاحبه على النجاة.

- ٩٥١ - إذا زادك الملك تأنيسا فزده إجلالا.
- ٩٥٢ - من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.
- ٩٥٣ - قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى قليل.
- ٩٥٤ - جنبوا موتاكم في مدافنهم جار السوء، فإن الجار الصالح ينفع في الآخرة كما ينفع في الدنيا.
- ٩٥٥ - زر القبور تذكر بها الآخرة، وغسل الموتى يتحرك قلبك، فإن الجسد الخاوي عظة بليغة، وصل على الجنائز لعله يحزنك، فإن الحزين قريب من الله.
- ٩٥٦ - الموت خير للمؤمن والكافر، أما المؤمن فيتعجل له النعيم، وأما الكافر فيقل عذابه، وآية ذلك من كتاب الله تعالى: (وما عند الله خير للأبرار (١))، (ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما (٢)).
- ٩٥٧ - جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك.
- ٩٥٨ - من خاف إساءتك أعتقا مساءتك، ومن رهب صولتك ناصب دولتك.
- ٩٥٩ - من فعل ما شاء لقي ما شاء.
- ٩٦٠ - يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه: (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء (٣)) فجعل الرحمة عموما والعذاب خصوصا.

(١) سورة آل عمران ١٩٨.

(٢) سورة آل عمران ١٧٨.

سورة الأعراف ١٥٦.

- ٩٦١ - الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضة، والبغضة توجب الاختلاف، والاختلاف يوجب الفرقة، والفرقة توجب الضعف، والضعف يوجب الذل، والذل يوجب زوال الدولة، وذهاب النعمة.
- ٩٦٢ - لا يكاد يصح رؤيا الكذاب، لأنه يخبر في اليقظة بما لم يكن، فأحر به أن يرى في المنام ما لا يكون.
- ٩٦٣ - يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له.
- ٩٦٤ - لا تكاد الظنون تزدهم على أمر مستور الا كشفته.
- ٩٦٥ - المشورة راحة لك وتعب على غيرك.
- ٩٦٦ - حق كل سر أن يصاب، وأحق الاسرار بالصيانة سر ك مع مولاك، وسره معك، واعلم إن من فضح فضح، ومن باح فلدمه أباح.
- ٩٦٧ - يا من ألم بجناب الجلال، احفظ ما عرفت، واكتم ما استودعت، واعلم أنك قد رشحت لأمر فافطن له، ولا ترض لنفسك أن تكون خائنا، فمن يؤد الأمانة فيما استودع، أخلق الناس بسمة الخيانة، وأجدر الناس بالابعاد والإهانة!
- ٩٦٨ - لا تعامل العامة فيما أنعم به عليك من العلم، كما تعامل الخاصة، واعلم أن لله سبحانه رجالا أودعهم أسراراً خفية، ومنعهم عن إشاعتها، واذكر قول العبد الصالح لموسى وقد قال له: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع
- معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً!
- ٩٦٩ - لكل دار باب، وباب دار الآخرة الموت.
- ٩٧٠ - إن لك فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرة، وإن ملك الموت دخل

على داود النبي، فقال: من أنت؟ قال: من لا يهاب الملوك، ولا تمنع منه القصور، ولا يقبل الرشاش، قال: فإذا أنت ملك الموت جئت، ولم أستعد بعد! فقال: فأين فلان جارك، أين فلان نسيبك؟ قال: ماتوا، قال: ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعد!

٩٧١ - ما أخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله، باعوا الآخرة بنومة.

٩٧٢ - إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا، فما لكم لا تلتمسون نعيما لا موت بعده!

٩٧٣ - انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه فافعله الآن، فلست تأمن أن تموت الآن.

٩٧٤ - لا تستبطئ القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت، فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة، ثم قرأ: (ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا إلا ساعة من النهار...) (١) الآية.

٩٧٥ - لا بد لك من رفيق في قبرك، فاجعله حسن الوجه طيب الريح، وهو العمل الصالح.

٩٧٦ - رب مرتاح إلى بلد وهو لا يدري إن حمامه في ذلك البلد.

٩٧٧ - الموت قانص يصمي ولا يشوى.

٩٧٨ - ما من يوم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق، فمن رآه على معصية أو لهو، أو رآه ضاحكا فرحا، قال له يا مسكين: ما أغفلك عما يراد بك! إعمل ما شئت، فإن لي فيك غمره أقطع بها وتينك (٢).

(١) سورة يونس ٤٥.

(٢) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

- ٩٧٩ - إذا وضع الميت في قبره اعتورته نيران أربع، فتجئ الصلاة فتطفئ واحدة، وتجئ الصوم فيطفئ واحدة، وتجئ الصدقة فتطفئ واحدة، وتجئ العلم فيطفئ الرابعة، ويقول: لو أدركتهن لأطفأتهن كلهن، ففر عينا فأنا معك، ولن ترى بؤسا.
- ٩٨٠ - استجيروا بالله تعالى، واستخيروه في أموركم، فإنه لا يسلم مستجيرا، ولا يحرم مستخيرا.
- ٩٨١ - ألا أدلكم على ثمرة الجنة! لا إله إلا الله بشرط الاخلاص.
- ٩٨٢ - من شرف هذه الكلمة وهي الحمد لله. إن الله تعالى جعلها فاتحة كتابه، وجعلها خاتمة دعوى أهل جنته، فقال: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.
- ٩٨٣ - ذاك الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم، وكالدار العامرة بين الربوع الخربة.
- ٩٨٤ - أفضل الأعمال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله سبحانه.
- ٩٨٥ - الذكر ذكران: أحدهما ذكر الله وتحميده، فما أحسنه وأعظم أجره! والثاني ذكر الله عندما حرم الله وهو أفضل من الأول!
- ٩٨٦ - ما أضيقت الطريق على من لم يكن الحق تعالى دليلا، وما أوحشها على من لم يكن أنيسه! ومن اعتز بغير عز الله ذل، ومن تكثر بغير الله قل.
- ٩٨٧ - اللهم إن فهت عن مسألتي، أو عمهت عن طلبتي، فدلني على مصالحتي، وخذ بناصيتي إلى مرشدتي. اللهم احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك.
- ٩٨٨ - مخ الإيمان التقوى والورع، وهما من أفعال القلوب، وأحسن أفعال الجوارح ألا تزال مالكًا فاك بذكر الله سبحانه.

- ٩٨٩ - اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك.
- ٩٩٠ - سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع! ويدعونا لحظنا فنبطئ! خيرهِ إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد، وهو مالك قادر.
- ٩٩١ - اللهم إنا نعوذ بك من بيات غفلة وصباح ندامة.
- ٩٩٢ - اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه، واستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك، واستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها علي معصيتك.
- ٩٩٣ - اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك التمس به أحدا سواك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني.
- ٩٩٤ - يا من ليس إلا هو، يا من لا يعلم ما هو، إلا هو اعف عني!
- ٩٩٥ - اللهم إن الآمال منوطة بكرمك، فلا تقطع علائقها بسخطك. اللهم إني أبرأ من الحول والقوة إلا بك، وادراً بنفسي عن التوكل على غيرك.
- ٩٩٦ - اللهم صل على محمد وآل محمد، كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد وآل محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل على محمد وآل محمد عدد كلماتك، وعدد معلوماتك، صلاة لا نهاية لها، ولا غاية لأمدها.
- ٩٩٧ - سبحان الواحد الذي ليس غيره، سبحان الدائم الذي لا نفاذ له، سبحان القديم الذي لا ابتداء له، سبحان الغني عن كل شيء ولا شيء من الأشياء يغني عنه.

٩٩٨ - يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والاکرام اعف عني (١).

وهذا حين انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة، ولم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا وحولنا، فإننا عاجزون عما هو دونه، ولقد شرعنا فيه وإنه لفي أنفسنا كالطود الأملس تزل الوعول العصم (٢) عن قذفاته (٣)، بل كالفلك الأطلس لا تبلغ الأوهام والعقول إلى حدود غاياته، فما زالت معونة الله سبحانه وتعالى تسهل لنا حزنه، وتذل لنا صعبه، حتى أصبح أبية، وأطاع عصية، وفتحت علينا - بحسن النية وإخلاص الطوية - في تصنيفه أبواب البركات، وتيسرت علينا مطالب الخيرات، حتى لقد كان الكلام ينثال علينا انثيالاً، ويواتينا بديهة وارتجالاً، فتم تصنيفه في مدة قدرها أربع سنين وثمانية أشهر، وأولها غرة شهر رجب من سنة أربع وأربعين وستمائة. وآخرها سلخ صفر من سنة تسع وأربعين وستمائة. وهو مقدار مدة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وما كان في الظن و التقدير أن الفراغ منه يقع في أقل من عشر سنين، إلا أن الألفاظ الإلهية والعناية السماوية، شملتنا بارتفاع العوائق، وانتفاء الصوارف، وشحذت بصيرتنا فيه، وأرهفت هممتنا في تشييد مبانيه، وتنضيد ألفاظه ومعانيه.

وكان لسعادة المجلس المولوي المؤيدي الوزيري (٤) أجرى الله بالخير أقلامه، وأمضى

(١) كذا كان عدد هذا الحكم على حسب المخطوطات التي وقعت لدينا. وقد أشار إلى أن عددها ألف، ولعل هنا سقطاً، أو أن حكمتين قد امتزجتا بفعل النسخ، ونرجو حين تقع إلينا نسخ أخرى في الطبعة أن نصل إلى العدد الصحيح.

(٢) الوعل: تيس الجبل، والأعصم منه ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر.

(٣) القذفات: جمع قذفة، وهو ما أشرف رؤس الجبال.

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المعتصم بالله. وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ٤: ٤.

في طلى الأعداء حسامه في المعونة عليه أوفر قسط، وأوفى نصيب وحظ، إذ كان مصنوعاً لخزائنه، وموسوماً بسمته، ولإن همته أعلاها الله ما زالت تتقاضى عنده بإتمامه، وتحته على إنجازهِ وإبرامهِ، وناهيك بها من همه راضت الصعب الجامح، وخففت العبء الفادح، ويسرت الأمر العسير، وقطعت المدى الطويل في الزمن القصير. وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين. والحكماء خاصة ألفاظ القوم، مع علمي بأن العربية لا تجيزها، نحو قولهم: المحسوسات، وقولهم: الكل والبعض، وقولهم: الصفات الذاتية، وقولهم: الجسمانيات، وقولهم: أما أولاً فالحال كذا، ونحو ذلك مما لا يخفى عن له أدنى أنس بالأدب، ولكننا استهجننا تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم، فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم، ومن دخل ظفار حمر (١).

والنسخة التي بنى هذا الشرح على نصها أتم نسخة وجدتها بنهج البلاغة، فإنها مشتملة على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ. وأنا استغفر الله العظيم من كل ذنب يبعد من رحمته، ومن كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته، واستشفع إليه بمن أنصبت جسدي، وأسهرت عيني، وأعملت فكري، واستغرقت طائفة من عمري، في شرح كلامه، والتقرب إلى الله بتعظيم منزلته ومقامه، أن يعتق رقبتني من النار، وألا يبتليني في الدنيا ببلاء تعجز عنه قوتي، وتضعف عنه طاقتي، وأن يصون وجهي عن المخلوقين، ويكف عني عادية الظالمين، إنه سميع مجيب، وحسبنا الله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه!

(آخر الجزء العشرين تم الكتاب)
(ولله الحمد كما هو أهله حمدا دائما لا انقضاء له ولا نفاذ له آمين)

(١) ظفار: قرية باليمن. وحمر: تكلم بالحميرية، وهو مثل يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيتهم (الميداني ٢: ٣٠٦).